بسم الله الرحمن الرحيم

مئة مقالة في زمن الكورونا

الشيخ الدكتور خير الدين الهادي

الإشراف العام

الشيخ الدكتور خير الدين علي الهادي (م/ دار القرآن الكريم)

التصميم والاخراج الفني

علي رعد الحكيم

المقدمة

لا يخفى أنّ التبليغ وظيفة شريفة تعهَّده الأنبياء والأولياء بقصد توجيه الأمم نحو صلاحها وسعادتها، وتنوعت أدوات الدعوة ووسائلها، فلكل مقام مقالٌ يناسبه، خاصة أن هناك سعة في المساحات التي ننتظر إصلاحها؛ للوصول إلى مجتمع يشعر بالمسؤولية ويتعامل بالموضوعية مع التحديات المعاصرة التي عصفت بالعباد والبلاد.

ولمَّا كانت المقالة على قصرها وجزالتها تمثل بعدا معتبرا في النقد والتنبيه والإرشاد يستسيغه الذوق العام ولا تعارضها الفطرة السليمة حتى مع قراءاتها التي تصاحب تشخيص المشكلات وتحديدها؛ بل وتحجيمها بما يضمن السلامة الفكرية لأبناء الملة، ويحفظ توازنهم الاجتماعي والديني والسياسي على وفق أبجديات الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها؛ لينالوا موجبات الكرامة بتحقق أغراض الوجود ومعرفة علة النشأة في الأصل.

ومن الجدير ذكره أن التنمية المعرفية التي جاءت بها النظريات وأكدتها المبادئ المعتبرة؛ للحصول على التربية الصحيحة لحركة المجتمع نحو بناء متكامل وتحقيق الوعي التام يتوقف على مدى استعداد الحراك العلمي وتفهُّمه للأدوات الحديثة في الوصول إلى المجتمع الذي يعيش عصر السرعة والتطور، فبات لا يستسيغ المطولات من البحوث والكتب التي امتلأت منها المكتبات وبات بعضها عبئا على كتابها. لذلك أجد أن وسيلة كتابة المقالات الموجزة قد تكون منتجة لما يتناسب مع طموح الباحثين وخاصة الذين وجدوا ضالتهم في وسائل التواصل الاجتماعي والكلمات القصيرة والبوستات الملونة التي فرضت نفسها على القراء، فتأثروا بها سواء بشكل مباشر أو عبر أثير قنوات اللاوعي المتحكم بأكثر العباد في مختلف البلاد.

ولا يخفى أن المقالة نوع من الأدب له جمهوره الواعي الذي يبحث عنه،

خاصـة إذا تميَّـز بأسـلوبه المعهـود عـبر القطعـة النثريـة المزخرفـة بالسلاسـة والبعيـدة عـن التكلـف والتعقيـد؛ بوصفهـا تحـاول معالجـة مشـكلة أو تشـخيصها بمـا يضمـن تحجيمهـا أو توجيـه المجتمـع إلى بعـض المزايـا الجميلـة التـي يمكـن أن تحـدث نهضـة للأمـة بـين الأمـم. لذلـك أجـدني أميـل إلى المقالـة في توجيـه الخطـاب، وقـد قصدتُّهـا في قـراءة بعـض الشـؤون العامـة في المجتمـع فسـبر عـن فصـول ثـلاث متوجهـة نحـو الأبعـاد الاجتماعيـة بمـا فيهـا مـن الابتـلاءات والأبعـاد الدينيـة بمـا فيهـا مـن الاعتبـارات، والأبعـاد السياسـية بمـا فيهـا مـن التناقضـات، وكل ذلـك يمكـن أن يناسـب الـذوق العـام بمـا يحفـظ الخصوصيات لسـائر الفئـات.

100
مقالة في زمن الكورونا

المقالات السياسية

أخ للبيع

001

مما لا شك فيه أن رابطة الأخوة من أقوى ما يمكن أن يكتنزه الإنسان. فالأخ هو السند الذي يغني عن كل ما سواه، ولطالما أكدت الشريعة السمحاء من خلال القرآن ورواياتها الشريفة وأقوال الميامين على أهمية هذه العلاقة وأبعادها الإيجابية على المستوى الفردي والمجتمعي؛ إذ يمكن اعتبار الأخ من وسائل التفاؤل في الحياة ومن أسباب السعادة التي قد لا يستشعرها إلا من كان له أخ وفقده.

ولمّا كان الإيمان مِيزة معتبرة بين الأديان والمِلل فقد نصّ الإسلام على أثره وبيان أهميَّته في الوسط الإسلامي، ولبيان قيمة الإيمان بين المؤمنين أكد القرآن الكريم على أنّ المؤمنين أخوة، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. وفي ذلك إشارة إلى مكانة الأخوة الإيمانية التي تجاوزت النَّسب والدَّم، فالتجارب أثبتت أنّ النسب لا قيمة له حينما يكون الدين هو الفيصل، وكم من موقف للمواجهة بين الآباء والأبناء أو بين الأخوة عند اختلافهم في الدين والعقيدة حتى أصبحوا غرباء؛ بل أعداء، وهذا ما تجسد في معركة بدر الكبرى؛ إذ واجه الولد والده والأخ أخاه فلم ينفعهما رابطة النسب والدَّم.

والأخوة على ما فيها من الكرامة المعتبرة بين المؤمنين فتشدهم إلى بعضهم مع اختلافهم في الثقافة واللون والقوميَّة. فجغرافية الإسلام لا تحُدُّها أرض ولا لونٌ ولا ثقافة؛ بل تجد النفوس مستأنسة بإخوّتها حتى من دون التعرف عليها وكأنها تقول بلغة أبلغ من الكلام أننا من تربة واحدة وإن انقسمت وتفرَّعت بين الأمم والشعوب، لذلك تجدها مستعدَّة من دون دعوة إلى التلاقح والتلاحم للوقوف في صفٍّ واحدٍ في مواجهة التحديات والمحن.

إنّ ما يقلق الناموس الأكبر والأرواح الإيمانية أن رابطة الأخوة باتت في خطر، فبعد أن كانت وساما للمؤمنين يتزينون به صارت في مهب الريح تحدوها المخاطر وتهددها حماقة القوم الذين نالت منهم عصبيتهم فلم يفرِّقوا بين المصالح الفردية والمصالح المجتمعية، بل وصلوا إلى مرحلة الإعلان بشكل أو بآخر عن بيع إخوتهم الذين قاسموهم لقمة الصمود في أودية المحن حتى لاحت بواكير النصر وانكسار الأعداء؛ فكانت زهرة الانتصار شامخة مشرقة مزيَّنة بدماء الشهداء ودموع الثكالى وأدعية الصالحين.

إنّ ما تشهده الأيام من ذكرى الانتصار التاريخي يدعو إلى مزيد من التأمل بين الأخوة الذين كانوا أدوات النصر ولطالما ضربوا أروع الأمثلة في الصمود والوقوف في وجه أعتى عتاة الدنيا في العصر الحديث. فانكشفت للعدو قوتهم المستندة إلى المرجعية الدينية والأخوة الإيمانية فبادرت برسم مبادئ جديدة للحدِّ من قوة المؤمنين بتقسيمهم وإعلان بعضهم على بعض حتى ظنّوا أنّهم لم يكونوا أخوة في يوم من الأيام، وهذا يُنبئ بمزيد من الخوف والقلق والخشية على مستقبل علاقات الأخوة فقد يصير الأمر إلى تمزيقهم وكسر شوكتهم فيكون المآل إلى انتصار الأعداء على الجزء ثم الجزء؛ ليقول لسان حالنا: أُكِلْتُ يومَ أُكِلَ الثور الأسود ولات حين مندب.

الازدواجية بين قوسين

002

تتسارع الأحداث وتكشف المواقف معادن الناس، ولنا في كل تجربة حياةٌ لأولي الألباب، ففي هذه المحطة المهمة من مراحل الانتقال بين العوالم التي تتحكم بمستقبل لا مفرَّ منه، فكلٌّ واردها وإنْ طال يومه، وجميع ما يصدر عن الإنسان محفوظ في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وأهم ما يمكن أن يثير الاستغراب هي الازدواجية في الفكر والخطاب والمواقف، فقد كشفت الأيام بأحداثها الثائرة والأليمة سياسات مفضوحة وعلى مستويات كبيرة تجاوزت حدود العفوية وتميزت بالقصدية في التوغل في درن الانحطاط والاستمرار بالانزلاق في تيهة الضلال.

إنّ الناقد اللامع يستغرب حينما يطَّلع على المواقف التي تتزين اليوم تحت عنوان البحث عن الحقيقة ولاسيما في ظل التطورات الأخيرة من الأحداث الأليمة التي انتهكت فيها الأعراف والقيم باستهداف الشخصيات الوطنية والرموز الاعتبارية، فقد كشفت سلسلة الاغتيالات عن الازدواجية المقيتة في التعامل مع الحدث، باعتبار أنّ الموضوع واحد، والذي يقوم بارتكابها مرشح أن يكون واحدا أيضا، وإن تباينت الاعتبارات الأخرى، وعلينا أن نقف موقف البصير الذي ينظر بقلبه قبل عينه ويترجم الأحداث على وفق المعطيات، وأنْ لا نعيش السذاجة المركبة التي يمكن تعريفها بأنّها تجاهل الحقيقة المعلومة الواضحة لأنّها تخالف رؤيتي.

إنّ الطرف الثالث الذي فضح نفسه جهارا نهارا على لسان سيدها ترامب وارتكب جريمة العصر بكل وقاحة ودونما ستار، ولم يعترض عليها المعترضون؛ بل قابلوا حماقاته بتقبيل كفّه وكأنَ المثل العراقي يكشف عن نفسه بوضوح (اليد التي لا نستطيع قطعها نقبلها)، ولتتجلى سياسة الخبث والضغينة وتكشف عن نفسها وأهلها، ولتعترف أنّها كانت ولا زالت ألعوبة بأيدي أئمة الكفر والضلال وهي تقودها في تأجيج الوضع وخلط الاوراق.

ومما لا شك فيه أن هذه الجرائم المتوالية التي ترتكب وتسند إلى المجهول زادت من احتمالات التيه والبهتان، وأعطت فرصة لاتهام القوى الوطنية من الجيش والشرطة وأبناء الحشد المقدس الذين كانوا ولا يزالون عنوان النصر والتحرير، وساهموا في تحقيق الأمن

والأمـان للعـراق والعراقيـين، ومـن المؤسـف أن نقـول إنّ تراكـم الثقافـة السـلبية التـي كسـبها بعـض النـاس مـن اللاوعـي قادهـم إلى التفكـير الخاطـئ، وذلـك بتبريـر حماقـات قـوى الـشر في جريمتهـا الشـنيعة، عـلى الرغـم مـن إنهـا اعترفـت بفعلتهـا الدنيئـة في اغتيـال قـادة النـصر، وإلصـاق التهمـة بـشركاء الوطـن في غيرهـا مـن المحـاولات والاغتيـالات التي لـم يرغـب الطـرف الثالـث في كشـفها، أو كشـفتها عـلى لسـان حلفائهـا، كالتـي حدثـت في المحاولـة الأخـيرة في اغتيـال الهاشـمي، حيـث تبنـى داعـش العمليـة وهـي الحليفـة الاسـتراتيجية والمهمـة لأمريـكا، إلا أن كثـير مـن القنـوات والشـخصيات والمواقـع العميلـة تحـاول أن تدفـع بأصابـع الاتهـام إلى غيرهـا. ومـن الجديـر بالذكـر أنّ هـذه القنـوات والشـخصيات والمواقـع المدفوعـة الثمـن التـي سـخَّرت إمكانياتهـا للغـرب عـلى حسـاب وطنهـا وأبنائهـا، لـم نسـمع منهـم اسـتنكارا أو وقفـة احتجاجيـة عـلى أحـداث أخـرى وقعـت مـن عمليـات الاغتيـال والتصفيـة، وهـذه الازدواجيـة المقيتـة كشـفت عـن عمالـة كثـير ممـن يدَّعـي حـب الوطـن والوطنيـة، وبينـت بوضـوح لا يقبـل الشـك أن المخابـرات العالميـة التـي تعمـل عـلى تمزيـق وحـدة الشـعوب الآمنـة والمسـتقرة إنمـا تعتمـد في تنفيـذ كثـير مـن حماقاتهـا عـلى أبنـاء الشـعوب مـن الذيـن باعـوا آخرتهـم بدنيـا الغـرب.

إنّ مـن المؤسـف عـلى الجميـع ولاسـيما من بيـده القـرار الحكومي والتنفيـذي أن يعـترف المجرم بجرمـه ولـم يُقابـل بموقـف، فهـذه أمريـكا تعـترف باغتيالهـا لمهنـدس النـصر لكـن لـم نجـد ممـن بيدهـم القـرار أنْ يبـادروا مجـرد التفكـير في إقامـة دعـوى قضائيـة دوليـة عليهـا، أو المطالبـة بدمـه الشريـف، بـل نجـد في المقابـل أن بعضهـم يحـاول أن يصطـاد في المـاء العكـر كمـا صرَّح بعضٌ من أهـل النهيـق معيبـاً عـلى المرجعيـة اسـتنكارها اغتيـال قـادة النـصر وسـكوتها عـن غيرهـا ، وكأن هـؤلاء يحاولـون أنْ يتهمـوا المرجعيـة أو يوجهونهـا بحسـب نزواتهـم، والمعلـوم أن المرجعيـة الدينيـة الشريفـة في النجـف الأشرف أثبتـت أبوتهـا لجميـع العراقيـين بمختلـف انتماءاتهـم، ولـم نعهدهـا إلا راعيـة لمصلحـة العبـاد والبـلاد، وعـلى هـذا فينبغـي أن نحـدد مواقفنـا، ونتبـيَّن مـن هـؤلاء الذيـن أثبتـوا عمالتهـم للأجنبـي عـلى حسـاب وطنهـم، وأن نبـادر إلى مراجعـة المواقـف المركزيـة والرسـمية التـي نعـوِّل عـلى كياسـتها؛ كـي لا تكـون هـي الأخـرى مصـدر قلـقٍ لحُمـاة الوطـن وأبنائهـا باتبـاع أوامـر ونـواهٍ مـن الطـرف الثالـث.

أسرار لم تكن خافية

003

لا يخفى على الحاذق أن تنظيم داعش أحد أسرار الشيطان الأكبر الواضحة والبينة، وقد عمدت أمريكا إلى تشكيله لحاجتها إليه في زعزعة الاستقرار الدولي وقلب الموازنات، وقد تكفلت بحماية التنظيم وعناصره، ورعايتهم ودعمهم بالمال والسلاح على حساب الدول التي كانت وما تزال كالأبقار الهولندية التي تتميز بوفرة حليبها وكثرة لحومها، في مقابل الحماية الأمريكية المزعومة لتلك الأبقار الحلوبة، وبذلك فإنَّ الشيطان الأكبر يعمل كمنشار قاطع في سائر حركاته صعودا ونزولا وهمُّه الوحيد هو الاستيلاء على مقدرات الشعوب واستعباد الدول؛ لتنظمَّ تحت عباءة محورها المعروف بمحور الشرِّ في قبال محور المقاومة.

ومن أجل الحفاظ على التنظيم الظالم تعمدت أمريكا إلى بذل كل ما بوسعها؛ ليتمكن هذا التنظيم من تحقيق أعلى مستوى من طموحات أمريكا فالعلاقة بينهما علاقة تكاملية قائمة على المصالح المشتركة بين السيد وعبده، ولم تتهاون أمريكا في كبح جماح الدول والقيادات والقدرات التي يمكنها أنْ تكون سببا لكسر هذا التنظيم أو إضعافه؛ ولا تخفى الجهود الأمريكية الكبيرة التي رافقت دخول داعش إلى العراق وتحديدا عند سقوط أكثر من ثلث العراق بيد التنظيم آنذاك، واتضح في مسيرة داعش ودخوله إلى مدينة الموصل أنّ أمريكا كانت تمَّهد للدخول عبر معسكرات أعلنت عنها القيادات العراقية فيما بعد وأشارت إلى أنّ القوات العراقية كانت ممنوعة من الوصول إلى مواقع ومعسكرات داعش التي كانت تتمتع بحماية الطائرات التابعة للتحالف الدولي الذي كان من المفترض أنّها جاءت لنصرة العراق ضد التنظيم، ومن المناسب أنْ نذكر أن القيادات الوطنية التي كانت تمتنع عن الانسحاب كان مصيرها التحجيم والإبعاد؛ بل السجن إذا استلزم الأمر كالذي حصل لقائد الفرقة الثانية الذي حاول مقاومة داعش عند دخوله إلى الموصل.

وهكذا استمر الدعم الأمريكي الواضح لتنظيم داعش وفي مرأى الجميع من دون أنْ تكون هناك مواقف وطنية من القيادات الحكومية حتى قال الحشد كلمته. وبعد الإعلان الرسمي ولأكثر من مرّةٍ على لسان قيادات محور المقاومة، لم يكن أمام أمريكا إلا التفكير الجدِّي

في تصفية قيادات الحشد بوصفها التهديد الحقيقي للمشروع الأمريكي في العراق والشرق الأوسط عموما، وقد عملت أمريكا بمختلف الوسائل من أجل تحجيم أمكانيات محور المقاومة والحشد الشعبي، ولعلها اليوم تعمل بشكل أكثر سلاسة في ظلِّ وجود أدوات لها في أعلى مراتب الدولة وتنفذ أوامرها من دون أنْ تكون أمريكا في الواجهة بشكل معلن، ومن المناسب أنْ ندرك أنّ القرارات التي صدرت في تغيير القيادات الأمنية إنما جاءت في مصلحة داعش وسيده، وبذلك يمكن القول إنّ السياسة تصنع ما تعجز عنه المواجهة في ساحات القتال ويمكنها أنْ تكبح جماح الأبطال بكلمات تمنعهم من ممارسة نشاطهم البطولي ضد الإرهاب، وقد أثبت (زور كنعوص) أنّ من يصرُّ على محاربة داعش فإنّ مصيره الجلوس في بيته ليبقى الأمر سرا معلنا تتبناها أمريكا وتنفذها أدواتها، فهل من معتبر.

أفريقيا في حينا

004

ما أن يطرق سمعنا لفظ (أفريقيا) حتى تتسارع إلى نفوسنا مفاهيم المظلومية والفقر والعوز مع العلم أنّ في أفريقيا كنوزاً من المناجم الطبيعية والإمكانيات والثروات التي يمكن أن تسعد أهلها لولا التآمر الدولي الذي قبع على هذه القارة المتميزة بخلق أبنائها وطبيعتهم الهادئة والأمينة فلم نسمع أنّ دولة أفريقية صنعت لنفسها امبراطورية لغزو العالم أو استعبادها كما هي نزوات الغرب منذ كانت وإلى اليوم.

أما ما يمكن أنْ يلفت نظرنا أيضا من ذكر أفريقيا فهو الفقر الذي لا يعدُّ منقصة بالنسبة لأهلها ولكن حينما تغادر هذه الكلمة سياقها ودلالاتها الخاصة إلى أن نتصورها في غير محلها فتلك فاجعة بحق الفرد والمجتمع. فاليوم بات مفهوم الكلمة في غير محلها. فمثلا نجد أنَّ أكثر أبناء المجتمع يعيش الفقر في الثقافة الدينية، ويتكأ على غيره حتى في المسائل الواجبة التي ينبغي على كلّ فرد أنْ يتعلمها كأحكام الشكوك في الصلاة وأحكام الطهارة وغيرها، بل زاد الناس على ذلك فقد بدأت مظاهر العولمة اللادينية مستساغة عند أغلبهم، وأخذ بعض الناس ينظر إلى رجل الدين على أنّه الوباء والبلاء وهذه واحدة من أهم غايات قوى الشر والضلال.

وأما الفقر الذي لا تخفى دلالته بحسب الظاهر الذي يعيشه اليوم كثير من أبناء الوطن بسبب السياسات الخاطئة والتحديات الكبيرة ومنها تسلط قوى الشر على الإرادة الوطنية وتمرير الصفقات الفاسدة التي أنهكت العباد والبلاد ولم تقدم شيئا للوطن والمواطن فهذه من الجرائم الكبيرة التي يتحملها الساسة الذين باعوا آخرتهم بدنيا معاوية العصر أمريكا، فكان جراء ذلك تراكم أنواع الفقر في البلاد.

ومن أبرز ما ابتلي به الناس والساسة على وجه الخصوص الفقر السياسي الذي تحول عند بعض الناس إلى مهنة يمتهنها، فيتقلب حيثما دارت معيشته ولا يلتزم بقانون ولا عقيدة حتى تحول عند بعضهم من الفقر السياسي الى العهر السياسي والعياذ بالله، والأصل أنّ الإسلام كمنظومة متكاملة قاد الناس والمجتمع بسياسته المتّزنة عبر العصور فكسب قلوب الصالحين واستمالهم إلى جانبه.

إنّ ما ينبغي أنْ يلتفت اليه الناس جميعا هو أنّ الفقر بالمعنى العام ليس منقصة بل هو ابتلاء كما الغنى ولكن العيب أن تكون فقيرا في أخلاقك وآدابك وقيمك، وأن تكون سلعة رخيصة بأيدي طواغيت العصر يتلاعبون بك فتتلاعب بمقدرات الأمة وأبناء الوطن، وعلى المؤمنين أنْ يمارسوا دورهم التبليغي بما يتناسب مع متطلبات العصر وثقافة المجتمع وأنْ لا يكون هناك شرخٌ بين الدين والمتدين، وينبغي أنْ تكون أفريقيا رمزا للإباء والصمود على الثوابت والمقدسات، وساحة نضال لأهل الكرامة والإيمان.

أقلام آيلة إلى السقوط

005

كشفت التجربة أنّه ليس بمقدور الجميع أنْ يعيش حرًّا، فكثير من الناس لا يستطيع أنْ يعيش إلا عبدا، وقطعا فإن حياة العبيد مختلفة عن حياة الأحرار شرعا وعرفا، فالعبد مقيد بسلسلة من الضوابط ليس له أنْ يفعل ما يشاء أو يقول ما يشاء كما الأحرار، والمشكلة أنّ كثيراً من الناس لا يُحسن شيئاًمن فنّ العبودية، فقد يسيء إلى العبودية ويزيد طينتها بلَّة، وخاصة إذا كان هذا العبد ذا قلم ينطق أو يحاكي المحيط الذي يعيشه فينطق بما يصدر عن صاحبه، والمعلوم أن الأقلام لا تستسيغ الحياة إلا حرَّة أبيّة، فإن أُسيئ استخدامها انقلبت على أصاحبها.

ولو أمعنَّا النظر في تأريخ الأقلام وما تنتجها من الخزعبلات والآفات لوقفنا على كثير منها، فكما هو معلوم أنّ الأقلام كتبت طلبا للمال تارة وللشهرة أخرى أو قد يكون بدافع الخوف فتُسَّطِر الكلمات في غير موضوعها، وهذا الأمر ليس وليد اليوم، فكثير من الرعاة كتبوا وزينوا التاريخ الأسود لأعتى طواغيت الدنيا كالذين كتبوا عن معاوية على أنّه الداهية والحاكم الذين قاد المسلمين في ظروف صعبة أو بعضهم كتب عنه أنّه خال المؤمنين وغير ذلك كثير. والحال أنّ الأيام كشفت حتى عند محبيه والمخدوعين به أنّ معاوية ليس له أصل ولا فصل؛ بل لم يُعرف والده إلى اليوم ونسب إلى أبي سفيان غيلة، وبعد أن تبيَّن الأمر جليا سقطت قيمة الأقلام التي زينت ونقشت التاريخ لصالح معاوية، بل سقطت بسقوط معاوية، وهكذا الحال مع من كتب كثيراً عن الصورة البراقة لهدام عليه اللعنة والعذاب ولكنه لم يقاوم المدَّ التصحيحي الموجه الذي أخذ على عاتقه فضح السرائر وكشف المستور فذهبت الصور التي نقشت أدراج الرياح وسقطت.

والمؤسف أنّ المسيرة مستمرة فلا يزال هناك كثير ممن لا يحسنون إلى القلم وقد أيقنوا أنّه ستأتي النوبة عليه ويسقطون كما سقط كثير مثلهم قبلهم، والمشكلة في هذا الأمر أنّ العبيد الذين يكتبون لا يكتبون لأنفسهم؛ بل لغيرهم وحينما تنكشف الحقائق فإنّ الذي يسقط أولا صاحب القلم الذي استأجر نفسه لغيره، وهؤلاء بطبيعة الحال قد انقسموا على فريقين فمنهم من يكتب وهو يعلم أنّه لا يكتب الحقيقة إلا أنّه يكتب لغرض زائل

وعـارض ومنهـم مـن يكتـب ويتصـور أنّـه يكتـب الحقيقـة وهـذا هـو الجاهـل المركـب الـذي يسـتلزم نصحـه وإرشـاده.

والـذي يهمنـا في الأمـر أنّ حيـاة الأقـلام لا تكـون إلا حـرَّة وهـي لا تسـتمد قوتهـا إلا مـن الحقيقـة، ولابـد مـن احـترام عقـول المجتمعـات عنـد تسـطير الكلمـات؛ لأنّ مـن حـق النـاس والمجتمـع عـلى الكاتـب أنّ يكتـب لـه الصحيـح والواقـع، وكلمـا يصـدر عـن القلـم فهـو بعـين اللـه تعـالى، ويحاسـب الكاتِـب عـلى مـا يكتـب؛ بـل إنّ جميـع مـن يصـدر عـن الإنسـان يكـون بـين يديـه يـوم لا ينفـع مـالٌ ولا بنـون إلا مـن أتـى اللـه بقلـب سـليم، ولعـل أفضـل تشـبيه للأقـلام المأجـورة أنّهـا كالبخيـل الـذي يعيـش في الدنيـا عيـش الفقـراء ويحاسـب في الآخـرة حسـاب الأغنيـاء، كذلـك الكاتِـب المأجـور فقـد انتفـع بقلمـه مـن لا يسـتحق ويقـف غـدا بـين يـدي اللـه تعـالى ويُسـأل عـن كل كلمـة كتبهـا في غـير أهلهـا وكانـت سـبب سـقوطه في دنيـاه قبـل آخرتـه.

إني أشم ريح وهب

006

تدور الأيام بكلِّ ما فيها من الابتلاءات؛ لتكشف معادن الرجال وتميزهم عن الذكور بما يتمتعون به من الامكانيات التي حيَّرت أعداءهم وشتتت جمعهم مع تكالبهم على استغلال الفرص التي تهيأت لهم للنيل من الذين وهبوا أنفسهم لإثبات المواقف النبيلة والدفاع عن الحق وإنْ قلَّ ناصره بكلِّ صنوف الوفاء والايثار ليبقى الشموخ عنوانا للرجال على الرغم من حجم البلاء.

إنّ الرجل لا تُحدُّه هوية ولا لون ولا معتقد ولا دين، فقد جمع الحسين (عليه السلام) تحت لوائه خيرة الرجال ومن مختلف الجنسيات والقوميات والأديان، وممن كان معه وهب المسيحي الذي ضرب أروع الأمثلة في الدفاع عن الحق وأهله، وصارع الغلمان وقاتلهم حتّى ظنّ بعض الموجودين وقتئذٍ بمسيحيَّته؛ بل تصوروا أنه من أهل البيت (عليهم السلام) ورجالهم الذين اختبرهم الزمان وابتلاهم القدر فكانوا كما الصاعقة على قلوب أعدائهم، إذ شتتوا الجمع الكبير بإيمانهم وأرعبوهم ففرَّ منهم من فرّ ومات منهم من مات حتى أخزاهم الله تعالى عن بكرة أبيهم، وحفظ التاريخ رجال الحسين(عليه السلام) بمزيد من الكرامة والمقامات التي يمكن وصف أقلِّها بالخلود فمع الحسين(عليه السلام) حياة بلا ممات ولا زوال.

إنّ ما أقدم عليه المسيحي السيد جورج قرداحي من الوقوف بشرف إلى جانب الحق وكشف المستور من جرائم آل سلول ضد الأبرياء من أبناء الشعب اليمني الأبي يكشف عن طينته الطاهرة، وسجيته النقية التي لم تنهزم أمام تهديدات معسكر يزيد المتهاوي والمتمثل بأعداء الشعب اليمني اليوم، والذين اجتمعوا فيما بينهم من أجل مزيد من الضغط على لبنان حكومة وشعبا ليتراجع الرجل عن تعليقاته، ولكنّه أصبح أكثر اصرارا على موقفه الذي يُعدّ بحق موقفا مشرِّفا وإنْ أحاط به عدد من الضعفاء الذين انقبضت ذكورتهم خوفا من سطوة البائسين المجتمعين ضد الحق وأهله.

إنّ المجتمع اليوم لا يختلف كثيرا عن عصر الحسين(عليه السلام) من جهة تسلط الفاسدين وانقيادهم لأمراء الضلال من اليهود والصهيونية المتمثلة اليوم بالحركة الصهيوأمريكية والمتربعة على عرش المزالق نحو هاوية التعنصر والاصطفاف الطائفي البغيض الذي كشف عن زيف

ادعاءاتهم الإسلاميَّة بوقوفهم أمام الحركات الثائرة نحو التخلص من الهيمنة الغربية التي قبعت على قلوب الشعوب المستضعفة نتيجة ضعف حكامها من أشباه الرجال وتسلقهم وتملقهم ارضاءً لأسيادهم من المارقين عن الدين والإنسانية.

إنّ أمثال جورج وإنْ ندروا في عصرهم إلا أنهم أحدثوا تحوُّلا في الاستعدادات أمام الأعداء وإنْ قلَّ ناصرهم، وهذا يفيد بأن طريق الحق منتصرٌ وأن رجاله أحياء لا يموتون، وهم على قلَّتهم يرهبون أعداهم ويزلزلون عروشهم ويهزمونهم ولو بعد حين، ومن جهة أخرى فالدروس لم تنتهِ؛ إذ أفادت تجربة جورج أنّ المستضعفين سينتصرون والله تعالى يهيئ لهم أسباب القوة والظفر؛ ليبقى صوت الأحرار عبر أثير الزمن مدويًا بلغةٍ ثوريَّة تشعرنا بنكهة الفيض الإلهي وتخبرنا بأنّ الأحرار لا يموتون وأنّ وهباً المسيحي قد وُلد بنسخة جديدة تمثل في ولده القرداحي الذي أعاد أمجاد جدِّه بكل فخر وسرور؛ ليبقى صوت الحق عاليا وإنْ ضج العجاج وازدحم أشباه الرجال.

بنو العباس بعد بني أمية من جديد

007

استبشرت الأمة بعد سقوط طاغوت العصر المتمثل بدولة بني أمية بمجيء حكام بني العباس الذين رفعوا شعار الرضا لآل البيت(عليهم السلام)، فظن الناس أنّهم من أهل الخير الذين يتبعون الإمام المعصوم فالتفوا من حولهم، وساعدوهم في الوصول إلى سدّة الحكم والقضاء على آخر معاقل بني أمية آنذاك، فلما استقرّ الأمر لبني العباس أحدثوا من الفساد ما لم يحْدثه طغاة بني أمية ولم يكونوا أقلَّ دموية من سابقيهم. فقد قتلوا أكثر الأئمة المعصومين(عليهم السلام) وفتكوا بأنصارهم وشيعتهم الذين انتهى بهم الأمر بين قتيلٍ وسجين وهارب على سبيل الخلاص من بطش بني العباس، فأخذ الناس يتحدثون عن ظلم بني العباس، واستغل الأمر أنصار الأمويين فراحوا يزينون صورة بني أمية في أعين الناس حتى ظن كثير من الناس ولاسيما من الأجيال اللاحقة أنّ حكام بني أمية كانوا على خير؛ خاصة أن ما أحدثه بنو العباس من الظلم والفساد فاق التصورات وكلَّ التوقعات.

ما أشبه اليوم بالبارحة! نعم فبعد سقوط صنم العراق الدموي الذي قبع على رقاب الناس لسنوات طوال حتى أهلك الحرث والنسل، استبشرنا بالعراق الجديد الذي تزين بوعود كثيرة وانطلق حكامها من رحم المعاناة والحرمان؛ بل تصدى للواقع الجديد كثير من الأحزاب والشخصيات من مختلف الشرائح العراقية التي كانت مهجَّرة ومحكومة بالإعدام والنفي التي قضت سنوات كثيرة بين الدول والبلدان بعيدة عن الوطن وترابه ومائه، فلما دخلوا إلى العراق كان كثير منهم يتباهى بقبلة من أرض السواد وقد ذرفوا الدموع كالتماسيح فظنّ النّاس أنّ هؤلاء من نبحث عنهم لقيادة العراق؛ بل تصور المؤمنون بأنَّ الله استبدلهم بخير كثير بعد أنْ صبروا على بطش صدام الدموي والإرهابي.

نعم ما أشبه اليوم بالبارحة، فقد أحدثت الحكومة من الفساد حتى ظنَّ الناس الخير بالطواغيت وبات فتى تكريت رمزا عند كثير من الناس، ودارت الأيام على المؤمنين من جديد فليس هناك من يحسدهم على ما هم عليه، فبعد أنْ سارع المؤمنون بتأييد كثير من الشخصيات والأحزاب التي تشكلت من أجل قيادة العراق الجديد تبيَّن لهم أنّ هؤلاءِ أيضا ليسوا أهلا للثقة فقد فشلوا فشلا ذريعا بائسا، وابتعدوا عن الخير كلِّه، وحاولت

المرجعية أن تكفَّهم عن غيِّهم بتوجيههم ولكنها لم تفلح؛ لأنّ القوم قد تلوثت قلوبهم قبل أيديهم بالفساد فغلب عليهم ذلك وباتوا أقرب إلى مثال بني العباس بعد أنْ استقرّ لهم الأمر.

إنّ الوضع اليوم أكثر تعقيدا وخطورة ليس فقط لأنّ أنصار صدام الدموي يروجون له ويحاولون أن يضحكوا على السفهاء وأبناء الجيل الجديد الذي لم يعيشوا أيام الطاغوت الظالم بإظهار الوجه الحسن اللامع لحكومة البعث الكافر ويحدِّثونهم عن بطولات وقدرات صدام الذي عاث في الأرض الفساد، وإنما تكمن الخطورة في فشل أكثر الأحزاب والشخصيات التي انسلخت من برامجها ومناهجها الإصلاحية وأصبحت دمية بيد الشيطان الأكبر تُسيِّرها على حسب رغبتها؛ لتكرِّس فشلهم وتسقطهم من أعين الناس، مع أننا نتفق على أنّ هناك من الأحزاب والشخصيات من يتمتع بالنزاهة والأمانة وقد أثبتت التجربة محاولة بعضهم من أجل إنقاذ العراق كما صنعت حكومة السيد عبد المهدي التي أصبحت ضحية الإرادة الأمريكية وسفهاء الشعب والجوكرية خاصة بعد أن عمدت إلى صفقة الصين والتنسيق مع الشركات العالمية من أجل إعادة هيكلية ملف الكهرباء الذي تقصدت أمريكا بتعطيله على الرغم من إبرامها العقود الكبيرة التي سرقت بموجبها أموال العراق وواردات وسلبتهم راحتهم وعكَّرت نجاح الحكومات الطامحة إلى خدمة العباد والبلاد.

إنّ من المهم علينا جميعا أنْ ندرك أنّ الحكومات المتعاقبة مثَّلت دور بني العباس بشكل نسبي وكان أساس فشلها وسقوطها في أعين الناس ميلها إلى التعامل مع الشيطان الأكبر فكما كان بنو العباس ضحية الشيطان فطاش سهمهم وزاغوا عن الحق وأكثروا الفساد كذلك أكثر الأحزاب أصبحوا كبني العباس بعد أنْ أصبحوا بيد الشيطان الأكبر، وهذا الأمر بحد ذاته درسٌ لمن يريد أنْ يتولى العراق فليس هناك إصلاح أو إعمارٌ أو تقدمٌ دون الخلاص من الشيطان الأكبر والابتعاد عن سطوته ومخططاته التي يطمح فيها إلى تدمير العراق والعراقيين.

بين شعارين : (نريد وطن، نريد راتب)

008

استبشر كثير من العراقيين بما يسمى بثورة تشرين التي شابتها التأويلات والبعد عن الهم الوطني مع أنّها تزينت بشعارات براقة كشعار (نريد وطن)، وما أجمله من شعار حينما يطلقه عشاق الوطن وأبناؤه من دون أنْ يكونوا مسيرين بأجندة خارجية مسمومة تسعى إلى إشعال الشارع العراقي بزجِّ مجموعات من المسوخ تعمل على تحريف المطالب وتخريب الوطن وتعطيل الحياة في جوانب مختلفة استجابة لأوامر خارجية كانت ولا تزال تحاول أنْ تجعل من العراق ساحة لتحقيق مشاريعها الاستعمارية من دون أنْ تفكر بتحقيق شيءٍ من طموح الشعب الثائر من أجل قضيته.

ومن المعلوم أنّه مع انطلاقة شرارة المظاهرات كان الهمُّ الوطني متوجها نحو الإصلاح العام، وكان الجميع يتأمل الوصول إلى ذلك، ويوما بعد آخر أخذ الأمر ينكشف للجميع، وباتت الشعارات تتراجع وكأنها تركت الطموح لتستقرَّ عند حاجز الاستحقاق المنهوب، والأمر بات أشبه ما يكون بدرجات الشدة والقسوة، فكلما زادت انكسرت أسنة الطموح لترضى بالقليل اليسير. ومثاله مثال المسجون الذي نقل من السجن العام إلى الخاص، فصار يطلب الرجوع إلى السجن العام وترك قضيته الأساسية وهي دعوة الخروج من السجن، فلما اشتد عليه الأمر أكثر ونقل إلى سجن خاص صغير؛ صار يطمح فقط بالسجن الواسع حتى إنْ لم يكن عاما، ولما ضيِّق عليه أكثر صار يطالب بالسجن الانفرادي الذي كان يشكو منه قبل ذلك، وهذا الأمر يذكرني بمطالب المتظاهرين بشكل خاص والشعب بصورة عامة؛ فبعد أنْ كانت المطالب تتزين بدعوة إصلاح المؤسسات وشعارات (نريد وطن)، أصبح الجميع اليوم ينادي بشعار (نريد راتب)، وهذا الأمر كان مخططا له، وقد نجحت الإرادات الخارجية إلى حدٍّ ما في تحقيق رؤيتها بإسقاط الحالة الوطنية من قلوب العراقيين، والوصول بهم إلى ترك الطموح والتهويل من أجل الحصول على المستحقات.

إنّ المؤامرة الخارجية لن تنتهي إلى هذا الحدِّ، فالعراق بلد الخير والوفرة صار يستجدي مستحقات الرواتب، وهذا الأمر يدعو إلى مراجعة السياسة العامة في العراق ولاسيَّما السياسة المالية المتعثرة، فالتهديدات قائمة وقد يعلن العراق عن إفلاسه إذا استمرَّ الأمر على ما هو

عليه، وينبغي على حكماء القوم تدارك السقوط في الهاوية، والبحث بجدية أكثر عن السبل التي يمكنها أنْ تعمل على إنقاذ العراق، ولعل هذا الوضع يوجب على المعنيين مراجعة العقد مع الصين والابتعاد عن السياسة الأمريكية التي قبعت على الواقع العراقي لأكثر من سبعة عشر عاما وكرست الطائفية والمحاصصة بين العراقيين؛ ليكونوا جميعا شركاء في الفشل والسقوط بعد أنْ كان الأمل هو النجاح والوصول إلى برِّ الأمان في ظل استعادة العراق عافيته وخلاصه من طاغوت العصر آنذاك.

بين صهريجين

009

لا يـزال الخطـاب العراقـي في العمـوم يخضـع لأبعـاد عاطفيـة محكومـة بسلسـلة مـن الأفـكار التـي تعشعشـت في قلوبنـا بعـد أنْ ارتضينـا بـأنْ نجعـل زادنـا المعـرفي عـبر قنـاة اللاوعـي؛ لتكـون الثقافـات الدخيلـة هـي الحاكمـة والفاعلـة في الوسـط الاجتماعـي الثائـر عـلى نفسـه والمبتعـد عـن صفـاء المـوروث الـذي كان عليـه عامـة أبنـاء هـذا الشـعب المنكـوص عـلى عقبيـه فلـم يقـوَ عـلى التمييـز بـين الصديـق والعـدو؛ بـل أصبـح في تيـه الضلالـة بعـد أن اختلـط عليـه الأمـر نتيجـة السياسـات التـي اتبعهـا أبنـاء السـفارات وهـم يعملـون عـلى تغذيـة عقولنـا بسياسـة العقـل الجمعـي الـذي بـات يعسـكر عـلى الإرادات الحاكمـة.

إنّ عـدم التمييـز بـين مـا يحيـط بنـا مـن الأصدقـاء والأعـداء هـدف كبـير عملـت عليـه مختلـف الجهـات الدوليـة حتـى أصبـح أكثـر الشـعب لا يفـرق بـين دعـم الجمهوريـة الإسـلامية للعـراق وفي مختلـف الوسـائط وبـين العـداء التكفـيري السـعودي المفضـوح في مختلـف الميادين، أو العداء الأمريكـي الواضـح الـذي ترجمتهـا أمريـكا عـلى لسـان عتاتهـا الذيـن تولـوا حُكمهـا.

ولسـت هنـا في مقـام الدفـاع عـن الجمهوريـة الإسـلامية التـي كشـفت الأيـام عـن صلابتهـا وقوتهـا وثباتهـا عـلى المبـادئ حتـى هـزّت الـدول الكـبرى التـي اضطـرت إلى احـترام إيـران كدولـة قويـة وذات سـيادة، ولكـن أحببـت أنْ أكشـف قـذارة المحيـط العـربي بشـكل عـام وخاصـة حـكام الخليـج الذيـن لا يمثلـون إلا عبيـدا بيـد القـوى الكبـيرة وخاصـة محـور الـشرِّ الـذي وجـد في الخليـج مرتعـا ومسـتنقعا يمكـن أنْ يلبـيَ حاجـة الـدول الكـبرى والمهيمنـة التـي عمـدت إلى الاسـتحواذ عـلى مقـدرات الثـروة في الخليـج بشـكل عـام، واسـتعبدت حـكام الخليـج فصـاروا إلى التطبيـع كالقطيـع.

والـذي ينبغـي أنْ ندركـه هـو أنّ هنـاك فرقـا كبـيرًا بـين رؤيـة الجمهوريـة الإسـلامية للعـراق وبـين حـكام الخليـج ولاسـيما آل سـعود؛ لذلـك لا يجـوز المقارنـة بينهمـا، خاصـة بعـد أن انكشـف بشـكل واضـح أنّ كثـيرًا مـن الصهاريـج الإيرانيـة دخلـت العـراق وكانـت تحمـل غـاز الأوكسـجين لمـرضى كورونـا إضافـة إلى المئـات مـن سـيارات الشـحن التـي حملـت المسـاعدات والأجهـزة التـي تمكـن العـراق مـن مواجهـة البـلاء؛ عـلى خـلاف الصهاريـج السـعودية التـي كانـت تدخـل

العـراق منـذ سـنوات وتحمـل الانتحاريـين والمفخخـات وتسـببت بقتـل مئـات مـن العراقيـين وفي مختلـف المحافظـات؛ لذلـك كيـف يمكـن أنْ ننظـر إلى إيـران والسـعودية بنظـرة واحدة ومتسـاوية، وهمـا مختلفـان فواحـدة منهمـا تسـعى إلى حياتنـا وأخـرى تتـبرك بقتلنـا وسـفك دمائنـا فمـا لكـم كيـف تحكمـون ؟

بين كورونا والكهرباء

010

في ظـلِّ شـمس تمـوز المحرقـة وسـاعاتها الطويلـة بـات المواطـن أسـيرا لا يهتـدي بـين سـندان الكهربـاء ومطرقـة كورونـا، فاليـوم أكثـر مـن أي وقـت آخـر نتعـرض وبصـورة جماعيـة إلى الاسـتفزاز النفسي والمجتمعي في ظـلِّ التراجـع الحكومـي الـذي ارتـضى أنْ يجلـس عـلى التـلِّ ويدَّعـي التألـم والتأثـر بمـا يلاقيـه الشـعب مـن الويـلات والنكبـات خاصـة بعـد تفاقـم الأزمـة الصحيـة والتراجـع الملحـوظ في أداء خليـة الأزمـة وفي إدارتهـا وتخبطهـا لمحنـة جائحـة كورونـا التي تقف خلف الأبـواب مهـددة فـلا تمهـل المواطـن الهـارب مـن سـطوة الكهربـاء الوخيمـة.

سـيدي وزيـر الكهربـاء قطعـا لسـت أنـت الفاشـل الوحيـد في هـذا البلـد، فالفشـل أصبـح عنوانـا عامـا يـلازم كثـيرا مـن المسـؤولين ولا ينفـك عنهـم. ولكـن كمـا تعلـم فقـد دارت عـلى الشـعب الدوائـر، وزادت عليهـا محنـة الكهربـاء محنـة ملحـة، فالنـاس بـين خيارين أحدهمـا أشـد مـن الآخـر، فإمـا أنْ يتحمـل الجلـوس في البيـت مـع الكهربـاء المتعثـرة التـي أهلكـت الإنسـان والأجهـزة الكهربائيـة كثـيرا لقلتهـا أو لضعفهـا، وأمّـا أنْ نخـرج لمواجهـة كورونـا في الشـوارع؛ لأنّ البيـت لا يطـاق مـن دون الكهربـاء وفي الحالتـين فأنـت تتحمـل المسـؤولية الكبـيرة لفشـلكم في إدارتكـم للـوزارة.

سـيادة المعـالي هـل لكـم أنْ تواجهـوا النّـاس عـن حقيقـة مشـكلة الكهربـاء، هـل لكـم أنْ تجهـروا للنـاس أنّ أزمـة الكهربـاء هـي نتيجـة إرادة دوليـة؛ بـل هـو قـرار سـياسي اتفـق عليـه الساسـة مـع الغـرب مـن أجـل الاسـتمرار في تعطيـل الماكنـة الصناعيـة العراقيـة؛ لأنّ إعـادة الصناعـة العراقيـة بمعنـى عـدم الحاجـة إلى الاسـتيراد، وعـدم الاسـتيراد بمعنـى الانتهـاء مـن إبـرام العقـود والصفقـات التـي تعتـاش عليهـا أكثـر الأحـزاب الفاسـدة التـي جعلـت لأنفسـها ممثلـين في مختلـف القطاعـات والـوزارات لـلإشراف عـلى تقسـيم الحصـص والامتيـازات وعـلى حسـاب الشـعب المظلـوم.

سـيدي معـالي الوزيـر هـل لكـم أنْ تقولـوا للنـاس إنّ الاسـتقرار في الكهربـاء سـيخدم الاسـتقرار الاجتماعـي والاسـتقرار الاجتماعـي سـيخدم الاسـتقرار السـياسي وهـذا مـا لا يرضـاه المتحكمـون في السياسـية العراقيـة الذيـن يجـدون في الاسـتقرار السـياسي تهديـدا لوجودهـم في

منصة القرار والتحكم، ومن جانب آخر فالوزارة تشرف على السرقة المبرمجة في العمل على ضياع الكهرباء قبل وصولها إلى المواطن، حيث كشفت بعض التقارير عن المسؤولين أن نسبة ٥٨٪ من الكهرباء تضيع ولا تصل إلى يدي المستفيد بسبب تهالك الشبكة وهذا الأمر مقصود؛ لأنّ هناك من ينتفع منها.

سيادة المعالي هل أنّ الدولة عاجزة عن وقف التجاوزات التي بلغت ٨٠٠ ألف تجاوز على شبكة الكهرباء بحسب بعض المصادر الشبه رسمية، أم أنّ قوة القانون لا تفرض إلا على الفقراء من أبناء هذا الشعب، وتعملون على وصفهم ما يناسب مرحلتكم، فبالأمس كان المتظاهرون أصحاب الحق حتى أجبروا الحكومة على الاستقالة وإلغاء العقود الكبيرة التي كانت ضمان التقدم والازدهار، واليوم بحسب تقرير ممثلة الأمم المتحدة في العراق أصبح المتظاهرون مخربين وعصابات ومحسوبين على الجهات التي لا تريد الاستقرار للأوضاع.

سيادة المعالي ستذهبون كما ذهب من كان قبلكم وسوف يخلدكم التاريخ فاسدين بما ارتكبتم من الحماقات التي انتشرت نتانتها حتى بلغت حدَّ الإعياء بالنسبة لقوة الشعب وإرادته، وسوف ننتظر اللقاء في المحكمة التي لا تستطيعون دفعها ولا تأخيرها وسيكون خصمكم اليتيم والفقير والقاضي هو الله والمحكمة عرصة القيامة والساعة ساعة الندامة ولات حين مناص.

بين نارين لا خيارين

011

تتسارع الأحداث وتتوقَّد وتنبئُ بأيام حبلى ومستقبل كأنّه على كفٍّ عفريت يتلاعب بمصير العباد والبلاد فلا يستقرُّ فيه أمرٌ ولا يثبت فيه حقٌّ وكلٌّ يشعر بالمظلومية وإنْ كان ظالما فالموازين اختلفت والمبادئ تلاشت في مهب الرياح والقوى المتصارعة والتي لبست ثوب الإصلاح وحقوق الإنسان وتزينت بدماء الشهداء والثكالى والجرحى الذين أدركوا أنّهم كانوا حطبا لجهنمَ سعَّرته أيادٍ خبيثة تخلت عنهم بعد أنْ استغلت قواهم وشبابهم وحيويتهم.

إنّ المتأمل في الأوضاع التي تتقلب يوما بعد آخر نحو الأسوأ خاصة في المحافظات الجنوبية يدرك تماما أنَّ الأعداء يعيشون الآن نشوة الانتصار. خاصة بعد أنْ نجحوا في نزع آخر ما تبقى من الحياء والغيرة في قلوب أبنائنا فلم يمنعهم المحرم الحرام وحرمة الحسين(عليه السلام) من الاحتفال والرقص والغناء بعد أنْ قاموا بهدم مقرات الأحزاب والتيارات ظنًّا منهم أنهم وقفوا على العلّة، ولا يعلمون أنّهم في حقيقة الأمر قد تم استغلالهم شرَّ استغلال، فحرمة هذه الأيام معتبرة وكبيرة في قلوب عشاق الحسين(عليه السلام)، وقد تجاوز السفهاء كل الاعتبارات والقيم في طاعتهم للشيطان الأكبر وعملهم المشين والسيء سواء في استهداف مقرات الحشد الذي كان وما زال الحامي والناصر للعراق وأهله، أو في تركهم للمحتل وأعوانه وتوجههم إلى حرق الدوائر الرسمية أو مقرّات الاحزاب وإنْ كان بعضها فاسدة أو بعيدة عن طموح أبناء الشعب، فالهدم والحرق ليس حلًا؛ بل هناك محاكم وقوانين يمكن بها إيقاف جميع الفاسدين إذا صلحت الدولة ومحاكمها واستطاعت أنْ تكون مع الحق وأهله.

واليوم أكثر من أيِّ وقت مضى ينبغي على شيوخ العشائر والوجهاء والمؤثرين في الأوساط الاجتماعية تدارك الأمر وتفويت الفرصة على الشياطين الذين استطاعوا تجنيد أبنائنا بطريقة محترفة ومن دون رسميات فانساق الشباب إليهم دون وعي ودون معرفة بالمخطط الذي يعمل عليه أعداء الوطن والعرض والأرض حتى أصبحنا بين نارين لا ثالث لهما، فإما أنْ نهدم بيوتنا بأنفسنا ونصبر على فساد الجوكرية والعملاء الذين سرقوا منا أبناءنا فأصبحوا يروجون لحالة الفوضى وكأنَّ الانتصار صار بتحييد الشرفاء وتحجيم الحشد والقوى

الوطنية؛ ليتمكن العدو من تحقيق كل أهدافه، وهذا مجانبٌ للصواب. لذلك ينبغي أنْ نعمل على إيقاف الباطل بأي ثمن كان؛ لأن الخيار الآخر هو الأشدُّ وهو أنْ تكون مع الشيطان الأكبر وهذه هي اللحظة التي ينتظرها العدو ويكون قد حقق كل ما يريده وأول أهدافه مصادرة الوطن وجميع الوطنيين ولاسيما العلماء والمرجعية وكلّ الشرفاء في هذا الوطن؛ لنكون بين يديهم كما هم اليوم عملاء الخليج الذين صاروا إلى التطبيع المخزي فخسروا دنياهم قبل آخرتهم. وهذا الأمر أحد أهداف الشيطان الأكبر في العراق أيضا خاصة بعد أنْ وجد استقبالا من السفهاء فضربوا المقدسات عرض الحائط فلم يميزوا بين الحق والباطل ولم يعتبروا بغيرهم حتى يحترقوا ويحرقوا معهم هذا الوطن ويجعلوه ذيلا ذليلا تابعا للصهيونية والاستعمار.

بين نيجيريا واليمن سقط القناع

012

واحد من العناوين البراقة والجميلة التي تتصدر المواقع المختلفة والصحف والمجلات الإقليمية والعالمية هو عنوان (حقوق الإنسان)، وقد ركز هذا العنوان عمله على مستوى المنظمات المختلفة، والمواقع الرصينة والمدعومة بالشبكات الدولية التي تنادي جهاراً نهاراً بالحقوق الإنسانية أو تدعي ذلك؛ لتجعل لنفسها مكانة في قلوب الناس وتشغلهم عن أهدافها الرئيسة التي تكمن في خدمة الدول الاستعمارية والصهيوأمريكية والتي تتراقص على جراحاتنا المثخنة بدماء الشهداء والجرحى، تاركين خلفهم الآلاف من الثكالى وأهل العوز في ظل ضمائر لا تمت إلى الإنسانية بصلة.

إنّ المنظمات التي تدَّعي حقوق الإنسان عمدت إلى تزييف الحقائق وقلب الموازين لصالح الظالمين على امتداد تاريخها الحافل بالنكبات والجرائم، فبعد أنْ سرقت عددا كبيرا من أبنائنا المثقفين بتجنيدهم لممارسة تشويه الحقائق وقد أصبحوا أدوات بيديها بعد أن تم تزويدهم بالثقافة العكسية عبر قناة اللاوعي فتصوروا أنهم يحسنون صنعا وقد انغمسوا في قمامة الشيطان، فلم يفرِّقوا بين أصحاب الحق وأصحاب الباطل؛ بل عمدوا إلى الباطل حتى صاروا عونا له؛ لأنّهم ينظرون عبر نافذة محددة لا ترى إلا وجها واحدا على جانبي العملة.

إنّ الشباب الواعي والمثقف ينبغي عليه أنْ لا يتأخر كثيرا في التفريق بين الواقع الصحيح والمزيف؛ لأنّ ذلك سيكون له الأثر الأكبر في التوجه والعمل. فمن الثابت عندنا ضرورة معرفة الحق لتعرف أهله، فإذا توفقنا لمعرفة الحق سنتوفق لمعرفة أصحاب الحق فلا ننخدع بما يظهر من ظاهر المجتمع بشكل عام والمنظمات بشكل خاص. وعلى الجميع أنْ يلتفت إلى خطورة الوضع وعدم الانسياق إلى الدعوات التي تتزين بالمطالبة بحقوق الإنسان بشكل غير عملي؛ بل تحاول أنْ تسخر منا لتثبت حضورا في سجلات المطالبين أو تتغافل في كثير من الأحيان عن واجابتها الرئيسية التي تبرعت بالدفاع عنها أو أنّها من بين اهتماماتها النصية بحسب القانون والواقع.

واليوم بعد أنْ تنصلت المنظمات الدولية الإنسانية عن واجباتها الإنسانية في اليمن ونيجيريا ووقفت موقف المتخاذل من قضيتهم؛ بل وقوفها مع أعدائهم بالسكوت عن الجرائم التي ترتكبها الوهابية السعودية ومحور الشرِّ معها في اليمن وكذلك ما ترتكبها القوات الحكومية الظالمة والمنظمات الإرهابية في نيجريا تحت رعاية الأمم المتحدة والشيطان الأكبر، لم يبقَ أمام المجتمع الإنساني إلا طرد المنظمات التي تدعي الإنسانية ولا تعمل عليها، وكذلك التصدي إلى قرارات الأمم المتحدة التي ثبت أنّها قرارات منحازة إلى إرادات دولية ظالمة تتمتع وتتعطش إلى مزيد من الدماء وفي مختلف أرجاء المعمورة ولاسيما في الدول التي لا تريد أنْ تخضع لضغوط أمريكا الظالمة.

إنّ مسؤولية تحقيق العدالة مسؤولية جماعية مشتركة، وعلى الجميع أن يتعاون عليها؛ لأنّ التأخير يتسبب في تحمل الإثم الجماعي، وينبغي على الحكومات الوطنية إعادة النظر في وجود المنظمات الدولية التي تدَّعي الإنسانية في مختلف الدول وتعمل على طرد المنظمة أو تصنيفها على أنها ضمن القائمة السوداء وإبعادها عن الوطن ما لم تعْدل عن مواقفها الهزيلة التي تبيَّن منها أنّها تعيش في أسر الإرادات الظالمة؛ بل هي من عبيدها ويعملون من خلالها على مساندة الظالمين في البطش والظلم وإسكات صوت الحق وطمس معالمه بالوقوف بوجهه، كما هو الحال في التعامل مع ملف المظلومين من أبناء اليمن الصامدة ونيجيريا المنهوبة.

جريمة من نوع آخر (قراءة القرآن)

013

توافرت الأدلة على قدسية النص القرآني، واحتفاء المسلمين في مختلف العصور بقراءته وتكريم قُرَّائه الذين يبلغون رسالة السماء بحناجرهم التي تصدح بتلك الآيات البيِّنات والتي جرت على لسان النبيِّ(ﷺ)، ولسان وصيه أمير المؤمنين(عليه السلام) وكذلك ألسنة خيرة الصحابة والتابعين الذين اتبعوا المنهج الإسلامي الصحيح الذي لطالما أكد عليه(ﷺ) واستشهد من أجله المؤمنون والصالحون من عباد الله تعالى في مختلف أرجاء المعمورة وفي كل العصور المتوالية؛ ليصل الدين وتصل الرسالة إلينا فنتحمل دورنا وتكليفنا في أداء الأمانة بالحفاظ على مكانة القرآن وكرامة أهله الذين قال فيهم رسول الله(ﷺ) أنّهم أهل القرآن وخاصته.

إنّ المشهد العراقي اليوم بات غريبا عن كل الفترات السابقة، فبعد أن كان العراق موضعا للفخر والاعتزاز بأنّه بلد القراء والإقراء، فأغلب قراء الروايات السبعة والعشرة فضلا عن قراءة حفص عن عاصم من العراق الذي كان متنفسا علميا لكل الوافدين إليه؛ لينهلوا من علوم الإسلام العظيم وقراءة القرآن الكريم. وأما اليوم فحاضرة العراق وبهذه القيادة التي تدَّعي الإصلاح أصبح حاجبا ومانعا؛ بل ومعاقبا لمن يقرأ القرآن الكريم، أو يتفوق في ذلك كالذي حصل من تمادي وزارة الداخلية متمثلة بالمدعو (أبو رغيف) في احتجاز العميد أبي الفضل الجعفري الذي عُرف عنه أنّه كان ولا يزال أحد رموز الحركة القرآنية المعاصرة في العراق الجديد، وتشهد الساحة القرآنية على عطائه منذ أنْ كان قارئا وأستاذا ومحكما في مختلف المسابقات الوطنية يتنقل بين المؤسسات ممثلا عن المؤسسة العسكرية العراقية التي ينبغي أنْ تفتخر به وبكل القرآنيين في المؤسسة العسكرية العراقية.

إنّ ما تعرض له العميد كاوه الطالباني من المحاسبة والحجز يعكس الواقع الفاسد والهزيل الذي تعيشه القيادات العسكرية التي أمرت بمعاقبة السيد العميد بعد أن تشرف بقراءة القرآن الكريم على منصة الختمات القرآنية الرمضانية في العتبات المقدسة، وهذا الإجراء يخالف ثقافة الإسلام والمسلمين. فالدول الإسلامية الحقيقية تفتخر بكل المؤسسات التي فيها أهل القرآن وخدمته، بل أن من الدول الإسلامية من يذهب إلى الاهتمام بالطاقات

العسكرية القرآنية وتقيم مسابقات ومحافل خاصة بهم باعتبار تميزهم في الاختصاص القرآني الذي يمكن أن يحفظ هيبة من يحمله ويحسنه ويزيد من بهائه ومقامه.

إنّ الواقع العراقي الجديد الذي عدَّ قراءة القرآن بالزي العسكري جرما بات مخيفا لأهل القرآن؛ بل مخيفا لجميع المؤمنين في العراق، ولعل هذا الأمر من المضايقة والتجاوز على أهل القرآن أعاد إلى أذهاننا تلك الحقبة المريرة من أيام البعثيين الذين أفسدوا البلاد والعباد وكانوا يمنعوننا حتى الجلسات القرآنية فضلا عن إقامة المحافل والدورات والمسابقات.

إنّ المتوقع من الحكومة العراقية إن تبادر إلى ردِّ الاعتبار بالنسبة إلى العميد أبي الفضل الجعفري، ومن خلاله ردُّ الاعتبار لجميع القرآنيين في الساحة القرآنية العراقية التي أثبتت تماسكها في مواجهة التحديات على الرغم من اختلاف مناهجها ومؤسساتها؛ لذلك ينبغي الاهتمام بهذه الشريحة المظلومة في بلدها القرآني؛ لأنّ العراق بلد القرآن وأهله، لا بلد الغناء الطرب كما تروج لذلك المؤسسات الحكومية العراقية. فالعراق يناسبه أنْ يكون في مقدمة الدول المهتمة بالواقع القرآني وينبغي على الجهات المعنية إنْ كانت فعلا إسلامية كوزارة الثقافة ومكتب رئيس الوزراء وغيرهم إقامة البرامج القرآنية الوطنية والدولية كالمسابقات العالمية القرآنية التي تفتخر بإقامتها الدول الإسلامية الحقيقية، وتجعل لمختلف صنوف المجتمع سهما في هذا التشريف.

حمى الخضوع

014

تؤكد الإشارات والدلالات الإنسانية فضلا عن الإسلامية على أن الإنسان يولد حرا أبيا، وهذا يناسب الفطرة السوية التي فطر الله تعالى الناس عليها وجعلها متاحة للجميع إلا من أبى أنْ يعيش حرًا أبيًا وارتضى لنفسه أنْ يكون خانعا خاضعا. والمهم في الأمر أنّ الإنسان الذي فقد براءة العزة وشموخ الإباء ليس له أنْ يكون مأمونا على متعلقات الناس وخصوصياتهم ولاسيما التي تخص كرامتهم وثوابتهم التي تشكل جزءا من وجودهم وعزتهم وارتقائهم.

إنّ التجربة التي أفرزتها الدورات البرلمانية المتعددة أكّدت أنّ عموم النّواب فضلا عن الوزراء؛ بل حتى السادة الذين تولواْ رئاسة الحكم كانوا عبيدا لغيرهم، فعمدوا إلى إرضاء الساسة الذين كانوا يوجهونهم ويمنعونهم عن كل خير يمكن أن يشرعوه أو يقدموه لأبنائهم أو لإخوتهم الذين تحدواْ الصعاب وتحملوا المسؤولية؛ ليصلوا إلى صناديق الاقتراع ويصوتوا لهؤلاء السياسيين الذين فقدوا شرف المهنية في التعامل مع حقوقهم فضاعت بين السرقات والإرادات الداخلية أو الخارجية، وظهرت هذه الآثار السلبية بشكل واضح على الساحة العراقية خاصة إذا أنعمنا النظر في الواقع الخدمي والتطور العمراني والسياحي في بعض المحافظات على حساب بعضهم الآخر فضلا عمّا تميزت بها مخصصات الإقليم وواردتها التي استحقتها عنوة إثر تخاذل القيادات التي تمثل باقي المحافظات.

إن الصحوة الأخيرة لعموم السياسيين في البرلمان في مسألة الاقتراض الثاني والاتفاق على صرفها في وجوه معينة ومحددة كانت ناجحة وإن شابها بعض المؤشرات التي يمكن أن نعدها من مجاري الفساد أيضا، ولكن الإصرار على ضرورة أن تكون الإرادات العراقية بيد الحكومة المركزية كشرط أساسي لإيصال المستحقات إلى جميع أبناء العراق بما في ذلك المحافظات المنتظمة بإقليم هذا مؤشر جيد ومناسب لطموح أبناء الوطن عموما، ويمكن أن يكون سببا لكبح جموح المارقين الذين أسرفوا في السنوات السابقة باستغلال مختلف الواردات العراقية وعدم تسليمها إلى الحكومة الاتحادية وصرفها في وجوه الإنفاق الحزبي حتى أثاروا حفيظة أبناء الإقليم قبل غيرهم؛ بوصفهم يعيشون حالة الترف والفساد الذي قادته قيادات

الأحزاب المتسلطة خلال السنوات السابقة دون أن يكترثوا للحكومات التي كانت خانعة لإرادات الأحزاب الفاشية التي تسببت بهدر العراق عبر بوابة السياسات المحكومة بالإرادة الأمريكية والتي كانت تعمل على جعل بعض العراق عقبة عصيَّة على العراق وفرض سياسة التحيز والتميز مما جعل من الفرقاء والشركاء عوامل لهدم المحافظات المنتجة وسلبها حقوقها.

ولابد من الإشادة بعد الانتصار الأخير ببعض القيادات السياسية التي أحكمت قوتها لكسب الموقف لصالح المحرومين على الرغم من معارضة بعض القوى السياسية الذين كانوا يتوقعون أن الكرة لا تزال بأيدهم لسوقها إلى مرماهم الخاوي، ومن المناسب أيضا أن نشير إلى أن ما اتفق عليه الساسة في هذه الجولة الأخيرة هو استحقاق طبيعي لعامة الشعب تعلق في أعناقهم وليس فضلا منهم على أحدٍ، بغض النظر عما إذا كانت صحوتهم صحوة ضمير أو دعاية انتخابية قبل وقتها.

الحراك الشعبي والولاءات

015

إنّ الحراك الشعبي ذا الطابع الجماهيري من أفضل سُبل النهوض ووعي المجتمعات على مرِّ العصور وفي مختلف الأوطان؛ لذلك نجد أن الكثير يعوِّل عليه ويحاول أن يستثمره أو يستغله، والاستثمار يكون بدوافع وطنية، وقد يترتب على النهوض في وجه الفساد والظلم كثيرٌ من الخسائر البشرية والمادية، ولكن مع نجاح الثورة الشعبية يشعر الجميع بنشوة الانتصار، حتى أصحاب الدماء والجرحى يشعرون أنّهم قدموا ما كان ينبغي عليهم أن يقدموه، وأما حينما تستغل الثورة فنجد أنّ جميع أبناء الوطن قد خسروا وإنْ نجحت ثورتهم؛ لأنها في الأصل كانت مسروقة، ولعلها قدمت خدمات مجانية لصالح أعداء الوطن.

وبين استثمار الثورة واستغلالها كثيراً من الحجب التي مكَّنت العدو من الوصول على حساب الشعب الذي يكون في الغالب مطيّة الإرادات السياسية الدنيئة، وهذا الأمر لم ينحصر بمجتمع دون آخر، لذلك ينبغي أنْ تكون الأمة على درجة كبيرة من الوعي، وأن تكون هناك قيادة معروفة للحراك وبأهداف واضحة؛ لكيلا تصادر الثورة لتصبح وبالا على المتظاهرين الثائرين، فتضيع بذلك قضيتهم ويتمكَّن السياسي الفاسد أكثر من ذي قبل، ويكون التنازل سلاح الثائر بعد أنْ أدرك نفسه في وسط تزاحم المصالح، وذبول المبادئ وتبخُّرها عند كثير ممن كنا نعتقد بسلامة وطنيتهم.

إنّ التجارب وإنْ فشلت إلا أنّها تعلمنا كثيراً من الأشياء، ففي الأمس القريب كانت ساحات التظاهر تعجُّ بكثير ممن جلسوا اليوم في مقعد السلطة؛ بل أصبح بعضهم بوقا للسلطة بعد أن كان من الثائرين عليها، ويحاول إسكات أصوات الرفاق الذين لا زالوا في ساحاتهم ينتظرون، وهذا الأمر يدعو إلى ضرورة التفكير والمراجعة. فأكثر من كنا نظنهم ثائرين إنّما كانوا كالثيران التي تهدأ بعد أن يتم إشباع غرائزها، ولا شأن لهم بحقيقة الحراك الجماهيري الذي كان يروم محاربة الفساد والتغيير نحو الأفضل.

وعلى هذا فإنّ الثورة وإن كانت أمل الجماهير الثائرة على مرِّ العصور؛ إلا أنّها بحاجة إلى قيادة وطنية تتحلى بمبادئ ثابتة، وأهداف واضحة، ولا تكون قيادتها من خارج البلاد؛ لكي لا تكون منقادة إلى رغبات الأعداء، كالتي حصلت في العراق بعد خروج كثير من

أبناء الوطن ظنّا منهم أنّهم يعملون لصالح العراق؛ بينما قادتْهم ثورتُهم إلى تكريس الفساد وإلغاء الصفقات التي كانت مصدرا لإعمار الوطن كالصفقة الصينية، والعقود التي كانت مبرمة مع الشركات الألمانية لإنتاج الكهرباء وتوليدها ، فجميعها ذهبت أدراج الرياح ببركة الحراك الشعبي الذي كان يدار في الغالب بأيادٍ خبيثة، فلما حققت أهدافها تركت الجماهير في حيرة الضياع، والأنكى من ذلك كله أنّ القوم لا زالوا يحاولون إصدار الأوامر والتوجيهات والمطالب التي لا تخدم الحال الوطنية وباسم الثوار، وأما الثوار فقد صاروا إلى التشتيت والاعتقال بعد أنْ انتهت مدَّة صلاحيتهم، فهل من معتبر؟

خيم تنتظر من يرفعها

016

مـرة أخـرى تجتمـع الأوجـاع والآلام والحسـرات وكأنهـا لا تريـد أنْ تفـارق العـراق، معلنـة أنْ لا جديـد في سـيناريو الثـورات والمظاهـرات التـي تُقـاد مـن خـارج البـلاد، فجميـع التجـارب السـابقة التـي سـجلها التاريـخ لصالـح الفقـراء والشـعوب الثائـرة والتـي تمـت مصادرتهـا لصالـح الحـكام والمتملقـين نجدهـا اليـوم مـن جديـد وبمعالـم تقليديـة لا ترتقـي إلى أنْ تكـون أنموذجـا للطمـوح المشـروع الـذي يسـعى إليـه الملهـوف مـن أبنـاء الوطـن وقـد قـدّم مـن أجلـه الغـالي والنفيـس.

مـرة أخـرى تركنـا خلفنـا سـجلًا حافـلًا بالضحايـا والمتضرريـن بـين قتيـل ضـاع حقـه، أو جريـح ينتظـر مـنْ يطـرق بابـه؛ ليسـد عنـه أجـور العـلاج والـدواء، أو فقـير اغتـم لطـول انتظـار دونمـا يحقـق أدنـى مراتـب الطمـوح، وبـين هـذا وذاك بقيـت الخيـم التـي لطالمـا تغنـى أهلهـا بدعـوة الإصـلاح تتزيـن أطرافهـا بقائمـة طويلـة بالمطالـب المشروعـة والتـي ذهبـت أدراج الريـاح.

مـرة أخـرى زحـف المتملقـون وعشـاق السـلطة والغنيمـة؛ ليتركـوا خلفهـم آلاف المفجوعـين مـن المنتفضـين مـن أجـل التغيـير، بينمـا تسـلقت الأبـواق حتـى بلغـت مرادهـا مـن دون أن تلتفـت إلى الوجـوه التـي غيرتهـا أشـعة الشـمس، ثـم قفلـت راجعـة إلى النقطـة التـي بـدأت منهـا وليـس لهـا القـدرة عـلى النهـوض بعـد أن اكتشـفت أن المظاهـرات سرقـت وانتهـت مـدَّة العـرض بالنسـبة إلى اسـتيفن وابـو التكتـك وحجيـة فلانـة والشـيخ فـلان، وفجـأة أيضـا تبـيَّن أن الغنائـم قسـمت والمناصـب دُوِّرت والسـفارات أغلقـت أبوابهـا والجيـوش الالكترونيـة سـكتت والـذي كان يقـود مـن أجـل التغيـير أصبـح اليـوم بوقًـا لإسـكات أهـل المطالـب وتكميـم أفواههـم، وقتـل روح الحماسـة التـي كانـت تديـر السـاحات مـن أجـل تحقيـق أهـداف السـاسة مـن أعـداء العـراق الذيـن سـخَّروا كثيـرا مـن العـدد والعـدة لمصـادرة الصيحـات التـي كانـت تنـادي بالإصـلاح فاسـتغلتها بغيـة إسـقاط الحكومـة التـي لـم ترضـخ لرغبـة أمريـكا.

مـرة أخـرى أكّـدت الأحـداث أنّ الشـياطين يدفعـون بالغافلـين مـن أجـل تدمـير بلدهـم وأوطانهـم مـن دون أن يشـعروا، فبعـد أن اضطـرت الحكومـة المقاومـة لرغبـات أمريـكا إلى الاسـتقالة تـمّ العمـل عـلى إلغـاء العقـود التـي كانـت مـلاذا لأبنـاء الوطـن وبابـا مـن أجـل الإعمـار والإصـلاح بعيـدا عـن هيمنـة أمريـكا وحلفائهـا الذيـن عمـدوا إلى تدمـير العـراق وعمـوم البلـدان بسياسـتهم القـذرة واسـتغلال

الشعارات والأبواق المأجورة للتدمير من دون أنْ تخسر هي حتى أجور الهدم والكسر.

مرة أخرى عاد أبناء الوطن إلى التأمل ومحاولة لملمة جراحات إخوانهم المخدوعين بالوعود الشرقية والغربية والتي أشغلت الناس بالمصائب والويلات؛ لتبتعد عن الساحات والمظاهرات بعد أن حققت أهدافها لصالح أمريكا والجوكرية وأبناء السفارات وكان الثمن مزيدًا من الدماء والأنفس. ومن المهم أن ندرك أن ما يُفتعل من النقص في التجهيزات الطبية أو إثارة الغزوات لصالح داعش لإشغال أبناء الوطن كان مقصودا وبحرفية عالية بحيث انشغل الجميع بذلك؛ بل حتى خيم المتظاهرين في عموم المحافظات أصبحت خاوية وخالية من أصحابها وتنتظر رحمة من يرفعها لتعلن عن إنتهاء صلاحيتها.

مرة أخرى نكفكف دموعنا على جراحنا وننظر بأعيننا إلى السفلة والمتملقين والأبواق المأجورة وهي تتراقص على أشلائنا بعد أن لبست ثوبا جديداً فانتقلت من المعارضة إلى كونها جزءا من المنظومة الحكومية التي أبدعت هي الأخرى في اختياراتها في عموم التغييرات التي شملت عموم المرافق العامة والخاصة ليس على نحو استثمار الكفاءات الوطنية؛ بل استغلال كل من كان متمردا لصالح الوضع الجديد مع ازدياد الضغط على المواطن وابتلائه حتى في أبسط حقوقه لتنتقل المطالب من المطالب الوطنية إلى المطالب الشخصية والفردية كاستلام الراتب وتأخيره ونقصه وغير ذلك من المسائل التي غيرت مسار المطالب والحقوق.

مرة أخرى نتأكد أنه فقط أبناء الوطن هم من يقفون مع الوطن وليس المرتزقة، فقد تخلى الجميع وهاهم اليوم أبناء المرجعية في إدارة العتبات وأبناء الحشد الشعبي يسارعون ويبادرون في بناء المشافي ومتابعة الجرحى وتسكين أوجاع المعوزين بعد أن تركهم الأشرار وجعلوا من أكتافهم سُلما للوصول إلى غاياتهم الدنيئة.

مرة أخرى لم تحقق المظاهرات إلا أهداف أعداء العراق، وهذه رسالة إلى الجميع مفادها أن قيادة المظاهرات إن لم تكن وطنية فليس لها أهداف إلا خدمة أعداء الوطن، والعمل على استغلال الطاقات والقدرات وجعلهم حطب الثورة فيحترقون؛ ليتوهج نار الأعداء، وليتمكن المتسلقون من بلوغ غاياتهم بعيدا عن حقوق الوطن والمواطن، وتبقى في النهاية الخيمة التي غيرتها شمس النهار ووحشة الليل تلتفت يمينا وشمالا عسى أنْ يأتي من يرفعها بعد أن فشلت هي الأخرى في إثبات حتى هويتها الوطنية.

الدور الفرنسي في التطبيع

017

كشفت الأيام أنّ أغلب الدول العربية التي تدَّعي الإسلام متوجهة اليوم إلى سياسة التطبيع مع إسرائيل أو أنّها مهيأة لذلك بينما تنتظر الفرصة تسنح لها؛ لتعلن عنها بشكل واضح كما أقدمت المفلسة السودان على خطوتها الهزيلة في بيانها الأخير بأنها تؤمن بجدية العلاقة مع إسرائيل وهي بذلك تعلن عن عدائها لأعداء إسرائيل حتى لو كانوا ممن غسلوا شناءة العرب وعارها بالوقوف في وجه الطاغوت الإسرائيلي بتقديم الشهداء حفاظا على اللون الإسلامي الذي بات مخرما هذه الأيام بتوجه المسلمين العرب إلى الحضن الإسرائيلي الدافئ سوقا.

إنّ اللوبي الصهيوني مارس دورا كبيرا في تقسيم الدول إلى أكثر من معسكر، فأمَّا أن تكون مع إسرائيل أو أنت من المغضوب عليهم بالنسبة للكرم الإسرائيلي المطعم بالنكهة الدونية لسياسة ترامب الذي يتشبث بالقوة الصهيونية لكسر معادلة الانتخابات ويعوِّل عليها بعد أن وجد منافسا في طريق وصوله بالطرق المشروعة نحو تجديد الولاية الثانية إلى القصر الأبيض.

ولم تكن فرنسا هي الأخرى بمعزل عن الخطط الصهيوأمريكية، فهي كما لا يخفى تعاني من كثير من المشاكل الداخلية التي قد يؤججها اللوبي الإسرائيلي في أية لحظة أرادت كونها تتمتع بعلاقات محكمة بالسياسة المالية التي فرضت نفسها على الدول الرأسمالية في العالم، فكان على فرنسا أنْ تقدم فروض الطاعة للحركة الصهيوأمريكية علها ترضى عنها وتمنحها صفة العبودية لها بعد أنْ تجاهد في إثبات ولائها وتعمل على تهيئة المحيط العربي في التوجه نحو التطبيع أو تخويفه بالتجويع والحرمان، ومن جانب آخر فقد عمدت فرنسا إلى إشغال الشارع العربي بامتصاص غضب الثائرين على الحكومات التي انساقت نحو التطبيع من خلال تأكيدها على التعرض باستمرار للإساءة العلنية إلى شخص النبي(ﷺ)، حتى أن الثائر العربي الآن كفكف طاقاته الثورية لمناهضة التطبيع وانشغل بالهم الفرنسي الخبيث المدبر، بحيث أنّ الرئيس الفرنسي يشرف على التطور والتقدم لحظة بلحظة ويعلنها بأنّه غير قادر على منع الإساءة لأقدس شخصية عند المسلمين عموما وهو نبيُّ الإسلام(ﷺ).

إنّ ما تفرضه طاعة النبي(ﷺ) على المسلمين اليوم بات محل اختبار وامتحان، ليس على مستوى السياسات الحكومية التي لا نعوِّل عليها؛ بل على مستوى أحباب النبي(ﷺ)، الذين أيقنوا بحقوقه وضرورة النصرة له(ﷺ)، فعليهم أنْ يُظهروا مواقفهم تجاه فرنسا الخبيثة، وأن تقدم السياسات السلمية والعصرية كالتظاهرات الكبيرة في الأوساط الإسلامية، ومقاطعة البضائع والمنتجات الفرنسية، ومن ثم التفكير بما يناسب سياسة التصعيد؛ لكفِّ العميلة فرنسا عن دورها الهائج في التمهيد لسياسة التطبيع المخزي بالإساءة وإشغال الشارع العربي بما ينسجم مع تطلعات حركة الصهيوأمريكية الخبيثة.

الدولار العجوز

018

تتوالى الأيام والسنوات وتدور دائرتها على الجميع، فلا قويٌّ يصمد ولا عزيز لا يضعف؛ إلا الله تعالى فهو المقتدر الجبار خالق الأكوان وفالق الحب والنوى؛ ليجعل برأفته ومنِّه ولطفه قوة الإنسان من قوته، وعزته من عزته، ويداوِل الأيام بين الشعوب والناس، ثم يعزُّ منْ يشاء ويذلُّ منْ يشاء، ولا يتغافل عمّا يفعل الظالمون الذين قد يتطاول بنيانهم ويمتد عرشهم بما وسَّعه الله عليهم كما وسع على فرعون وقارون ليمدهم في طغيانهم يعمهون، وهذا إن دلَّ على شيء فيدلّ على هوان الدنيا على الله تعالى، ورحمته التي وسعت كل شيء فكان للظالم جولة في دنياه.

إنَّ الهيمنة والغطرسة الأمريكية على معظم دول العالم؛ بل على كلِّ شعوب الأرض إنّما نَجَم عن تصورها بانفرادها وقوتها المحيطة بالعالم وشعوبها، لذلك فقد بسطت سلطتها على أكثر منافذ المال وتحكمت باقتصاد العالم ودمَّرت الدول ولم تكترث لحقوق الإنسان على الرغم من أنّها تنادي بها بعد أنْ تسلطت على مقدرات ومقررات الأمم المتحدة وأكثر المنظمات الدولية التي تدَّعي حقوق الإنسان زيفا وبهتانا وتعتمد في دعمها على أمريكا أو حلفائها الذين ارتضوا أن يكونوا حطب نار أمريكا فتستنزف خيراتها وثرواتها وتستضعفها في مقابل التمني بحمايتها والحال أنّها لا تستطيع حماية نفسها.

لقد آن الأوان لتغير المعادلة؛ وذلك لأن عظمة أمريكا بدأت تنخرُ خاصة بعد أن أدرك أكثر حلفائها أنَّ القادم ليس لأمريكا، فتوجهت أشكال التحالفات الجديدة مناهضة للدولار الذي يعد قوة أمريكا الزائفة؛ لأنها فقدت تأثيرها وقوتها التي كانت عليها، ولاسيما بعد أنّ توجهت أوربا إلى إبرام عقود مع الصين كما وقَّعت إيطاليا وتبعتها دولٌ أخرى.

واليوم بعد أنْ تصوّرت أمريكا بأنّها نجحت في إلغاء عقد العراق مع الصين فوجئت بالعقد الإيراني مع الصين، وانفتاح الصين على العالم بمعنى كسر الدولار وعجزه؛ لأن الصين تعقد هذه الاتفاقيات لا على أساس قيمتها بالدولار؛ بل على أساس الخدمات مقابل النفط وهذه المعادلة نجحت في رفع القيد الأمريكي على النفط الإيراني أولا وجعلت الدولار متأخرا ثانيا، والصفقة الإيرانية الصينية وإنْ لم يكن القصد منها رفع الضغط الأمريكي عن

الاقتصاد الإيراني بشكل مباشر إلا أنّها عملت على ذلك كتحصيل حاصل، وهذه الاتفاقية لن تكون الأخيرة مع الصين؛ لأنّ الصين اليوم تختلف عن الصين أمس، وليست هناك خيارات كثيرة أمام قوى الشر لمنع الصين إلا بالمواجهة وإشعال نار الحرب وإن أيقنوا أنّ الخسائر جسيمة وقد لا تقوم لهم قائمة؛ ولكن شرٌّ لابد منه إذا أرادت أمريكا أن تعالج وضعها، وهذه الوسيلة ليست جديدة عليها فقد بادرت بإسقاط كثير من الدول رعاية لمصلحة الدولار الأمريكي حينما قررت بعض الدول تغيير التعامل من الدولار إلى غيره، كما حصل في ليبيا والعراق وسوريا وغيرهم.

إنَّ السقوط الأمريكي اليوم بات وشيكا؛ بل أقرب من أي وقت آخر، وبزوالها سوف تزول فكرة قيادة العالم من دولة واحدة، أو قوة واحدة، وقد تكون هذه آخر امبراطورية انفردت بقيادة العالم أو تظن ذلك، وعلى هذا فإن المعادلات سوف تبدأ بالتغيير السريع، والأمر مهيأ لسقوط كثير من الأذيال الأمريكية التي مازالت تصبح وتمسي عبيدا لها، فظنت الشريرة أنها أكبر قوة وتجاوزت كل الخطوط الحمراء، التي كانت سبب سقوطها وأُفول نجمها.

ذكرى الألم وألم الذكرى

019

دارت الأيام لتقف على أعتاب ليلة الذكرى بكل ما تحملها من الألم واللوعة في قلوب أبناء العراق الشرفاء وشركائهم من أهل المصيبة؛ بل على قلوب أبناء محور المقاومة بشكل عام، فجميع الأحرار استشعروا الفراغ الذي تركه مهندس النصر برحيله نحو مركب الشهادة؛ لينهي مسيرة من الجهاد طالت لسنوات بين الجبال والأهوار، لا تحدُّه جغرافية وطن صنعه أعداء الإسلام، في محاولة لتمزيق جسد الإيمان وتفريق المؤمنين على أساس الدويلات؛ ليسهل بذلك التسلط عليهم وكسر شوكتهم بتحديد قوتهم، فتفاجؤوا بأن أبناء محور المقاومة يهندسون الخنادق في كل بقعة استلزم وجودهم سواء في العراق أم في سوريا أم في فلسطين والبقاع والجولان.

لقد رحل عنا بتلك الشيبة الأنيقَة التي رسمت بنظراتها صورة للشجاعة والهيبة في مختلف الجبهات ووحّدت قلوب أبناء الحشد المقدس على ضرورة التمسك بالمبادئ، فقد كان للمهندس رحمه الله تعالى قدرة على توزيع الرعاية الأبوية على مختلف فصائل الحشد المقدس، فكان الجميع يشعر بذلك؛ لذلك كان فقده كبيرا وقد لا نجد من يمكنه أن ينسينا صورته التي حفظها الصغار والكبار على حدٍّ سواء؛ فأصبح الجميع على موعد للثأر له وكل بحسبه، فالأقلام الحرة لن تتصور أن هناك محطة للوقوف عن الكتابة فيه وفي مآثره الكثيرة، والجنود في مختلف الجبهات السياسية وجبهات مواجهة الأعداء يستلهمون دروسا من أيامه ليزدادوا بذلك إصرارا وعزيمة نحو المزيد من العطاء من أجل النصر أو الشهادة.

إن مسيرة العشق للشهادة ظهرت في سيرة الأولياء بعد أن حبب الله تعالى ذلك إليهم، فكانوا لها أهلا ولم يتأخروا عن الاستجابة مهما كلفهم الأمر، ولم يكن مهندس النصر إلا مصداقا حقيقيا لأولياء الله تعالى، زاهدا عن دنيا معاوية؛ ليلتحق بركب أمير المؤمنين(عليه السلام) بصدرٍ رحب لا يثلجه إلا زينة الانتصار أو نبراس الشهادة كما كان الأولياء في مسيرتهم.

فترك من بعده منظومة متكاملة من مشاريع الرجولة والوفاء لا يأخذهم في الله لومة لائم، فهم قد تخرجوا من مدرسة المرجعية التي صدحت بأقوالها فهبت الجماهير المؤمنة لتزيِّن الجبهات بالوجوه النيرة التي نجحت في اختبار الولاء لله والوطن، ووقفت بكل جرأة أمام

المـدِّ الظالـم لأعـوان الشـيطان فحفظـوا هيبـة المقدسـات ودافعـوا عـن العـرض والوطـن حتـى أصبحـوا معرضـا للأمثـال يمكـن أن نتباهـى بهـم بـين الأمـم المختلفـة.

إنّ عـلى الأمهـات المؤمنـات أن ينـشرن حـب المهنـدس في مـشرب أطفالهـن؛ ليكـبروا عـلى الشـجاعة والـولاء، وليكونـوا مشـاريع لمحـور المقاومـة مـا دام هنـاك محـور الـشر الـذي يقـوده الشـيطان الأكـبر، ومـن المناسـب أن نذكـر أن الثـأر للمهنـدس وضيفـه قـد لا يتحقـق بالصـورة المطلوبـة الآن، ولكـن هـذا الدَيـنُ سـوف يـلازم الشرفـاء مـن أبنـاء محـور المقاومـة ولـو بعـد حـين، وعـلى الجميـع ممـن يثـق بالمقاومـين أن يـدرك أن الـرد الحاسـم لـم يكـن في الضربـة الكبـيرة في عـين الأسـد؛ بـل سـيكون الـرد بالشـكل الـذي يناسـب مقـام الشـهداء، وعـلى قـدر الجـرح الـذي تحمَّلـه الشرفـاء، وفـاءً للمهنـدس والشـهداء الذيـن كانـوا بحـق ألـم الذكـرى وأشـعلوا هـذه الأيـام بذكـرى الألـم.

رسالة من تشرين إلى كانون

020

كشفت الأيام عن إرادة طموحة للشعب العراقي في مقارعة الظلم والحدِّ من الفساد الذي قبع على قلوبنا عبر بوابة الإصلاح المتهاوية والمتآكلة بالصدأ المانع لجوهر الرؤية الصحيحة فاختلط الأمر على أصحابها ليكونوا مصداقا لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا * وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعا﴾. فلا يمكن أنْ يكون الفاسد قائدا يقود للنجاة من طوق الفاسدين بدعوة محاربتهم أو الوقوف بوجههم؛ بل قد يعمل على كسر الإرادة الوطنية التي باتت واضحة عند الشعب المضطهد للحد من تمادي السراق والفاسدين في مختلف مفاصل هذه الدولة.

إنّ ثورة تشرين التي بدأت بإرادات مختلفة ومتداخلة، فكان منها الإرادة الوطنية التي ثارت من أجل العوز والشعور بعدم جدية الطبقة الحاكمة في النهوض بمحاربة الفساد، وهؤلاء على قلتهم إلا إنهم أثبتوا وطنيتهم وتفانيهم وإخلاصهم. وكانت في تشرين أيضا تلك الأجندات التي أجهضت المحاولات الحقيقية للإصلاح، حتى دفعت الحكومة إلى الاستقالة؛ ومن ثمَّ تحقيق رغبات أعداء الوطن في إفشال العقود الدولية التي لم ترضَ عنها أمريكا، والبقاء تحت هيمنتها بعد تشكيل حكومة المرحلة الحرجة التي لا نتصور منها الجرأة للوقوف بوجه الشيطان الأكبر أبدا.

ولابد من الاعتراف بأن الإرادة الوطنية لم تمت بتلك المحاولات التي تشكلت لإجهاضها وتسويقها خدمة لأعداء الوطن، فغيرة العراقي متأصلة بذاته، ولا يمكنه السكوت على الباطل. فإن سرقوا من الشعب ثورة تشرين؛ فثورة كانون هي حقيقة ممتدة لثورة تشرين، وشعب كردستان جزء أصيل من الشعب العراقي وقد امتزجت دماؤهم بدمائنا، ونحن معهم شركاء في محاربة الطبقة الفاسدة التي جثت على صدُورنا منذ عقدين من الزمن تقريبا، والمسؤول الذي مثَّل كردستان في الحكومات المتعاقبة لم يكن أقلَّ فسادا من مسؤولي المحافظات الأخرى في الوسط والجنوب والغربية.

إنّ الذي يعتصر له القلوب ألما هو التعامل غير المهني مع ثورة الجياع في كردستان، فالقنوات والبيجات وأكثر (الفيسبوكيين) تجاهلوا المظاهرات من مختلف أقضية ونواحي

شـمالنا الحبيـب، علمـا أنّ هنـاك شـهداء وجرحـى قـد تعاملـت القـوات الحكوميـة معهـم بالقسـوة والقـوة المفرطـة مـن خـلال الذخيـرة الحيـة، وتشـويه الثـورة، أو عـدم تسـليط الأضـواء عليهـا لقمعهـا ووأدهـا في مهدهـا.

والـذي يهمنـا هـي الازدواجيـة الدوليـة والمحليـة في التعامـل مـع ملـف المظاهـرات في كردسـتان، فعـشرات الشـهداء والجرحـى، ولـم تنبـس الأمـم المتحـدة ولا الـدول التـي تدَّعـي حقـوق الإنسـان بكلمـة حقيقيـة لإيقـاف نزيـف الـدم الـذي جـاء ليعلـن عـن مظلوميتـه وتجويعـه بمصـادرة حقوقـه لسـنوات عـلى أيـدي المسـؤولين الذيـن ثبـت ولاؤهـم لجيوبهـم ولأجنـدات خارجيـة عملـت وتعمـل عـلى كبـح جمـاح الأصـوات الوطنيـة، وتحـاول قمعهـا، وكسرهـا؛ لتنتعـش مافيـات الفسـاد وفي الجوانـب المختلفـة. لذلـك فإنّـه يسـتلزم عـلى جميـع الشرفـاء والوطنيـين أن يقفـوا مـع ثـورة الجيـاع في كردسـتان؛ لأنّهـا تمثـل ثـورة الـشرف واسـترداد الكرامـة ومحاربـة الفاسـدين. ومـن العـار والرذيلـة سـكوت هـؤلاء الذيـن كانـوا يزيـدون مـن حطـب التظاهـرات في الجنـوب واليـوم جعلـوا الغشـاوة عـلى أسـماعهم وأبصارهـم فلـم يتفاعلـوا مـع ثـورة كانـون ولـم يقفـوا إلى جانـب الثـوار.

زور كنعوص والسيادة المفترضة

021

كثيرة هي المواقع والنقاط التي لا يُسمح للقوات العراقية بمختلف صنوفها ولاسيما الحشد الشعبي من الوصول إليها؛ بوصفها محميات لتنظيم داعش برعاية أمريكية داخل الأراضي العراقية، وبعلم الحكومة العراقية قديما وحديثا، وواحدة من أهم هذه المواقع تقع في حوض الشرقاط بين محافظتي نينوى وصلاح الدين وتسمى (زور كنعوص)، ويبلغ هذا الزور حوالي خمس كيلومترات بين الهضاب والمياه وأنواع الشُجيرات القصيرة، وكأن المكان من المحميات الطبيعية التي تمّ اختيارها بدقة عالية، وزيادة على ذلك فهي محاطة بمجموعة من الأقضية والنواحي والقرى التي تعتقد أن تنظيم داعش خيارها الأفضل في مواجهة العراق الجديد. فالتصورات عندهم هو أن الجيش والشرطة من العملاء، وأما الحشد فهو محكوم بكونه إيرانيًا، وداعش يمثل بالنسبة لهم القوة الوطنية للمواجهة، والعامل على تحقيق مطالبهم والدفاع عنهم.

ومن المناسب أنْ نعلم أنّ (زور كنعوص) ليس المكان الوحيد الذي يتمتع بالحماية الأمريكية ويمنع عنه القوات العراقية، فقد سبق أن داعش انطلق في مسيرته نحو احتلال العراق من المحمية التي كانت بين أقضية سنجار وبعاج والجزيرة الواقعة غرب مدينة نينوى، وسار بأمان وثقة عالية حتى وصل تخوم مدينة نينوى فاحتلها بتنسيق عالٍ بين جميع الأطراف التي كانت تسيطر على المدينة آنذاك، ودفع المقاومون ثمنا باهضا حينها بين شهيد وأسير، إلى جانب الآلاف من العوائل المهجرة قسرا إلى الشمال أو إلى الجنوب، ومن جانب آخر فقد اتضح أن محمية الأنبار هي الأهم والأكبر خاصة في محيط وادي حوران التي كانت الطائرات الخاصة بقوات التحالف تعمل على حمايتها ليلا ونهارا وتمنع القوات العراقية من الوصول إليها.

وانطلاقا من مبدأ السيادة العراقية على الأراضي العراقية؛ لابد لنا من أنْ نعرج مرة أخرى على زور كنعوص الذي أصبح سببا لمجموعة من القرارات العراقية ومن أعلى المستويات خاصة فيما يتعلق بالقوات التي سارعت إلى تحرير الزور الذي أصبح المرتع الحقيقي لداعش بعد أن أحكم سيطرته عليه برعاية دولية، وعمد إلى حفر الأنفاق المختلفة وبحسب

الحاجة في الزور ومحيطه؛ ليكون في مأمنٍ من الصواريخ أو الهجمات التي قد تستهدف المكان، واليوم باتت واضحة تماما الرسالة التي كانت غير منظورة فيما سبق التي تمَّ بموجبها إعفاء بعض القيادات التي حاصرت (زور كنعوص) فيما مضى ولاسيما في أيام تحرير محافظة نينوى، ومسيرة إعفاء القيادات الأمنية لا تتوقف عند حدٍّ فكل من تسوِّل له نفسه محاصرة أو تحرير جزيرة كنعوص فهي يشكل خطرا على السيادة الأمريكية في العراق فيستلزم إعفاؤه من منصبه ومحاربته؛ لتبقى المحميات الأمريكية واحدة من الكنوز غير المكتشفة أسرارها إلى اليوم.

السقوط الذي لا قاع له

022

كثيرة هي الأخطاء التي نرتكبها أو نقع فيها من حيث نعلم أو لا نعلم، وبعض هذه الأخطاء قد تدرك فيذهب خطرها ويستقر أثرها، وبعضها لا يدرس فلا يمكن محوها، والمصيبة أن منها ما يتعلق بمصير الأجيال فتنتقل من جيل إلى جيل ويثبت مرارتها؛ لتبقى وصمة عار على من تفنن في صنعها أو أنجر إليها لسوء في التدبير أو هروب من واقع قد استقر لحتمية الضعف وعدم الاحتكام إلى المستقبل ومصير الذات والمجتمع، فيكون المآل إلى النهايات الفاضحة والقبيحة التي لا يذهب شؤمها ولا يمكن مغفرتها فتتبعها آهات الملايين، وتترتب عليها اللعنات والويلات وأصوات الناعين إلى قعر غير معلوم فيهلك فيه ضمير الإنسان ويفسد الملح الذي لا يمكن إصلاحه.

إنّ الأيام الماضية كشفت عن الهرولة العربية المفضوحة بقيادة إمارة الشر الديوثة نحو التطبيع المخزي والمذل مع إسرائيل الخبيثة، وهذا الأمر الذي تبنته الأمارات فسارعت بنفسها وساقت الأخريات إليه ما هو إلا تجاوز ساخر على حقوق المواطن العربي بشكل عام والإسلامي بشكل أخص في هذه الدول التي انتكست بفعلتها الشنيعة، فعلقت مصير أجيالها بثقافات دخيلة أقل ما فيها من الخطورة أنّها تدعو إلى شيوع المثلية وتجارة الدعارة والابتعاد عن كلّ ما من شأنه أن يبقي على الإسلام كدين وعلى العقيدة كسلوك؛ ليستقر الأمر بين الشعوب العربية على تقبل اللادين وعولمة الفحش والكبائر في الوسط الإسلامي على نحو أخص.

إنّ مسألة مصادرة حقوق الأفراد في المجتمعات ليست إلا تدبيرا إسرائيليا أمريكيا لإبقاء حالة السفاهة وتكريس الجهل واستعباد الحمير ومن ثمّ فرض السيطرة والهيمنة على الشعوب وقياداتها الفاسدة للحيلولة دون وصول هذه الشعوب إلى أنْ تكون حرة أبيّة تدير نفسها وتهتم بأبنائها وتحافظ على ثقافتها الإسلامية التي شرَّعها الإسلام وبيَّنها الرسول الأكرم(ﷺ)، وحذر من الوقوع في مصائد اليهود الذين كانوا ولا يزالون يكيدون للمسلمين بشتى الطرق والوسائل باعتبار أن قانونهم يميل إلى ثقافة أن الغاية تبرر الوسيلة.

لذلك يستلزم الأمر صحوة شعبية عربية بربيع فكريٍّ إسلاميٍّ ينطلق من روح الثورة

الإسلامية لإنقاذ ما تبقى من الكرامة في الشخصية العربية المؤمنة بدعوة الإسلام، وهذا بحدِّ ذاته ينقلنا إلى حتمية المواجهة بين الشعوب العربية الإسلامية الأبية والحرة وبين قياداتها التي ارتضت أنْ تلقي بنفسها بين أحضان إسرائيل وأمريكا وعلقت آمال شعوبها بالتطبيع المهين والمشين، وأما إذا سكتت الشعوب العربية على جرأة قياداتها الفاسدة وتأقلمت مع الوجود الإسرائيلي والأمريكي فعلينا أنْ نعترف بأننا نتوجه إلى السقوط الذي لا قاع له ولا يمكن لهذه الأمة أنْ تتسامى فتُعرف بأمّة الإسلام، فالإسلام منهم براء.

العراق وصراع الرواتب

023

الراتب هو ما استقرّ وانتصب من استحقاق الموظف العامل في مختلف المجالات سواء الحكومية أم غيرها، وهو ليس ميدانا للصراع أو الاختلاف، فكما هو ثابت في جميع المجتمعات أن واحدة من أصول التنظيم الاجتماعي مسألة احترام حقوق أبناء الوطن بشكل عام والموظف بشكل خاص ولاسيما فيما يتعلق باستحقاقاته المالية، باعتبار أنّ الموظف هو الآخر ملتزم بكثير من الوعود خاصة فيما يتعلق بأمور الجباية والأقساط وديون الناس ولوازم الحياة الكريمة التي يعين نفسه عليها من خلال مرتبه الشهري المتأخر والذي أحدث كثيرا من الفوضى في حياة الناس بشكل عام.

والعراق لم يكن متوقعا منه يوما أنّ يكون في مصاف الدول التي تفكر بمسألة تأمين الرواتب؛ باعتبار أنّ العراق من الدول الغنية التي تنماز بوفرة الكثير من منافذ الإيرادات المختلفة، زيادة على واردات القطاع النفطي، فهناك واردات المنافذ الحدودية، وأقسام الجبايات والضرائب، والصادرات الزراعية، وواردات البنك المركزي، والموانئ وأمانة بغداد والوزارات، وإيجارات الدولة وغيرها كثير قد يطول ذكره، فهل يعقل أن الحكومة عاجزة عن تأمين رواتب الموظفين لتحدث هذه الفوضى في الوسط الشعبي أو أنّ ما خفي كان أعظم؟.

إنّ اشغال الشارع العراقي بمسائل عبثية ودفعهم إلى التفكير ببطونهم ورواتبهم؛ ليتخلوا عن قضاياهم المصيرية إنَّما هو ضرب من الجنون، يتخبّطه من فقد هويته الوطنية؛ ليحقّق طموح أعداء العراق في مصادرة الإرادة الوطنية والعمل على تكريس الاشتغال بالمسائل الفردية وإبعاد المجتمع عن قضاياه العامة بعد أن انشغل بنفسه؛ لتستيقظ على قرارات ما أنزل الله بها من سلطان، رعاية لمصالح دولية أو فئوية على حساب الإرادة الوطنية التي انكفأت على نفسها، وتحجمت في ظلِّ تحديات هي أشبه ما تكون بالمفتعلة.

ومن المناسب أنْ نقرأ الصفحة الأخرى، فقد عمدت الحكومة إلى اتخاذ قرارات غير واقعية بينما الناس مشغولون برواتبهم المتأخرة، فمثلا إهداء سنجار إلى الإقليم فيها كثير من التجاوزات ولاسيما على حساب تلك الدماء التي أريقت في سنجار بعد أن تخلت عنها

القـوات التـي كانـت تسـيطر عليهـا قبـل دخـول داعـش إليهـا. وكذلـك هنـاك تجـاوز عـلى أرواح الشـهداء الذيـن حـرروا سـنجار وقدمـوا أرواحهـم ودماءهـم مـن أجلهـا؛ لتنعـم بالحريـة وعـودة أهلهـا إليهـا، وتأمـين سـلامتهم لهـذه السـنوات التـي خلـت، فلـم يكـن هنـاك خـرق أمنـي وكان الجميـع في أمـنٍ وأمـان.

أنّ تأخـير الرواتـب العامـة أشـغلت النـاس عـن الاهتمـام بقضاياهـا الرئيسـةأ فمثـلا هنـاك تباطـؤ كبـير في إنجـاز ميناء الفـاو الكبـير الـذي يمكـن أن يكـون منفـذا مهمـا لغنـى العـراق وتسـلطه عـلى طريـق التجـارة العالميـة، وعـلى الرغـم مـن كلِّ ذلـك نجـد كثيرًا مـن العراقيـين لا يتفاعلـون بالشـكل المطلـوب؛ لأنهـم يئسـوا مـن الإصـلاح الحكومـي خاصـة حينمـا بلـغ السـيل الزبـى، وتهـددت مرتباتهـم الشـهرية بالانقطـاع والتأخـير؛ لذلـك يمكـن القـول بـأنّ الحكومـة عليهـا أنْ تخـرج مـن بودقـة الإعـلام (السوشـل ميديـا) وأنْ تراعـي الحقـوق والاسـتحقاقات العامـة، وأنْ لا تكـون سـببا في انهيـار المنظومـة الاجتماعيـة، رعايـة للسّـلم الاجتماعـي والحفـاظ عـلى الحـس الوطنـي الـذي استشـعره المواطـن العراقـي حديثـا بعـد أنْ تغـير النظـام وأيقـن النـاس بالخـلاص مـن أعتـى طواغيـت العـصر آنـذاك.

القطيع نحو التطبيع

024

يوما بعد آخر نكتشف أنّ التحليل الخاطئ والفهم البعيد للثوابت الإسلامية ولاسيما تحليل الخطاب القرآني في غير مقاصده الإلهية، لا يزيد المسلمين إلا بُعدا عن الإسلام ومبادئه، وكلما أوغل المسلمون بالتأويلات الجانبية واعتمدوها دون الرجوع إلى المصادر الموثوقة التي نُقلت عن المعصوم(عليه السلام)، لا يزيدهم إلا مزيدا من التيه والضلال. فلا نستغرب من أنّ بعض الناس اليوم ينسب الكذب إلى الأنبياء كما في قصة إبراهيم(عليه السلام) حيث ذهب جمهور من المفسرين إلى أن إبراهيم(عليه السلام) صدر عنه الخلاف، ثم حاول أنْ يبرر ذلك، وكأنه لا يستوعب مسألة العصمة بالنسبة للأنبياء صلوات الله عليهم؛ بل إن بعضهم نسب الخطأ إلى خاتم الأنبياء(صلى الله عليه وآله) أيضا.

إنّ هذه الرؤية الدخيلة على المنهج الإسلامي وإن لم تكن طارئة إلا أنها زادت الطين بلةً، فقد أسهمت بشكل أو بآخر في تأويل الآيات القرآنية بعيدا عن مقاصدها. فمثلا حينما انزلقت الأمارات إلى التطبيع المخزي مع الكيان الصهيوني حاولوا على مستوى رجال الدين أن يبرروا هذا الفعل الشنيع بالإشارة إلى تلك المواقف القرآنية مع اليهود، أو ببيان بعض المسائل المتعلقة بعلاقات النبي(صلى الله عليه وآله) التي كانت مع اليهود والتعامل معهم؛ ليعطوا بذلك تبريرا لمهزلة التطبيع، متناسين أنّ اليهود كانوا حينها في موقف الضعف بعد أنْ فُرضت عليهم الجزية ولم يغتصبوا أرضاً للمسلمين فاستحقوا الحماية والعناية من الجانب الإنساني، أما اليوم فإن الوضع مختلف ؛ إذ أنّ العرب والمسلمين بعد تمزقهم وابتعادهم عن القرآن والسنة النبوية الشريفة والإمام المعصوم أصبحوا من الأمم المغلوبة على أمرها، فتولى عليهم غلمانهم من بني سعود وبني نهيان وبني خليفة وغيرهم فساقوهم إلى التطبيع مع العدو التاريخي الذي لم يرحم العرب ولا المسلمين على مرِّ العصور والأيام.

ولا يخفى أنّ العقل والشرع يتفقان على أنّ الوقوف إلى جانب الشيطان الأكبر محكوم بالباطل والخسران؛ فكيف إذا كان الشيطان الأكبر يسير وأنت تسير خلفه طائعا ذليلا مستسلما، بل إنّ بعضهم يهرول خلفه حتى من دون دعوة كالذي حصل مؤخرا من لدُن بني خليفة في البحرين، فقد عقدوا بينهم وبين إسرائيل عقداً على أن تكون القوامة لإسرائيل؛ ليمثل دور

الرجل الذي يحق له الزواج المتعدد. فبالأمس عقدت على الأمارات واليوم على البحرين والمسيرة مستمرة لتحويل العقود من السرِّ إلى العلن، ومن المؤقت إلى الدائم، فالديك الإسرائيلي قد استفحلت شهوته على الدجاجات العربية وبإشراف الشيطان الأكبر أمريكا التي لم تتأخر عن تقديم التسهيلات انتصارا لإسرائيل المدلّلة.

إنّ ما أقدمت عليه الدول العربية من عقدِ المصالحة والتطبيع مع إسرائيل يمثل إنذار شؤم قد لا يتوقف عند هذا الحدِّ؛ لذلك فإنّ من واجبات المؤمنين العمل على تعرية هؤلاء وفضحهم، بالاعتماد على تحليل الخطاب القرآني بما ينسجم مع المقاصد الإسلامية وبالشكل الذي لا يتعارض مع الثوابت الإسلامية. وعلى الدول العربية الحرة والإسلامية عموما أن تتخذ خطوات ناضجة وقوية لمقاطعة الدول التي انزلقت نحو التطبيع أو التي ستنزلق، وهذا لعله من أبسط حقوق المسلمين والشهداء الذين ارتقواْ من أجل القضية الفلسطينية على مرِّ تلك السنوات الطويلة.

قادة النصر السليماني أنموذجا

025

توافرت الأدلة على الدور الريادي لقادة محور المقاومة في صناعة النصر على الأعداء عبر مسيرة العشق في التوجه نحو ميدان الشهادة والكرامة وفي مختلف الساحات التي شهدت المواجهات الحقيقية لحتمية النهايات التي قد لا تتكرر. ففي اللحظات الحرجة أدرك الجميع أن القيادة منزلة عظيمة وليست لائقة بالجميع؛ بل تنحصر ببعض الخلّص ممن انمازوا بالصفات التي من شأنها أن تعمل على تحقيق النصر وفي أحلك الظروف الحرجة التي قد تصاحب عمليات التحرير أو الدفاع المقدس، وكأنّ هناك علاقة حتمية بين القائد وبين النصر. وهذا ليس بغريب على قادة النصر الذين جعلوا من المحراب شعلة الانطلاق نحو الأهداف الاستراتيجية، فكان إيمانهم بالله تعالى سبيل قوتهم وعنوان شهامتهم التي حيَّرت الأعداء قبل الأصدقاء، فأصبحت القلوب والعقول متوجهة إليهم وهم يرسمون بخطواتهم الفذّة صورا من التضحيات الفريدة التي يمكن أن نجعل منها مدرسة لأجيالنا يتعلمون منها حقيقة الإخلاص والتفاني في الجهاد في سبيل الله.

إنّ المواجهات الميدانية أفرزت صفات واقعية للقائد المهني لا تفهمها لغة الكتابات والمقالات بقدر ما يتضح منها في العمق المعنوي الذي قد لا يظهر على السطح المعلن؛ بل يتداخل في خلجات الأفراد وهم يتنعمون بتلك الصحبة الفعلية لقادة النصر، فينثرون عليهم من المعنويات واللطائف ما يمكن أن يكون أكثر تأثيرا في المواجهة من العتاد والعدة، فيعيشون لحظات النشوة وهم يتلقون بصدورهم العارية أصوات الرصاص ورذاذ البارود المتناثر بين طيات الملابس المرقعة بدماء الجروح المتعددة والمتنوعة.

لقد كشفت الأيام أنّ القائد (سليماني) كان مثالا للعطاء والشموخ، يتفرّد بصفات متميزة قلَّ نظيرها في القيادات فضلا عن غيرهم، فهو الذي طلَّق حريته من أجل حرية الشعوب المستضعفة، وسار بين الأوطان المختلفة؛ ليُعلن أنّ الإسلام لا تحدده جغرافية الأرض؛ بل تجمعه روابط الأخوة التي لطالما أكدتها الروايات الشريفة والأقوال الصادرة عن المعصومين صلوات الله عليهم، وغذَّتها ثقافات المشارب الإسلامية الحقيقيّة، وعمل عليها المخلصون من عباد الله تعالى بعد أن نذروا أنفسهم لله تعالى فكانوا نبراسا للسائرين وعنوانا للعاملين

المتوجهين إلى الله تعالى والمقبلين على ابتلاءاته بقلوب ملؤها الطاعة وقوتها البصيرة. لذلك يمكن لنا أن نكشف من خلال مسيرة الجهاد الذي تبناه القائد سليماني مجموعة من الصفات النبيلة التي قد نؤسس منها قواعد منهجية في صناعة قادة المستقبل وتطوير قدراتهم وفي مختلف المستويات والتي كانت من أهمها:

التوكل على الله تعالى

واحدة من أبرز الصفات التي تميز بها القائد سليماني هو توكله على الله تعالى وإيمانه بأن الله تعالى معه وهو ناصره. فالقيادة الميدانية التي عمل عليها وفي مختلف الجبهات العصيبة كشفت عن عمق العلاقة بينه وبين ربه، فلم يتخلف عن صلاته، ولم يترك صيامه على الرغم من ساعات الشدة والابتلاء في الجبهات المختلفة؛ بل كان يزرع الثقة في نفوس إخوته المجاهدين الصائمين الذين وجدوا منه خير معين في الحفاظ على فروضهم، وكانت صورة مشهد الحسين(عليه السلام) على رمضاء كربلاء وهو يؤدي صلاته بين السهام والنبال دافعا قويا للقائد سليماني وهو يفترش سجادة الصلاة في ربوع الساحات المختلفة؛ ليُبيّن للمقاومين أنّ طاعة الله تعالى عنوان المشروع فلا يمكن التسامح في ذلك مهما كانت الساعات عصيبة أو اللحظات حرجة. فموعد الولاء لله سبيل المتوكلين عليه ومنهاج العاملين لديه، ولا يمكن أن يكون الانتصار انتصارا إلا بالتقرب إلى الله تعالى؛ لذلك شهدت الساحات المختلفة له بالصلاة جهارًا؛ بل كان يحاول أنْ يكثر من صلاة الجماعة وهو في خطوط المواجهة الحتمية؛ ليعلن عن توكله على الله تعالى، وليكون مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهو حَسْبُهُ﴾ سورة الطلاق ٣.

الشجاعة

لا يخفى أن الشجاعة من الصفات اللازمة في شخصية القائد؛ لذلك جعلها الله تعالى في خاصة أوليائه. وتميّز رسول الله(صلى الله عليه وآله) بها، وأبناء أبي طالب(عليهم السلام) كذلك، فكان أمير المؤمنين عنوانا للشجاعة والإقدام، وشهدت له المعارك والغزوات حتى استقام الإسلام بسيفه؛ لذلك لا نتصور القائد إلا شجاعا، وهذا ما ظهر على شخصية القائد سليماني الذي حيَّر الأعداء فكان يظهر على حين غرَّة، فيقلِّب موازين المعارك لصالح محور المقاومة، وشهدت المواجهات العراقية مع داعش حضورًا واسعًا للجنرال سليماني. ومن أبرز آثاره الشامخة كانت لحظات توجه داعش إلى سامراء عند سقوط أكثر من ثلث العراق وانهيار

المنظومة العسكرية وهروب كثير من السياسيين الذين يتنعمون بخيرات البلاد؛ فحضر الجنرال سليماني مع ثُلّة من المؤمنين ومنعوا وصول داعش إلى العتبات المقدسة في سامراء بعد أنْ كانت هدفا استراتيجيا لتنظيم داعش آنذاك، ولم يكن بالحساب حضور الجنرال سليماني مع أصدقائه في تلك اللحظات الحرجة التي دفعت بالمقاومين إلى التزود من إمكانياته والعمل تحت قيادته المتميزة حتى توقفت جحافل داعش الممتدة آنذاك إلى مساحات واسعة من العراق، ومن جانب آخر فقد كان الحضور المبكر للجنرال سليماني في أربيل عاملا كبيرا للوقوف بوجه داعش وأعوانه ومنعهم من الدخول إلى أربيل والمحافظات الشمالية، وقد شهد بذلك الجميع بما فيهم أعلى مستوى من قيادات كردستان الذين كانوا ينتظرون الدعم والإسناد من الأمريكان فتخلواْ عنهم في ساعة العسرة، فلم يكن أمامهم إلا التوجه إلى الجمهورية الإسلامية التي لم تتأخر في الوصول إليهم، فقد حضر الجنرال سليماني في الوقت الصحيح؛ لتطمئنَّ حكومة كردستان على نفسها ووضعها وتستمد قوتها من شجاعة القائد سليماني الذي لم يتوقف إلا عند خطوط المواجهة، فردَّ داعش وكسر شوكتهم، واستقرَّت حدود كردستان آمنة مطمئنة.

القيادة الحكيمة

إنّ من أبرز سمات القيادة هي الحكمة في التصرف مع الأحداث والظروف المختلفة ولاسيما عند قلّة المؤن والعدد في مواجهة الأعداء الذين كانوا محاطين برعاية دولية وأمريكية على وجه الخصوص، وفي هذا الجانب علينا أن نعترف بأن القائد سليماني كان يعمل بصمت في محيط منتظم ومنضبط، وكان يتفنن في اختيار قراراته المناسبة في المواجهة؛ لأنه كان موقنا بأنّ صناعة حدث الانتصار يتوقف على صناعة القرار الصحيح والمناسب لكلِّ عارضٍ، فكان يرى بما لا يراه الآخرون، ويخطط لكل مرحلة ما يناسبها من استمرار بث روح الحماسة والتحفيز في نفوس أبناء محور المقاومة، وكان بينهم عنصرا أساسيا للانتصار، فالجميع كان يثق به ويؤمن برؤيته؛ لذلك يمكننا القول إن وجوده في أي موضع كان سببا حقيقيا لشحذ الهمم وتقوية أواصر الأخوة بين المقاومين للوصول إلى الأهداف المرجوة.

الإيمان بالانتصار

كانت مسيرة العشق إلى دوحة الشهادة التي سار عليها الجنرال سليماني حافلة بالتضحيات التي قدَّمها إيمانا منه بالانتصار على الأعداء، فكان يقدم التضحيات بحجم الثقة التي كان يتمتع بها في ساحة المعركة، موقنا بأن الله تعالى إلى جانبه، متوجها إلى الانتصار حاملا معه أدواته من الجسد والروح يطير بهما في سماء المواجهة، وكان هذا العامل هو الأساس في تحقيق النصر في المواجهات المختلفة، وكان الصدق في العطاء والاخلاص في البذل دافعا للمقاومين في مختلف الأوطان إلى التزود من إيمانه بالنصر وثقته العالية في الوقوف بوجه الظالمين، فمختلف المحاور العراقية والسورية واليمنية واللبنانية فضلا عن الإيرانية شهدت تلك الأنفاس الطاهرة للجنرال سليماني وهو يسير بخطواته الواثقة بالله تعالى من أجل الوصول إلى الأهداف المرسومة بمهنية القيادة الحكيمة التي أيقنت ضرورة الانتصار وآمنت به حتى لو كان الثمن نفسه التي بين جنبيه.

وضوح الرؤية والهدف

لا يخفى أن القيادة هي بمعنى تحويل الرؤية إلى الواقع، ومعرفة التخطيط للوصول إلى الأهداف المرجوة بأيسر الطرق، فالقائد الناجح هو الذي يرسم رؤية واضحة مقنعة يمكن اتباعها وتنفيذها، ويُبين خطواتها التي يمكن أن يسير عليها للوصول إلى نتائج محكمة وواضحة، وقد يتحمل القائد من أجل ذلك معاناة كثيرة. فتحقيق الأهداف لا يكون بالخطابات الرنانة أو الأوامر التي لا يمكن تنفيذها، وكان هذا واضحًا في مسيرة الجنرال سليماني الذي جاب البلاد وسار بين العباد؛ ليحكم رؤيته ويبين هدفه الذي يمثل هدف كل المقاومين الأشاوس والمدافعين عن الحقيقة والمبدأ والعقيدة. وبعد أن رسم معالم رؤيته التي ناسبت طموح المقاومين وجد لنفسه مكانة بينهم فكان يقضي وقته في الجبهات وينتقل بين الوحدات يترجم الرؤية والهدف حتى صنع تلك الجبهة العريضة بين الأوساط المختلفة؛ ليتمكّن محور المقاومة من الانتقال من مرحلة الدفاع إلى الهجوم.

عدم التمييز بين عناصر المقاومة

لقد أثبتت مسيرة الجنرال سليماني أنّه كان يشعر بالاندماج مع إخوته في محور المقاومة فلم يميز نفسه عنهم، ولم يقدمهم في مواجهة ليتأخّر عليهم؛ بل كان يتقدمهم ويقدم نفسه عليهم في لحظات الشدة، حتى أيقن الجميع بأن الجنرال يليق به منصب القائد فهو يتحلى بكل

ما يمكن للقائد أن يتصف بها من الصفات النبيلة والحسنة، ومستعد أن يبذل نفسه عنهم، ولم يفرق بيهم فكان في خطوط المواجهة أولا، ولم يلتفت إلى جنسية دون أخرى؛ لأنه كان موقنا بأن الجميع إخوة في خط المواجهة، فالعراقي والسوري والإيراني واللبناني واليمني وغيرهم من عناصر محور المقاومة كانوا يمثلون لونًا واحدًا في رؤية القائد سليماني، وكان يعانق الجميع بقوة واحدة على الرغم من قربه من بعضهم كشريكه في الشهادة والمواجهة القائد المهندس الذي أبى إلا أنْ يمتزج دمه بدم أخيه القائد سليماني فكانا بحق قادة النصر كما جاء في وصف المرجعية الدينية العليا.

إنّ القائد سليماني لم يكن قائدا لفيلق القدس فحسب؛ بل يمكن القول بأنه كان قائدا يقتفى أثره في جميع محاور المقاومة وقد صرّح السيد حسن نصرالله بأنه سيسير على نهج الجنرال سليماني بعد شهادته، كما وصرحت كثير من قيادات العراقية بالعمل تحت لواء الجنرال سليماني كونه يمثل العقل الاستراتيجي للحركات المقاومة وفي مختلف الجبهات؛ بل كان بوصلة الهندسة المحورية للمقاومين. فقد كان اسمه يقلق جيوش الأعداء ويرهب داعش وأعوانها من الدول الكبرى التي ساقت داعش في الشرق الأوسط آملين بإخضاعها تحت سيطرة ونفوذ الهيمنة الدولية التي تقودها أمريكا وحلفاؤها في المنطقة منذ عقود خلت.

إنّ شهادة القائد سليماني أيقظت روح الثورية من جديد في نفوس المؤمنين في مختلف البلدان والعراق على وجه أخص. فقد خرجت الملايين يجوبون الشوارع في محاولة للكشف عن تأثرهم بشهادة قادة النصر على أيدي أعداء الله والدين والإنسانية مما أسهم ذلك بالضغط على الحكومة والبرلمان للوقف بوجه الطغيان الأمريكي وإصدار موقف حاسم من التواجد الأمريكي في العراق، وهذا الأمر بحدِّ ذاته سابقة كبيرة شهدت الحضور بفضل الدماء الزكية للقائد سليماني والقائد المهندس، زيادة على ذلك فقد شهدت الساحة الدولية والعراقية كثيرا من التنديدات بالغطرسة الأمريكية التي ارتكبت جريمة العصر باغتيال قادة النصر.

إنّ المرحلة بشكل عام تشهد خطوات سريعة نحو النهوض بوجه الطغيان، وقد تعاظمت قوة الإيمان بعد شهادة قادة النصر. وهذا بحدِّ ذاته إنجاز يحسب لتلك القطرات التي أنارت سبيل العاشقين في توحدهم وتكاتفهم للوقوف بوجه قوة الشَّر الصهيوأمريكية التي

كانت وما تزال تستضعف الشعوب وتتحكم بقدرات السفهاء من حكام الخليج الذين باعوا آخرتهم بدنيا معاوية العصر، فانكشف زيف عقائدهم ودينهم ووقوفهم إلى جانب الباطل على حساب الحق.

إنّ المكاسب المرحلية وفي مختلف الساحات الفكرية والسياسية والاقتصادية هي ثمرة حقيقية لحركة القائد سليماني وسط محور المقاومة، ومن المهم أنْ نستذكر بعض الكلمات التي دلت بوضوح على أهمية وجود الجنرال سليماني في العراق، فقد صرَّح وزير النقل العراقي أبان سقوط الموصل بأنه لولا سليماني لكانت الحكومة العراقية في المنفى ولما كان هناك وجود للعراق، وقد عبرت المرجعية الدينية عن حادثة اغتيال قادة النصر بأنّ العملية اعتداء غاشم وتمثل خرقا للسيادة العراقية وانتهاكا للمواثيق الدولية. وبشكل عام فقد عززت قطرات الدم التي امتزجت على رمضاء العراق بين جثامين قادة النصر الوحدة بين الفصائل المقاومة، ودفعت باتجاه إبرام الاتفاقيات بين مختلف الجهات من أجل الوقوف بوجه الغطرسة الأمريكية وإخراجها من العراق بشكل نهائي. وهذا بحدِّ ذاته يعد ثمرة طيبة لجهود الجنرال سليماني في المنطقة بشكل عام؛ ليثبت بذلك كفاءته القيادية وامكانياته الكبيرة في توحيد الخطاب الخاص بمحور المقاومة، والإعلان عن مرحلة جديدة تنضج فيها طموح المقاومين الذين كانوا ولا يزالون يقتفون الأثر الطيب لقادة النصر في مسيرتهم الخالدة نحو تحقيق الأهداف المقدسة في الحفاظ على وحدة الإسلام والمسلمين بالشكل الذي يحفظ كرامتهم ويعزز مكانتهم ويقوي شوكتهم بوجه الأعداء الطامحين في مختلف جبهات محاور المقاومة والمقاومين.

فسلام على تلك الدماء التي نالت الشهادة ليتزيّن حاضرنا بنورهم ويستنير مستقبلنا بصوت ظلامتهم المدوي في كل أوان وزمان، والرحمة والخلود الأبديان لهم في مقام كريم عند مليك مقتدر لا تضيع عنده الودائع.

قراءة في فتوى الجهاد الانتخابي

026

(اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تُعِزُّ بِهَا الْإِسْلَامَ وَ أَهْلَهُ وَ تُذِلُّ بِهَا النِّفَاقَ وَ أَهْلَهُ وَ تَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ والْقَادَةِ فِي سَبِيلِكَ وَ تَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَة).

مرة أخرى كما عهدناها المرجعية الدينية تؤكد على حرصها على سلامة البلاد والعباد باتباع أفضل الوسائل المشروعة والمهنية والفنية للوصول إلى تحقيق أمنيات الجماهير العراقية بمختلف أطيافها ومكوناتها في إدارة البلاد وسبل تدوير المسؤوليات بين المتصدين للعمل في الواجهة السياسية التي لا تقل ضررًا إذا ما تُركت عن الفراغ الأمني الذي يتسبب بانهيار المنظومات الإدارية والخدمية؛ بل كل النظام القائم على تسيير حركة الفرد والمجتمع.

إنّ فتوى المرجعية الرشيدة في ضرورة المشاركة في الانتخابات النيابية تستوعب قراءات متعددة؛ فمنها التأكيد على أهمية المشاركة الفعّالة والواعية في الانتخابات، وضرورة اختيار العناصر التي من شأنها أن تحقق طموح الجماهير بما يتناسب مع المرحلة الحاسمة من حياة العراقيين ولا سيَّما فيما يتعلق بمواكبة التطورات العصرية التي تحققت في معظم الدول العالمية، ومسايرة النهضة الدولية في التطور والاستخدام الناجح للطاقات والقدرات الوطنية التي تبهر العالم عند إتاحة الفرصة لها بما يحمله الفرد العراقي من القدرة على القيادة واللياقة في الأداء.

ويمكن أنْ نقرأ في متابعة نص الفتوى أن أكثر من شارك في الحكومات السابقة هم ممن فشل في تحقيق النجاح وتلبية طموحات الشعب؛ لذلك فمن الأولى البحث عن دماء جديدة ونزيهة وكفوءة يمكنها أن تعالج ما أفسده الممثلون السابقون قصورا أو تقصيرا، مع ملاحظة أنّ المخاوف من عدم نجاح العملية الانتخابية بتغيير الوجوه التي كانت قابعة على القلوب تنعكس سلبا على مرحلة ما بعد الانتخابات. لذلك فإن المسؤولية تقضي بضرورة التغيير نحو الأفضل وعدم الانجرار نحو رغبات الأحزاب التي ثبت فسادها وابتعادها عن هموم الشارع؛ لانشغالها بمصالحها ومصالح أتباعها فقط وعلى حساب باقي الشعب الذي عانى الأمَرَّين من هفوات القاصرين وإصرار الفاسدين.

ومـن جانـب آخـر فنـصُّ المرجعيـة الرشـيدة يُنبـئُ بـضرورة المحافظـة عـلى المكتسـبات التـي تحققـت بعـد التغيـير والحـذر كل الحـذر مـن التعميـم في الحكـم عـلى أن الجميـع مـن الفاسـدين؛ لأن ذلـك مـن شـأنه أن يسـاعد أعـداء الشـعب للتفكـير في الرجـوع إلى المرحلـة السـابقة مـن النظـام الدكتاتـوري. فبعـض الطغـاة بـدأ يفكـر بالعـودة مـرَّة أخـرى بحجـة الضعـف الإداري وتسـلط السـراق والفاسـدين. فمـن الأفضـل ملاحظـة خطـورة الأمـر في تـرك المشـاركة؛ لأن عيـون الأعـداء متربصـة؛ بـل إن بعـض الشـعارات المخيفـة بـدأت بالظهـور خاصـة مـا يتعلـق بمسـألة الحشـد المقـدس الـذي ضحـى بالغـالي والنفيس مـن أجـل تحريـر العـراق، ومـع كل ذلـك تجـد أن بعـض المهرجـين يجعلـون مـن دعاياتهـم الانتخابيـة موضـوع تحجيـم الحشـد أو إلحاقـه ببعـض المؤسسـات الحكوميـة التـي ثبـت أنهـا غـير أمينـة للركـون إليهـا.

إنّ عـدم المشـاركة في الانتخابـات فرصـة سـنحت لوصـول الفاسـدين مـرَّة أخـرى، بـل قـد تنكسـر المعـادلات الواقعيـة. فيتـولى رقـاب العبـاد قطـاع الطـرق وعصابـات الـدم مـن الذين ينفقـون كثيرا مـن أمـوال الشـعب للوصـول إلى سـدَّة الحكـم؛ فيتحكمـون بمصـير النـاس، ويعطلـون الدسـتور، ويشـجعون عـلى الفسـاد والفـوضى؛ ليبقـى العـراق لعبـة بيـد الشـيطان الأكـبر وانحصـاره بـين كمّاشـة البـلاء وحرمـان العطـاء ولات حـين منـدم.

كان الحشد وسيبقى

027

يوما بعد آخر تتجلّى لنا جميعا تضحيات الحشد الشعبي، فعلى الرغم من أن هذا الحشد لا يزال مؤسسة فتيّة وقد تشكل في ظروف خاصة، وبتلك الفتوى التاريخية التي غيرت معالم العراق بل الشرق الأوسط بشكل عام، إلا أنّها قدمت كثيرا في مجالات متعددة ومتنوعة، ولا يستطيع القريب أو البعيد أنْ ينكر ذلك. فمنجزات الحشد أكثر من أنْ تحصى أو تعدُّ، ولم يفرقوا في تقديم خدماتهم المجانية بين أبناء الوطن جميعا؛ بل إنّ الذي قدمه الحشد في المناطق التي كانت حواضن لداعش أكثر مما قدَّمه في المناطق الأخرى، وهذا كله يؤكد على وطنية هذه المؤسسة وعراقيتها التي لا يمكن لأحد أنْ يزايد عليها، أو يقلل منها.

ومن أهم ما تميزت به هيئة الحشد الشعبي هو ذاك الاندفاع الكبير في التوجه إلى قتال أعداء العراق من الدواعش والإرهابيين الذين سيطروا على أكثر من ثلث العراق بعد أن فشلت المؤسسة العسكرية في التصدي لهم، فهرع الرجال من مختلف مناطق العراق وخاصة من الوسط والجنوب بعد أن قالت المرجعية الدينية كلمتها التاريخية التي تنص على ضرورة حمل السلاح والدفاع عن الوطن والأرض والعرض، فكانت المفاجأة التي حيَّرت العقول وغيرت المعادلات، وانكسرت جميع مراهنات الغرب الذين كانوا يجدون في سطوة داعش على العراق ضالتهم ونجاح أهدافهم وسياساتهم الخبيثة والدنيئة التي كانت تشقُّ طريقها بسفك الدماء واغتصاب النساء وقتل الصغار، فكان الحشد لهم بالمرصاد.

وبعد أن نجح الحشد في كسر شوكة الظالمين وتحقيق النصر عليهم وقد ألحقت بهم الهزائم تلو الهزائم، لم يستقر للحشد جلوسٌ خاصة بعد أنْ أيقنت هذه المؤسسة الوطنية أنّ هناك واجبات كثيرة تنتظرها، فسارعت إلى إعمار البيوت وبنائها تلبية لحاجة كثير من عوائل الشهداء ولاسيما من أبناء المؤسسة الفتية، وكذلك تأمين السكن لمئات من عوائل الفقراء والمعوزين، ومن جانب آخر فقد تيقن أبناء هذه المؤسسة بواجبهم الوطني في أيام انتشار الوباء الظالم، فسارع أبناء الحشد إلى تعفير مختلف المناطق من عراقنا الحبيب لدفع بلاء هذا الوباء عن مختلف العراقيين، كما وكذا سارعت هيئة الحشد الشعبي إلى تلبية دعوات التكافل الاجتماعي فعملت على استحداث صناديق خاصة لجمع التبرعات وصرفها في

مواردها الحقيقية، وهذا الأمر كان له الأثر الواضح على كثير من المعوزين والمحتاجين. ولم تكتفِ هيئة الحشد بكل ذلك؛ بل أصبحت من أهم المؤسسات الأمنية التي تعمل على تأمين الزيارات الكبيرة والمختلفة سواء في بغداد أو في كربلاء المقدسة أو في النجف الأشرف أو في الموصل وكركوك وديالى وصلاح الدين وفي كل مكان آخر تقام فيه مراسيم الزيارة أو العزاء الحسيني. وقد أثبتت التجربة نجاح الخطط الأمنية لهذه المؤسسة الإيمانية والإنسانية. ومما ينبغي أن نشير إليه أيضا أن الحشد تبنى موضوع غسل ضحايا الفايروس ودفنها ونقلها في الوقت الذي تخلى فيه عن المتوفى الجميع حتى أهله وولده، وهذه المسألة عززت مكانة الحشد في قلوب الجميع، وصار الجميع يستشعر أهمية هذه المؤسسة التي لا تنفك عن واجباتها الوطنية وفي مختلف الميادين؛ ليستيقن الجميع أن الحشد كان عز العراق وسيبقى سيفه البتار ودرعه الواقي في مواجهة الأخطار والطوارئ.

كان السيد الكاظمي وطنيا

028

لا تخفى الازدواجية التي يعيشها كثير ممن نعتقد بشراكتهم في بناء الوطن الجديد، وقد ظهر ذلك على فلتات ألسنتهم مرارا وتكرارا، ومع كلِّ ذلك كنا نحاول التغاضي بعدم الاستماع ومحاولة تبرير المواقف من أجل اللحمة الوطنية ودرء الفتنة والعمل على تسوية الأمر بما يناسب المرحلة وتحدياتها الكثيرة.

واليوم بات واضحا بأنّ أكثر الشركاء إنّما يقبلوننا حينما نكون على وفق رؤيتهم وليس من مبدأ قبول الآخر على ما هو عليه، فليس لهم أن يعيشوا الواقع حتى على أعلى المستويات. والمراقب المحايد حينما يحاول أنْ يغادر الحكم الارتجالي على الآخر ينطلق من الواقع الذي يظهر من سقطات اللسان الذي لم يستطع الحاقد إخفاءه بمعسول اللسان.

فبالأمس القريب كانت القنوات والشخصيات التي لا تخفى هويتها الطائفية الضيقة عند الجميع تدعم السيد الكاظمي وتؤيده وتبارك كل ما يصدر منه وخاصة ما يتعلق بقطع الرواتب ومهاجمة قوات الحشد ومحاولة التنافر عن محور المقاومة والتقرُّب من محور أمريكا وأذيالها، وكانوا يتحدثون عن وطنيته الكبيرة وخاصة حينما أعلن السيد الكاظمي بأنّ أولى زياراته الخارجية ستكون إلى العربية السعودية، فبادرت القنوات والشخصيات المريضة بإظهار الصورة الحسنة ومحاولة دعمه بكلّ الوسائل المتاحة؛ لتعزيز العمق العربي بين العراق والسعودية التي كانت وما تزال منبع الإرهاب والمفخخات. وفجأة حينما تأجلت الوجهة إلى السعودية اختلفت الموازين وتغيرت الخطابات وأصبح السيد الكاظمي متهما؛ بل غير وطني خاصة حينما توجه إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية وتحدث عن الدور الكبير للجمهورية الإسلامية في مواجهة داعش جنبا إلى جنب مع أبناء العراق الغيارى الذين قدموا الغالي والنفيس من أجل العراق.

زيارة السيد الكاظمي إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية أبعدته عن الوطنية في نظر كثير من سياسيِّ الصدفة والمكر والخداع، وهذا ما أظهره وبشكل معلن السيد محمد الكربولي مدير قناة دجلة في لقائه عن زيارة السيد الكاظمي إلى الجمهورية الإسلامية، وزاد على ذلك

الكربـولي بقولـه إننـا ندمنـا عـلى منحـه الثقـة، وإشـارته إلى أنهـم سـيعملون عـلى اسـترجاع ثقتهـم بعـد أن منحوهـا لـه.

هـذا الخطـاب الكربـولي لـم يكـن جديـدا عنـد العقـلاء، فهـم مـع المسـؤول حينمـا يكـون المسـؤول عبـدا لأمريـكا والسـعودية والمؤامـرات التـي تحـاك ضـد العـراق شـعبا ووطنـا، وإن مقيـاس الوطنيـة عنـد بعـض النـاس يقـاس بمـدى علاقتـك بأعـداء محـور المقاومـة، ولهـذا فـإن السـيد الكربـولي نـادم عـلى منحـه الثقـة إلى السـيد الكاظمـي وسـيعمل عـلى اسـترجاعها. وهـذا يسـتلزم العمـل عـلى كشـف المخططـات التـي يعمـل عليهـا كل هـؤلاء بوصفهـم أدوات للتفريـق وتمزيـق وحـدة الصـف، ومحاولـة تضعيـف الدولـة.

نعـم أيهـا السـيد الكاظمـي فقـد كنـت وطنيًـا حينمـا كنـت تناغـم رغبـات الكربـولي وقائمتـه وتعمـل عـلى مقاطعـة الجمهوريـة الإسـلامية وتتوجـه إلى العمـق العـربي الـذي لـم يتـوانَ عـن تدمـير العـراق لحظـة واحـدة، فمنـذ التغيـير تعمـل عـلى التخطيـط والتنفيـذ وبمختلـف الوسـائل مـن أجـل تدمـير العـراق وسـحق العراقيـين.

نعـم أيهـا السـيد الكاظمـي عليـك أنْ تعـرف أنّ الدعـم الـذي حصلـت عليـه لـم يكـن مجانـا، ولـم يكـن مـن أجـل الوطـن، ولـم يكـن لاعتقـاد القـوم بوطنيتـك؛ بـل كانـت مـن أجـل أن تكـون أنـت كمـا يرغبـون وإلا فأنـت لسـت وطنيًّـا بحسـب معايـير الوطنيـة عندهـم، ولـنْ تكـون طالمـا لسـت معهـم، فالوطنيـة معيـارٌ قابـلٌ للتغيـير بحسـب متطلبـات المرحلـة وأهـداف القـوم المفضوحـة.

لا تبرروا لها

029

في خضمِ الفتن المتلاحقة تتجدد الاحتمالات وتتداخل بشكل قد لا يستوعبها سياسيو الصدفة فضلا عن كثير من العامة الذين يتفننون في التكهنات والمبررات التي تصبّ في مصلحة الجهات المسؤولة عن إثارة تلك الأزمات؛ لتختلط الأوراق على الجميع فلا يتبيَّن المصلح من المفسد فتسود فوضى التجاذبات اللامنطقية وقد يجرُّ العباد والبلاد إلى حيث التشققات الكبيرة التي لا تندمل فينقسم الواقع بين تيارات وأحزاب على أساس اللاوعي؛ ليتربع في النهاية شيطان الفتن وكأنّه المنقذ للسفهاء والبلهاء الذين اختلط عليهم الأمر فأصيبوا بالعمى وعيونهم مفتحة؛ لكنها لا ترى الحقيقة.

إنّ المشهد العراقي اليوم انقسم على نفسه خاصة بعد الاستهدافات الأخيرة التي تبرأت منها عموم الفصائل العراقية العاملة في محور المقاومة وفي الجبهات المختلفة، فوقف بعض الناس موقف الباكي على السفارة وأبنائها، ولا يحاول حتى مجرد وجود احتمالات أخرى غير المقاومين في ضرب سفارة إبليس اللعينة، وبذلك لا يفكِّر إلا بإلقاء اللوم على المؤسسة التي كانت ولا تزال تعمل من أجل استقلال العراق وتحريره من كيد الشيطان الأكبر الذي كشف عن أنيابه بالهجمات المختلفة، فتارة على صورة الدولة اللاإسلامية وأخرى على صورة داعش اللعينة حتى فتكت بالأعراض وقتلت الصغير والكبير ولم تفكر إلا في إثارة الرعب والفوضى خدمة سيّدة الملعب المتسترة بقناع الحرب ضدَّها.

إنّ الحكمة تقتضي البحث والانفتاح على الاحتمالات الكثيرة التي منْ شأنها أنْ تتوصل إلى المتسبب في إثارة الفوضى في المشهد العراقي، وكشف الحقيقة يستلزم عرض جميع الاحتمالات ودراستها، ومعرفة الجهة التي يمكن أنْ تُفيد من هذه الفتن، فكما هو معلوم أنّ الجانب العراقي ليس له مصلحة في الفوضى وإثارة المشاكل التي من شأنها أن تعزز وجود المحتل أو تعمل على ذلك بافتعال الأعذار التي يمكن أن تتذرع بها سفارة الشيطان لإطالة أمد بقائها، وليس من مصلحة إيران أيضا الآن افتعال المشاكل في الساحة العراقية؛ ليكون مبررا أمام ترامب المتشبث بالسلطة والذي يحاول افتعال الأزمات؛ ليعلن عن حالة الطوارئ في أمريكا فيبقى أطول مدّة في إدارة الحكومة الأمريكية.

إنّ خسارة ترامب غير المتوقعة بالنسبة له يمكن أنْ يدفعه إلى أنْ يثير كثيرًا من الفتن والبلايا على المستوى الإقليمي والدولي؛ والمتابع لسياسته بعد خسارته يجد أنه يعمل بكثير من اللاوعي ولا يهمه سوى افتعال الأزمات التي قد تصب في خدمته، ولمّا كان الملف الإيراني مهما بالنسبة لترامب فقد يسوقه غباؤه إلى افتعال الموجبات من أجل الصِدام المحتمل الذي يبحث عنه ترامب بعد أن فقد كل شيء فلم يعُد يهمه أن يخسر كل شيء.

ومن المناسب أنْ ندرك أنّ مسيرة الأحداث كشفت عن أن الجهة المعنية بالاستفادة في خلق الفتن وإثارة الأزمات خاصة في العراق هي أمريكا؛ لذلك لا نستبعد احتمالية قصفها لسفارتها؛ لتتذرع بذلك من أجل استهداف الفصائل العراقية المختلفة ولاسيما فصائل الحشد المقاومة لها، أو تتذرع بذلك لافتعال أزمة جديدة تؤثر على السّلم المجتمعي على مستوى المنطقة فيزيد من حدَّة التوترات وقد يصل الأمر إلى المواجهة بين المحاور المختلفة، فعلى هذا ليس من الصحيح أنْ نتصور بأنّ الصراع بين إيران وأمريكا هو البلاء؛ بل البلاء الحقيقي هو احتلال أمريكا للعراق ومحاصرتها لمحور المقاومة وخلقها للأزمات الكثيرة من أجل ترسيخ مفاهيم مغلوطة في أذهان السفهاء فيقوموا بالتبرير لكل حماقاتها على أساس التغذية الثقافية الخبيثة المدسوسة والمعسولة بأصباغ اللاوعي.

لصوص النهار

030

واحدة من الصفات الرذيلة التي طالما أكدت الآيات والروايات على مقتها وضرورة إقامة الحدّ عليها هي السرقة، التي تعمل على زعزعة الأوضاع وضياع المستحقات، وشياع الفساد بين العباد بطريقة ممنهجة وفنية؛ لذلك حارب الإسلام بكل ما أوتي من الحول والقوة مبدأ السرقة في عموم مفاصلها ومختلف هيئاتها ومجالاتها، وشرع بذلك القوانين والآداب التي من شأنها أن تحافظ على كيان الأمة من السراق فأوجب قطع أيديهم؛ ليرتدعوا ويكفوا عن فعلهم الدنيء الذي يتسبب بضياع العباد والبلاد.

ومما تجدر الإشارة إليه في القصص الغابرة وحكايات جدي أن السراق كانوا يركبون الليل للبحث عن الستر والغطاء في الوصول إلى مآربهم وغاياتهم الخسيسة؛ لذلك كان السارق محكوما عليه بالجبن والخبث أيضا. ولم يتشرف شريف بالانتساب إلى هذه المجموعات الليلية الوقحة؛ بل إنّ الناس الذين يبحثون عن الاعتبارات الدينية والاجتماعية والقيمية صاروا يحابون فساد السراق؛ ليحافظوا على التوازنات الاجتماعية والحياة الكريمة البعيدة عن الكدرات، وكانت الحكومات هي الأخرى تعمل من أجل محاربة الفساد ولاسيما فيما يتعلق بملف السّراق؛ لذلك كان السّارق يشعر بأنّ الجميع يلاحقه فيبتعد عن الرذيلة إلا إذا اضطر لذلك.

أما اليوم فالأوضاع مختلفة؛ لأنّ السراق تركوا ظلمة الليل وتحولوا إلى عنوانات كبيرة كالمؤسسات المختلفة والوزارات المعتبرة؛ بل رئاسة الحكومة بمسمياتها الكبيرة والحاكمة. فأصبح الفاسد محترما والفساد مهنة يتداولها الحكام والمتسلطون على رقاب الفقراء والمستضعفين، وأخذوا يشرّعون القوانين تلو القوانين؛ ليجعلوا البلاد وثرواتها أسيرة رغباتهم التي اتفقوا على تضمينها في الموازنات والمصروفات والمكافآت التي ما أنزل الله بها من سلطان؛ بل زادتهم حجبا بينهم وبين الحقيقة التي لا يمكنهم رؤيتها فأخذوا يساومونا على لقمة العيش، وقطرات العلاج، مما يضطر بذلك المواطن إلى الانزلاق نحو مستنقعهم الهاوي والمتهالك.

مـن المناسـب أن نـدرك جميعـا بـأن الحقـوق لا تعطـى؛ بـل تؤخـذ، وإنْ الـسّراق كمـا كانـوا في المـاضي يدخلـون إلى البيـوت ولا يخافـون العجائـز والنسـاء والشـيوخ وإن علمـوا بدخولهـم إلى البيـت وسـمعوا وَقْـع أقدامهـم عـلى السـطوح والجـدران، كذلـك اليـوم فالـسراق الذيـن عمـدوا إلى سرقـة الوطـن والثـروات جهـارا نهـارا لا يخشـون الأحـزاب التـي تشـاركهم ولا الشـيوخ والعجائـز؛ بـل يخشـون قـوة الشـباب وصيحـة الأقـلام المدويـة التي يمكنهـا أنْ تسـلط الإعـلام وتسـخر الإمكانيـات والقـدرات الوطنيـة الشريفـة للحـدّ مـن هـذا الإسراف والاسـتخفاف بالحقـوق العامـة لهـذا الشـعب الجريـح. فعـلى الجميـع أنْ لا يسـتخف بقدرتـه وصوتـه وقلمـه مـن أجـل هـذا الوطـن وشـعبه الـذي بـات فريسـة بـين الوحـوش المتكالبـة عليـه مـن الداخـل والخـارج ويسرقونـه في وضـح النهـار؛ ليعلنـوا أنّ مرحلـة السرقـات تحـت جنـح الظـلام ولّـت فالـسُّراق اليـوم يقـودون ويسرقـون في النهـار جهـارا وإعلانـا.

ماذا بعد ترامب

031

لقد حسم الجمهور الأمريكي أمره بإنهاء مرحلة كانت هي الأخطر سوءا في حياتها في ظلّ سياسات صبيانية أظهرها المعتوه ترامب وهو يسلب العالم أمانه وحقوقه تحت عباءة حفظ هيبة الولايات المتحدة الأمريكية ونظرية محور القوة الفريدة التي تصورها بعض السفهاء إلى جانبه حتى تخيلها ترامب وتوقّع أنّ العمل عليها سيجعله أكثر مقبولية في الوسط الأمريكي وأكثر تأثيرا على العالم ولاسيما الضعفاء ومن يصدق عليهم أنّهم أشباه الرجال.

من المؤكد أننا لا نعتقد بأن خليفة ترامب سيكون على وفق طموحات العالم الذي كان ينتظر انكسار ترامب، ولكن هزيمة ترامب أدخلت السرور إلى قلوب كثيرين ولاسيما المطالبين بالثأر لدماء قادة النصر الذين يجدون في هزيمة ترامب أول قطرات الغيث نحو الثأر لأبطال المقاومة وقيادات الانتصار، فقد حان كسر المعادلات والمراهنات التي عوَّل عليها خونة العرب ودفعوا الملايين من أجل وصول ترامب إلى البيت الأبيض مرة أخرى؛ لأنهم يتصورون أنّ عزهم المفقود وبقاءهم المهتز إنّما يكون ويقوى ببقاء ترامب المهزوم. واليوم بات واضحا أن خليفة ترامب وإنْ كان ضعيفا كسابقيه في نظر المؤمنين فليس له ولا لسابقيه قدرة على زحزحة عقيدة الأبطال في استرداد الحقوق المسلوبة والتصدي للإرادات الخبيثة التي أظهرها قادة الولايات المتحدة في مختلف المراحل السابقة وكشف عنها بشكل معلن ترامب الذي آمن بالعيش على جراحات العالم وسلب حقوقهم من أجل الرفاهية المزيفة التي فقدت لذتها بعد أن اختلطت بدماء كثيرين في مختلف بقاع العالم.

إنّ الرسالة التي نقرؤها اليوم في خسارة ترامب يمكن أنْ تكون موجهة إلى كثير من الأعداء والأصدقاء. فأوّل هذه الرسائل هي لبايدن الخليفة الذي ينبغي عليه أنْ يُدرك أنّ الأيّام تداول بين النّاس، فعليه أنْ لا يكون غبيّا كسابقه الذي قد لا يجد مكانا آمنا لنفسه وعياله بعد الخروج من البيت الأبيض.

والرسالة الثانية للعبيد وهم حكام الخليج وأبناء ترامب الذين ضحك عليهم فسلبهم خيرات أوطانهم بحجة حمايتهم من محور المقاومة. وأما الرسالة الثالثة فهي لمحور المقاومة الذين استبسلوا في التصدي والوقوف بوجه الطواغيت ومفاد الرسالة تقول إنْ

ندَّكم صغير وإن أظهر غير ذلك، وأعداءكم حمقى وإنْ تظاهروا بالوعي والدراية، فعليكم بالتوكل على الله فهو حسبكم وناصركم وإن قل الناصر والمعين.

وأما الرسالة التي يريد أنْ يوجهها خليفة ترامب مع استشراق دورته هي أنْ العالم سيكون أكثر أمانًا من دون ترامب، وهذا بحدِّ ذاته شهادة على السياسات الخاطئة التي كانت أيّام ترامب والتي ينبغي تغييرها، وأنّ الذين كانوا معه هم جزءاً من منظومته الفاسدة التي ساقت العالم إلى المزيد من التفكيك والتباغض البيني وعملت على تقاطع الشعوب وتناحرها، فعلى المجتمع الدولي وحكام العالم أنْ لا يعبدوا حكام البيت الأبيض؛ بل يتعاملوا معهم على أساس الند لئلا يصاب حكام أمريكا بداء العظمة والقوة الواحدة ومحاورها فإن هذا العهد ولى إلى هاوية ترامب الخاوية والمخزية.

ماذا لو غرد الحمار على الشجر

032

عسكرت المتناقضات في حياة الناس أصبح من الطبيعي؛ بل ظاهرة عامة وعلى المستويات المختلفة وكلٌ بحسبه، وقد بات لافتاً للنظر عند المتأملِ، والحال أنّ اجتماع النقيضين وإنْ اتفقا لعارض إلا أنّه من السفاهة واختلال التوازنات، لذلك لا يمكن أنْ نتصور أنّ الحمار يغرد وهو صاحب الصوت المنكر المستقبَح عند كثيرين ولا يمكنه زيادة على ذلك ارتقاءه الشجر فهذا من المحال الطبيعي كما لا يخفى على أهل البصر والبصيرة.

إنّ تغريدة السيد ترامب الهجينة والتي يدعو فيها إلى حقوق الأخوة الكرد؛ بل يشترط لقائه بالسيد رئيس الوزراء وجود ممثلي الجارة (كردستان)، وهذا الأمر ظاهره يكشف عن حرصه على حقوق الشعب الكردي الذي نؤمن به وليس هناك فردٌ في العراق لا يعترف بحقوق الشعب الكردي ونضاله وتحمله الأذى والحيف والظلم أبان العهد السابق؛ ولكن هل يا ترى أنّ السيد ترامب يبحث عن حقوق الكرد ليصرَّ على وجودهم في اللقاء؟ أمْ أنّ ذلك ذريعة نحو مزيد من الضغط على حكومتنا العزيزة التي أذلت نفسها بلقاء ترامب وقبولها شروطه وإملاءاته التي ستثقل العراق بالديون والفشل المتجدد وينهي طموح العراقيين في الوصول إلى تحقيق أدنى سبل النهوض أو الاستقرار. إنْ تناقض السيد ترامب واضح في منهجية التي تعامل بها مع الشعب العراقي عموما ومع الكرد بشكل خاص، فلا يخفى أن كردستان كانت على حافة الهاوية بعد دخول داعش إلى شمال العراق وغربه، ولم تحرِّك أمريكا طائرة واحدة من أجل كردستان ولم تقدم جنديًّا للدفاع عنها ولولا رجالات الجمهورية الإسلامية وسلاحها وعتادها لما بقيت مدينة أو قرية إلا ودخلها داعش، فأين كان السيد ترامب من حقوق الشعب الكردي.

أما تغريدة السيد رئيس الوزراء التي شكر فيها السيد ترامب على هزيمته لداعش فهي أكثر فضاعة مما سبق. فالكلُّ يعلم والسيد ترامب كذلك ليس غبيا فهو يعلم أن الناس تعلم أنّ داعش الحقيقي هو أمريكا، وأمّا هؤلاء السفهاء والسفاكون فهم أدوات الشيطان الأكبر، تتنقل بهم حيثما تشاء وكيفما تشاء، وعليهم السمع والطاعة لا غير؛ فهل يعقل أنّ السيد رئيس الوزراء لم يسمع ولم يعلم بذلك؟ أمْ أنّ الأمر مبنِّي على جمع المتناقضات، هيهات

ثـم هيهـات، أيـن حقـوق الشـهداء والجرحـى؟ أيـن حقـوق الكلمـات التـي خلَّدتهـا التاريـخ للمرجعيـة الرشـيدة التـي غـيّرت المعـادلات؟ أيـن حقـوق الأخـوة الذيـن تركـوا أوطانهـم لتمتـزج دماؤهـم بدمـاء أبنـاء العـراق بعـد وقوفهـم صفـا واحـدا في خنـدق العـزِّ والكرامـة دفاعـا عـن العـراق وأهلـه. أيـن حقـوق الثكلى مـن الأمهـات والنسـاء بعـد فقدهـنَّ الأبنـاء والأزواج؟. اليـوم ينبغـي الواقعيـة عـلى مـنْ يريـد أنْ يُغـرّد، فليـس لهـم أنْ يضحكـوا عـلى المؤمنـين ولا عـلى عامـة النـاس مـرة أخـرى، فـكلٌّ أصبـح يـدرك أنّ مـن المتناقضـات أنْ تبحـث القنصليـات الأمريكيـة عـن حقـوق أهـل الجنـوب ولاسـيما البـصرة والناصريـة فقـد كانتـا عصيتـين عـلى الغـزاة. وأمـا مـن يتصـور نجاحـه مـع الشـيطان الأكـبر وقـد انسـاق وراء وعودهـا واصطـف معهـا وكان سـببا في قتـل النفـس المحترمـة وخلـق الفـوضى والعبـث بالمـال العـام والممتلـكات العامـة فعليـه أنْ يـدرك أنّ الإصـلاح يتناقـض مـع مـا ذهـب إليـه وإن لـم يسـتوعب اللعبـة فهـو ليـس ببعيـد عـن الحمـار الـذي يغـرّد عـلى الشـجرة !!!

مسيرة الإصلاح والاتجاه المعاكس

033

توافرت الأدلة على أنّ الإصلاح مشروع سماوي، فالله تعالى شأنه تبنى مسيرة الإصلاح وأكد عليها في مختلف الشرائع والمناهج التي كلَّف بها أنبياءه وأولياءه. وعلى هذا فإنّ دعاة الإصلاح ينبغي أن يتحلَّوا بما يناسب دعوتهم، ولا يصح أنْ تكون هناك مفارقة بين حقيقة الدعوة إلى الإصلاح وبين الوسائل والأدوات، ولطالما توافقت مبادئ الدعوة إلى الإصلاح ومناهجها التي تعتمد في التطبيق، وأما إذا ثبت العكس فلا يمكن أنْ نزيد على الأوضاع إلا مزيدا من الفساد الذي قد يتزيَّن بثوب الإصلاح. فمثلًا نتفق على أنْ سيّارة المرور حينما تسير في الطرقات وهي مخالفة لاتجاه المسير كيف يمكنها أنْ تمنع الآخرين أو تهديهم إلى الاتجاه الصحيح، وكيف لدعوتها أنْ تكون مؤثرة في حركة المرور وانسيابيتها.

والإصلاح السياسي من أهم مرافق الإصلاح ويتوقف عليه كثير من الجوانب الأخرى كالجانب الاجتماعي والاقتصادي والتربوي والصحي...إلخ. فإذا فسُد الواقع السياسي في وطنٌ ينعكس واقعه على كل ما يتعلق بالوطن، وتصعب عملية الإصلاح بشكل كبير؛ لذلك فإن الخطوة التي أقدمت عليها الحكومة بتعيين الأفراد الذين ثبت ولاؤهم لأحزابهم على حساب وطنهم إنما هو تكريس لدور الأحزاب وإرضائهم على حساب الشعب وقدراته وكفاءاته، وليس من المتوقع بعد هذا الانجرار إلا مزيدًا من الفساد والانقلاب على عملية الإصلاح المنشودة الذي أحدثته هذه الحكومة يتنافى تماما مع مطالب الجماهير الواعية التي لا يمكن خداعها بالتعيين أو استمالتها بالمناصب كالذي حصل في تقسيم المناصب على الأبواق المأجورة فخنست؛ لأنّها في الأصل لم تكن دعوات وطنية.

إنّ المسير عكس الاتجاه لا ينحصر بالتوجه السياسي، فالمجتمع الذي فقد الوعي والبصيرة لا يستحق غير هؤلاء السياسيين الذين يعيشون على خيرات العراق ويعملون لصالح دولٍ أخرى منحتهم الجنسية فمنحوها ولاءهم وطاعتهم. وأما الشعب ففي الغالب لا يستطيع هو الآخر إصلاح نفسه فضلا عن مجتمعه. فعلى سبيل المثال نجد أنّ جميع المدخنين للسكائر يقرؤون التحذير عليها بالخط العريض ولكن ليس لهم القدرة على الامتناع عنها؛ والنتيجة هي ملايين الموتى سنويا بسبب التدخين المضرِّ. وهكذا فكثير يفشل في محاولة

إصلاح نفسه فكيف يمكنه إصلاح الآخرين، ومن جانب آخر نجد فشل المجتمع في التوعية والعمل بها، ففي حالات الوفاة بفايروس الكورونا المستجد نرفع لافتات مكتوب عليها: نعتذر عن استقبال المعزين وبعضنا يزيد عليها بقوله: امتثالا لتوجيهات المرجعية الرشيدة نعتذر عن استقبال المعزين؛ بينما هو يعقد مجلسا للعزاء ويستقبل الناس وإذا تخلفَّت عن تقديم العزاء له قد يترتب على ذلك الفتور في العلاقات وغير ذلك. لذلك نقول نحن فعلا بحاجة إلى مراجعة أنفسنا، وإذا أردنا التغيير فعلينا بتغيير أنفسنا أولا ومن ثَم نتوجه إلى الآخرين، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، وأما إذا استمر الناس بالمسير عكس الاتجاه فلا يزيدهم إلا بعدا عن الإصلاح.

المبكر والأبكر

034

الانتخابات استحقاق شعبي وليس لأحد أن يزايد عليها؛ بل من واجب الجميع ولاسيما المعنيين الاهتمام بالأمر وبالشكل الذي يتناسب مع طموح الشعب ورؤيته. ومما لا يخفى أن واحدة من أهم أولويات هذه الحكومة المكلفة بإدارة ملفات عدَّة هي العمل على تهيئة الأجواء وإقامة الانتخابات التي ينتظرها الكادحون والعاملون علَّها تغير الوجوه التي أسرفت في الفساد حتى غلب الفساد فأصبح مادة التعامل اليومي وفي مختلف المجالات وكل بحسبه.

والذي أثار استغراب أكثر العراقيين هي دعوة الحكومة إلى إقامة انتخابات مبكرة؛ لتجاوز المرحلة والانتقال إلى مرحلة أخرى، والأكثر غرابة الدعوة إلى انتخابات أبكر، فبين المبكر والأبكر ينبغي أنْ يعرف المسؤول أنّ الأمر لا يحتاج إلى أبطال الإعلانات والصحف والمواقع؛ بل يستلزم التهيئة الفعلية لإقامة الانتخابات التي نطمح أن تكون انتخابات حقيقية بعيدة عن تسلط الإرادات الخارجية والداخلية التي من شأنها أن تعمد إلى إعادة الوجوه الكالحة إلى سدة الحكم والإبقاء على المحاصصة الطائفية والحزبية الضيقة.

إنّ الدعوات التي انطلقت من أجل إقامة الانتخابات من دون العمل على تغيير قانون الانتخابات أو معالجة وضع الأحزاب، ورعاية الدوائر الانتخابية المتعددة إنّما يعني الانتحار الانتخابي، وهذا بحدِّ ذاته تجاهل حقيقي لإرادة الشعب وتجاوز سافر على حقوقه؛ بل قد يعني معاني أخرى عند من يتأمل الواقع مرتين، فدعوة الانتخابات رافقت دعوة حلِّ البرلمان ولعلّ من أهم الأهداف لهذا المشروع هو تجاهل القرارات المهمة التي صدرت عن البرلمان ومن بينها الاتفاق على طرد القوات الأجنبية والأمريكية على وجه الخصوص.

لا أعلم حقيقة دعوة المسؤولين وإصرارهم على إقامة الانتخابات في هذا الوضع المتعثر والشائك، حيث الإرادة الأمريكية تتحكم في كثير من مفاصل الدولة، وتعمل على هدم المشاريع المهمة والكبيرة أو تعرقل إنشاءها ومن ثمَّ تعمل على هدر الفرص التي من شأنها النهوض بالواقع العراقي كالاتفاق الصيني والألماني وغير ذلك كثير أيضا، ومن جانب

آخر تتجاهر بضرب أبناء الوطن من القوات الأمنية وخاصة من أبناء الحشد جهارًا في ظل صمت حكومي.

إنَّ إقامة الانتخابات على الرغم من أهميتها وضرورتها؛ ولكنّها تلد ميتا في ظل الوجود الأمريكي؛ لذلك نتصور أنّ الحكومة إذا كانت جادة في دعوتها التي تزينت بالمبكرة والأبكر إلى إقامة الانتخابات، عليها أولا معالجة إخراج القوات الأجنبية والأمريكية على وجه الخصوص، والعمل على معالجة الأخطاء التي رافقت الانتخابات السابقة من منع فرص التزوير بتغيير نظام الانتخابات، والعمل على ضمان نزاهتها وبالشكل الذي يتناسب مع الإرادة الوطنية، والعمل على ترشيح الأفراد بدل الأحزاب، وضمن دوائر انتخابية تحقق رغبة المجاهدين من أبناء هذا الوطن بعيدا عن مصادرة الاستحقاقات التي طالما ضاعت بين هيمنة الإرادات الخارجية والحزبية.

النهوة من العنف الاجتماعي الى التداول السياسي

035

لا يخفى أنّ واحدة من أبشع الأعراف والتقاليد الاجتماعية الشنيعة التي يرتكبها بعض ضعاف النفوس من أبناء المجتمعات المغلقة على وجه أخصّ هي النهوة، حيث يعمد ابن العم إلى وضع قيود على زواج ابنة عمه أو إحدى قريباته بدافع القربى منها فيمنعها من الزواج بغيره شاءت أم أبت، وقد حارب الإسلام هذا العرف الباطل، ونبه كثيرا على هذا الأمر والابتعاد عنه، وذهبت الروايات إلى تحريم الزواج بهذه الوسيلة، بل عدَّها مغتصبة حتى ترضى بزواجها التي فُرض عليها.

وتفتخر المجتمعات المدنية بتحررها من هذا القيد الفاحش على البنات سيما المغلوبة على أمرها، ومن هنا نجد أنّ بعضا من أبناء القرى بادر إلى الخروج من محيطه القروي الصغير مهاجرا إلى المدينة هربا من هكذا قيود مجحفة تنال من حقوق المرأة على وجه الخصوص، وأحيانا يكون الرجل هو الضحية حينما يفرض عليه هو الآخر الزواج من ابنة عمّه بوصفه هذا عرف موروث ولابد للأبناء طاعة الآباء وإن لم يرغبوا بذلك.

وهذا العرف على الرغم من بشاعته إلا أنه لم يصادر ولم يتجاوز إلا على نفر أو نفرين وقد يعالج بالرضا بعد ذلك فتهون آثاره، إلا إنها حينما تنتقل من بُعدها الاجتماعي الضيق إلى واقع سياسي يتعلق بملايين المواطنين وفي مختلف البقاع والدول فتلك مصيبة وينبغي أن يتعاضد المؤمنون في مواجهة الأمر والتصدي لمخاطره الكارثية التي عملت على استعباد الشعوب المتحررة، وصادرت حقوقها التي تنص عليها المواثيق الدولية وقرارات الأمم المتحدة التي تدَّعي حقوق الشعوب، فضلا عن المقررات الواضحة التي تحكم بحقوق الشعوب والمجتمعات والأفراد في مختلف الأديان السماوية؛ بل الوضعية أيضاً.

إنّ ما تقوم به قوى الشر من فرض هيمنتها على العلاقات الدولية ومحاولة التحكم بكلّ ما يتعلق بعلاقات الشعوب السياسية والاقتصادية والتجارية هي أشدُّ قبحًا من النّهوة العشائرية، وقد لاحظنا أنّ كثيرا من الدول الغربية عملت على ذلك بمختلف الوسائل، فقد بلغ ببعضهم أنّ يفرض على الدول العلاقات السياسية، فمثلا تجميد العلاقة مع محور المقاومة فُرضت على عموم الدول التي سلبت إرادتها فسمحت للغرب وأمريكا أنْ تستنزف

قدراتها وتفرض عليها سياسة التبعية حتى فقدت ثقة شعوبها وأبنائها، والتجربة المؤلمة لم تقتصر على بعض الدول الضعيفة أو الفقيرة؛ بل تحاول أمريكا برعونتها أنْ تفرضها على الجميع، إلا من نذر نفسه وتوكل على ربّه وإنْ كلّفه ذلك الحرمان والمحاربة الاقتصادية والسياسية. ولو تأملنا اليوم في أكثر العلاقات الاقتصادية الوطنية نجد أنّ هناك هيمنة أمريكية عليها وبشكل واضح.

فقد صرحت شركة سيمز الألمانية أنّ أمريكا منعت شركاتها من العمل في العراق، بعد أنّ أبرمت الاتفاقيات الاستراتيجية خاصة فيما يتعلق بالكهرباء، وأما الصفقة الصينية التي تأمّل العراق بها خيراً كثيراً فقد قامت أمريكا عبر قانون النهوة بمنعها وقد أوضحت الحكومة السابقة في بيانات رسمية وعلى لسان رئيس الوزراء أنّ أمريكا تمنع هذه الصفقة مع الصين، فلما لم ترضخ الحكومة لأمرها سارعت عبر أدواتها لإسقاط الحكومة وقد فعلت ونجحت، والمثير في الأمر أنّ الآلاف من أبناء العراق ساهموا في إفشال العقد الصيني من حيث لم يعلموا أيضا، والذي ساعد أمريكا في نجاح مهمتها عموم الطبقة السياسية التي قبعت على قلوب العراقيين لأكثر من ربع قرن ولم يقدموا للعراق غير الأذى والخراب، فتحامل عليهم أبناء الوطن ولكن دون قيادة واعية، فتولت قوى الشر قيادة النهضة بلباس البراءة حتى خنقت كل محاولة للنهوض بالواقع العراقي، واضطرت الحكومة إلى تقديم استقالتها فذهبت اتفاقياتها التي لم ترغب بها أمريكا أدراج الرياح، ورجع العراق مع العراقيين إلى المربع قبل الصفر ولا نعلم متى موعد الانطلاقة الجديدة التي تعمل قوى الشر على تحديدها وتحديد مسارها وبرمجة علاقاتها.

وهذا الأمر بحدِّ ذاته يستلزم مراجعة الذات، والحذر من السقوط الذي لا قيام له، فكلما أوثقنا العلاقة مع قوى الشر، فهذا يعني المزيد من النهوة والابتعاد عن الحقوق ومصادرة الحريات، ومن ثمّ ازدياد الفجوة بين الشعب والحكومة. زيادة على ذلك التراجع الذي نعيشه في مختلف الجوانب ولاسيما الطبقات الفقيرة التي كانت وما تزال حطب التغيير، ونأمل بيوم يسوده الأمن والامان، وتوفير لقمة العيش بعيدا عن العبودية للأجنبي الذي أثبتت التجربة أنه لم يهدأ ولم يهنأ إلا بالرقص على جراحات المنهوبة حقوقهم، فطال ليلهم حتى بات سرمدا، وتأخرت شمسهم حتى ظنوا أنّها لنْ تشرق من جديد.

هل نحن على موعد مع الحدث

036

تتسارع الأحداث وتتنوّع أهدافها وضحاياها، وتتفق من حيث الوحشية والتفنن في قتل النفوس وخراب البلدان. والذي يتأمل في هذه الأحداث ويتعمق في تفسيرها وتحليل أبعادها يجد أن هناك من يبذل كثيرا من أجل نجاح هذا المشروع الجهنمي والذي تعيش عليه أكثر الدول الاستعمارية أو ذات الطموح نحو عولمة الأحداث؛ لتتسيِّد هذه الدول عبر تدخلاتها في مصالح العباد والبلاد بعد أنْ تفرض هيمنتها تحت ذريعة التعاون وتقديم الدعم والمساعدات.

إنَّ حادثة تفجير مرفأ بيروت لم تكن بدعا؛ بل سبقتها حوادث أخرى تفنن فيها مرتكبها بفنون القتل والدمار، ومازال كثير من الناس يستذكر نكبة اليابان بعد أن تعرضت جهرا إلى القنابل الذرية والتي خلفت الدمار والخراب وقتلت كثيرا من الناس بدم بارد، هذه الحوادث تنبئ بوجود صنف من البشر لا يحملون قلوب الآدميين ولهم القدرة على فعل أي شيء من أجل الوصول إلى غاياتهم الدنيئة، وهذا بحدِّ ذاته إنذار شؤمٍ ينبغي على المجتمع الدولي إنْ كان حرًا في اتخاذ قراراته البحث بجدية أكثر عن حلول ناجعة للكف عن مثل هذه الجرائم التي يمكن أنْ تعرف بأنّها جرائم إبادة جماعية.

لست واثقا تمامًا من أنّ هذا التفجير الإجرامي محض صدفة أو نتيجة تقصير، ولست موقنا بأنّه تقف خلفه أيادٍ شرِّيرة تطمح في كسر جماح المقاومة بإضعافها أو بتوجيه أصابع الاتهام إليها؛ ولكنني واثق بأن أعداء المقاومة يعيشون لحظات نشوة الانتصار، وهم أكثر من أية جهة أخرى أفادت من التفجير، فكما هو معلوم أنّ مرفأ بيروت يقابل وينافس مرفأ حيفا اقتصاديا، وإن إضعاف لبنان بمعنى إضعاف سلاح حزب الله وهذا يعني كثيرا بالنسبة لمحور الشرِّ، ولا يخفى أنّ العقوبات الكثيرة التي فرضت على لبنان كانت في الأصل من أجل استمالتها بالضغط عليها؛ لتكون بعيدة عن المقاومة والمقاومين.

ولو أخذنا بنظر الاعتبار المؤشرات التي رافقت الانفجار فهناك كثير من الإشارات التي يمكن أنْ تكون سببا في هذه النكبة وأولها تلك البراميل الأمريكية التي كانت من مخلفات نترات الأمونيوم التي بقيت في محيط لبنان لسنوات حتى بدا لهم تفجيرها؛ لتكون

هـي الأخـرى ورقـة ضغـط عـلى لبنـان وجرِّهـا إلى أحضـان أعدائهـا، وفي قبـال ذلـك أيضًـا لا يستبعد الاستهداف الصاروخي الـذي بـات كثيرون يتوقعونـه بحسـب المـؤشرات التـي رافقـت التفجـير.

وأيًّـا كانـت الأسـباب فسـوف تحـاول قـوى الـشرِّ إخفاءهـا وإبعـاد أصابـع الاتهـام إلى الأعـداء كمـا حصـل مـن مواقـف القنـوات الخليجيـة التـي بـادرت بتبرئـة اسرائيـل قبـل أنْ تبـادر اسرائيـل نفسـها إلى ذلـك، وهـذا بحـدِّ ذاتـه مـؤشر خطـير يكشـف عـن أهـداف هـذه القنـوات ومرجعياتهـا التـي لطالمـا اصطفـت مـع الأعـداء ضـد أبنائهـا وأوطانهـا.

وعـلى أبنـاء محـور المقاومـة التهيـؤ والاسـتعداد لمواجهـة المرحلـة المقبلـة فقـد كشَّـر العـدو عـن أنيابـه، وباتـت أهدافـه واضحـة، وقـد يعمـد إلى اسـتغلال وضـع جائحـة كورونـا في تدمـير كثـير من الـدول والبلـدان تحـت ذرائـع مختلفـة، ولا نسـتبعد الاسـتهداف بالأسـلحة البيولوجيـة أو النوويـة وعـدِّ ضحاياهـا مـن أثـر تمـدد الجائحـة حتـى تعمـل عـلى تحقيـق غاياتهـا الدنيئـة بهـذه الوسـائل الخبيثـة.

وما ادراك مالحشد

037

في ومضة كالبرق الخاطف بين سماء التيه والحيرة، إذ كان العراق في لحظات الوداع الأخيرة ظهر صوت الحشد ليقول للموازين تغيري وللجبهات استعدي وللهزائم توقفي فقد حان وقت الانتصار. لقد سمع الغيارى من أبناء العراق نداء الوطن الجريح عبر أثير المرجعية التي كانت وستبقى خيمة لكل الأحرار من أبناء العراق الذي عاث فيه الفاسدون فسلَّموه إلى الرعاة والعصاة وجلسوا على التلال يتنفسون الصعداء بعد أن مكَّنوا الأعداء من المال والعرض والوطن والشرف بينما يتنعمون بالأبهة والفخامة في فنادق الخيانة والغدر ويتأملون مصير الشعب الذي لم يكن له حينئذ حولٌ ولا قوة إلا بالله وجنوده من شبان الحشد.

إنّ تجربة العراق في تأسيس قوة الحشد يمكن أنْ يكون درسًا لمنْ أراد أنْ يفهم معاني العشق بالنسبة لعشاق الغيرة والشرف من محبّي الدين والوطن، فقد انبرى شبان العراق في لحظات حاجة الوطن إليهم دونما تفكير بما أو بمن تركوه خلفهم من الآل والأبناء والزوجة والعشيرة وغيرهم، وتلقوا النداء بوجوه تملؤها البهجة والسرور وكأنهم عرسان الليل يتسابقون إلى المنية بكل فخر واعتزاز واقتدار، لم تمنعهم قلة العدد أو العُدَّة؛ بل خرجوا حفاة مجردين من السلاح يتراكضون نحو الجبهات بقلوب وكأنهم في سباق نحو الحياة. لقد كان تشكيل الحشد معجزة أخرى تضاف إلى أمجاد العراق الأبيِّ، إذ تشكل في ظروف خاصَّة من حيث سرعة التشكيل والتوجه والمشاركة في المعارك الكبيرة من دون استعداد أو تدريب أو تمرينٍ كالتي تكسبها تشكيلات جيوش العالم المختلفة؛ بل انبرت قيادات كانت متنعمة فتركتها، وشبانٌ كانوا في وظائف مختلفة فقطعوها، وشيوخ كانوا وجهاء فاختاروا وجاهة الحشد ومالوا إليها؛ ليتشكل الحشد المقدس بين صوت علا فغلب، وجمهور سمع فاستجاب فانتصر، ومما ينبغي عدم تجاهُله في تشكيل هذه النخبة التي أعادت للعراق كرامته والوطن حياته تلك الشخصيات التي وهبت نفسها للعراق وشعبه كشيبة الشباب المتمثل بالشهيد الخالد (المهندس) مهندس الحشد وقائده الذي رزقه الله كرامة الشهادة على يديْ أعتى خلقه من أعوان الشيطان الأكبر، ولا أنسى أقرانه من الشيوخ والشباب الذين امتزجت

دماؤهم بتربة الوطن فاخضرَّ البقاع وازدان الخضاب فشعّت شمس العراق من جديد.
إنّ العمل المؤسساتي في العراق كان تجربة رائدة لمن أراد النجاح وبلوغ الغاية، فالأحزاب التي فتحتْ أبوابها وقدّمت شبابها ومارست دورها الريادي في الاستجابة لدعوة المرجعية الرشيدة كانت وعاء أمينا لتلك الطاقات الشبابية التي نجحت في استنقاذ العراق وأبنائه من كيد الفجار والظالمين ومنعوا بذلك من السقوط في مكائد الشيطان الأكبر كالتي حدثت في أفغانستان حينما أسقطتها أمريكا على أيدي طالبان، فاستباحت الدماء وقتلت من قتلت وشرَّدت أبناءها لتتراجع كالمنحدرة من الجبال نحو مصير مجهول؛ بل إلى ضياع معلوم.
إننا إذ نقف وقفة الشموخ اليوم ونعيش لحظات الانتصار علينا أنْ نقدم شكرنا وتقديرنا للمرجعية الرشيدة وللأحزاب التي استعدّت وللشباب التي تقدمت فقضى بعضهم نحبه وينتظر الآخر دوره ليعيش العراق بعز وكرامة وإباء، وعلى الجميع إنْ كانوا أحراراً أنْ يتوجهوا إلى الله تعالى بالدعاء والمناجاة؛ لتبقى خيمة العراق ويبقى هذا الامتداد الذي يمثل بحق امتداد سنوات المحنة الصدامية والمواجهات التاريخية مع جلاوزته بين الأهوار والأغوار؛ بل يمثل صيحة الحسين المدوية عبر أثير الزمن (ألا هل من ناصر ينصرنا)؟ فخرج الحشد ليقول: لبيّك يا حسين لبيّك يا حسين لبيّك يا حسين.

100
مقالة في زمن الكورونا

المقالات الإسلامية

آثار ثورة عاشوراء

038

تتجلى في إحياء ذكرى ثورة الإمام الحسين(عليه السلام) أبهى صُور التعاطف بين أبناء الأمة، وتعيش المذاهب الإسلامية لحظات التقارب والانفتاح على الآخر، ويجتمع الجميع، وتتزيَّن مجالسهم بالتغافل عن كل الخلافات التي تكون بين الأديان والمذاهب والقوميات، وهذا الأمر وإنْ كان نسبيًّا إلا أنّه يتكامل بالاستجابة إلى مخرجات نهضة الحسين(عليه السلام) التي بدأت بمجموعة صغيرة، عصارتها بعض المؤمنين من الذين آمنوا بربّهم فزادهم الله تعالى من فضله؛ ليكونوا صدقة جارية بأنفسهم ومنهجهم لكل مهتدٍ عبر الزمن الطويل ومن مختلف بني البشر.

إنّ عالمية ثورة الحسين(عليه السلام) كانت واضحة، ولعل تركيز الحسين(عليه السلام) في جمع هذه النّخبة من مختلف القوميات والأعراق والألوان والأجناس والأديان كان مقصودًا، فاليوم يشعر الجميع بالانتماء إلى هذه الثورة وقد لاحظنا ترجمة ذلك من خلال المواكب المتنوعة والمختلفة من السنة والشيعة والمسيحيين والصابئة والعرب والكرد والأقليات القومية المختلفة وكثير من الأجانب، وقد خلق هذا الجو العالمي ظاهرة مفعمة بالتوادد والمحبة بين سائر المجتمعين، وهذا بحدِّ ذاته أوجد تقبُّل الثقافات وتقاربها حتى أنّ خلافات كثيرة تطرح جانبا في الاجتماع تحت خيمة الحسين(عليه السلام). وبذلك توفق كثير من الأخوة إلى اللقاء والتشاور والتناصح؛ ليستيقن الجميع أن المشتركات كثيرة وعنوان الحسين(عليه السلام) كان كفيلا باجتماعهم وتماسكهم؛ للتعبير عن صورة إنسانية متكاملة يستوي فيها المتصدون على اعتبار أنهم جزء من المشروع ويتفاوتون في التعبير عن انتمائهم وطريقة تفاعلهم مع هذه الثورة الخالدة.

واللافت للنظر أنّ هذا التجمع الحسيني ترك آثارًا كثيرة وفي المستويات المتعددة. ففي الجانب الاجتماعي كشفت النهضة عن القدرات الخفية والتي لا نتوقعها في غيرها، حيث الفقراء يقومون بإطعام الأغنياء وأصحاب الاحتياجات الخاصة يقدمون خدماتهم بالمجان إلى الأصحاء. وقد ظهر ذلك جلياً في طريق يا حسين. وأما على المستوى الاقتصادي فقد أدرك المشاركون أن هناك أياديَ خفية تعمل على سد حاجات الزوار وإن زاد عددهم عن

الملايين. وأما من الجهة السياسية فلستُ أعلم هل تظاهرة اليوم أكبر أو أعظم من تجمع عشاق الحسين(عليه السلام) حيث يجتمعون من كل حدب وصوب دون أن تكون هناك جهات رسمية لتنظيمهم أو دعوتهم أو تتكفل بإطعامهم ومسكنهم وضيافتهم، فالجميع مقتنع أن باب الحسين(عليه السلام) كبير وسُفرته ممتدة، لتكون أطول سفرة في العالم وتقدَّم عليها الوجبات المتعددة ولأيام عديدة وكلّ القائمين عليها يشعرون بتقصيرهم لزوار الحسين ولسان حالهم يقول نحن بخدمتكم، وهذا الأمر يندر في موضع آخر.

من المهم أن يتأمل الناظر إلى هذه الخصوصيات في ثورة الحسين(عليه السلام) الخالدة، ويلتفت إلى أنّ الله تعالى ساق الكرامات الكثيرة المنظورة في وسط المعزيين والزوار والعاملين على خدمة الزوار بشكل زادهم إيمانا بقضية الحسين(عليه السلام)، ودفعتهم إلى الاستزادة. فالذي يتشرف بخدمته أو خدمة زواره لا يستطيع التخلف عنه في السنة المقبلة ويستحسن الأمر إلى درجة أنه إذا فاته يستشعر فوات الخير كله؛ بل هناك كثير من المؤمنين يسألون الله تعالى ويدعونه ليوفقهم إلى خدمة الحسين(عليه السلام) وخدمة زواره، وكل هذا الامتياز لهذه الثورة وقدراتها على جذب الناس والمؤمنين بشكل أخص إنما كان ببركة ما قدَّمه الحسين(عليه السلام) بين يدي الله تعالى، فالله تعالى أكرمه بالتأييد والنصر الكبير؛ لتشهد حاضرة الدنيا على أنّ الحسين(عليه السلام) انتصر وقد هُزم يزيد(لعنه الله تعالى).

الأربعين بين عاشق ومجنون

039

تتجدد مسيرة الحسين(عليه السلام) ولاسيّما في الأربعينية؛ لتؤكد على أن عابساً وزهيراً وحبيباً لم يموتوا بعد أن أولدوا عشّاقًا ومجانين في طريق الحسين(عليه السلام). فالمتتبع لهذه التظاهرة الفريدة يجد أن هناك صورا من العشق والجنون لا تختلف عمّا كان عليها أصحاب الحسين(عليه السلام)، والمعلوم أنّ العاشق يفقد صوابه؛ لأنّه ذاب في معشوقه، والمجنون يصدر عنه ما لا يُتوقع كما صنع عابس في عرصة كربلاء بعد أنْ جُنّ بحب الحسين(عليه السلام).

واليوم عشّاق الحسين(عليه السلام) يضربون صورا من الولاء والفداء يصعب على غيرهم فهمها وهضمها، ففي مسيرة العشق الحسيني تتزاحم صور العجائب؛ لتنقل واقعا يدعو إلى التأمل بعد أن جانب العشاق قوانين الطبيعة في مسيرتهم وإحيائهم للقضية الحسينية الخالدة، فملايين الزوار تقصد كربلاء ولن تجد منهم منْ يشكو الجوع أو نقص الرعاية والخدمة والضيافة، فقد انبرى خدّام الحسين ليكشفوا عن طاقاتهم الغيبية في استيعاب هذه الملايين والسهر عليهم وتقديم المزيد لهم دون جهد حكومي أو مؤسساتي يشرف على ذلك؛ بل الجميع يشعر أن الحسين(عليه السلام) قضيته، فيقدم الخدمة بصورها المتنوعة ممزوجة بدموع العبرة على الحسين ولسان حالهم يقول نحن خدام الحسين (عليه السلام).

إنّ مسيرة الحسين فاقت التصورات بكل المقاسات، فحينما تنعم النظر إلى تلك العجوز التي سارت من البصرة إلى كربلاء، أو تنظر إلى ذلك الشيخ الكبير يزاحم الشباب سيرا على الأقدام من محافظة إلى أخرى تشعر أن الكرامات والمعجزات حطت رحالها في طريق يا حسين، وحينما تتنقل بين شوارع كربلاء التي ضاقت بالخدام تدرك جنون عشاق الحسين الذين تركوا ديارهم وتحدوا الصعاب على الرغم من الوباء والبلاء ليتنافسوا في خدمة زوار الحسين(عليه السلام).

ومن المناسب أنْ نذكر أنّ كلّ الامتيازات تخلّى عنها عشاق الحسين(عليه السلام)؛ ليتشرفوا بميزة الخدمة الحسينية، فالأستاذ الجامعي والتدريسي في المدارس والطبيب والمهندس والطالب والصنائعي والكبير والصغير والرجل والمرأة الجميع يفتخر بخدمة زوار الحسين(عليه السلام) عسى أن يكونوا من المقبولين ويكونوا من الذين قال فيهم ربهم عزّ وجلّ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ

اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾، فكما هو معلوم أنّ هذا التوفيق لا ينالـه إلا ذو حظ عظيم، وخدمة الحسين(عليه السلام) وزواره شرف عظيم لمن تهيأ له ذلك، ليستمر العطاء الحسيني بتلك الصرخة المدوية التي أطلقها الحسين(عليه السلام) لإصلاح الامّة ومحاربة الفساد والفاسدين وليستمر عطاء خدام الحسين(عليه السلام) بين عاشق ومجنون في الحسين(عليه السلام) وإلى ما شاء الله تعالى.

الأربعينية والتحديات

040

واحدة من أهم الزيارات المعتبرة التي نصَّت عليها الروايات والتي نقلت عن المعصوم(عليه السلام) هي زيارة الأربعين، وفيها تجديد الولاء، وتقديم الطاعة والعزاء، وبيان معاني الفداء؛ لذلك دأب المؤمنون في مختلف العصور على الالتزام بها والسعي إليها على الرغم من وجود المانع، طلبا للثواب وتأييدا لنصرة الحسين(عليه السلام)، وقد جاءت في الروايات أنّها إحدى علامات المؤمن التي يمكن أنْ يتصف بها، وفي هذه الزيارة المباركة من المعاني والأسرار التي قد يجهلها من لم يتوفّق إليها؛ وعلى هذا فإنّ الزائر يجدِّد العهد في كل سنة قدر التمكن من ذلك، ولا تمنعه الصعاب، ومن فاته فقد فاته خير كثير، ولا يمكن تعويضه إلّا إذا توفّق إليها في قابل.

ومنذ كانت زيارة الأربعين وإلى اليوم نجدها محفوفة بالمخاطر، متزيّنة بالصعاب، فقد بذل جابر الأنصاري (رحمه الله) تعالى الكثير للوصول إلى الحسين، وحينما عرج موكب السبايا إلى كربلاء تجدد العهد بالبكاء والنحيب واستذكار ساعات الفراق ووداع سيد الشهداء، وبعد أنْ حطَّت الحوراء مركبها بصحبة العليل زين العابدين(عليه السلام) أصبحت كربلاء منارة العاشقين وسبيل المؤمنين يجددون عهدهم مع المولى أبي عبدالله(عليه السلام) في زيارات مختلفة ومتواصلة وخاصة في الأربعين من كلّ عام؛ لذلك سارعت شياطين الإنس إلى منع الزيارة بعد توافد القوافل وكثير من أحباب الحسين(عليه السلام)؛ لتكون كربلاء محطة للاستزادة وشمعة للثوار وقبلة للأحرار.

وتباينت صور التحديات في زيارة الحسين(عليه السلام)، فقد عمد القوم إلى هدم قبره الشريف؛ ليضيع قبره على زواره، ومن ثم حاولوا المنع بشكل رسمي وعمدوا إلى قطع طريق الزوار، وبعد ذلك فرضت غرامات على زوار الحسين(عليه السلام) في زمن المتوكل العباسي، ثم شدَّد عليهم الأمر بقطع أكف الزوار لمنعهم، ولكن تفاجؤوا بازدياد أعداد الزوار. ثم توالت الأيام لتستقرَّ في زمن المقبور الهدام الذي عمد بمختلف الوسائل لمنع زيارة الأربعين وتحجيمها على وجه الخصوص فلم يستطع؛ بل منَّ الله على المؤمنين بالفرج فتوسعت دائرة العشق، وبذل أحباب الحسين صور الإيثار والكرم حتى انبهر بهم كل قاصد وزائر.

واليوم ما تزال مسيرة التحديات قائمة في هذه الزيارة وترهب الأعداء فيحاولون بمختلف الوسائل إثارة الفتن وتشويه صورتها المثالية، وهم لا يملّون ولا يكلّون، ويعمدون إلى الاعتماد على أناس قد لا يفرقون بين الناقة والجمل؛ ليبثّوا بين الزوار الهلع ويحاولوا خلق مزيد من المشاكل في هذه التظاهرة التي ينعدم مثيلها في كل أنحاء العالم، وعلى هذا فإنّ المسؤولية كبيرة على المؤمنين لحماية الزيارة والزوار وتشخيص المسيئين وعرضهم على المحاكم الرئيسة ليدفعوا ثمن الحماقة التي هم عليها بعد أنْ اختلط عليهم الأمر وأصبحوا أدوات الفتنة بيد الشيطان الأكبر فأخذ يسوقهم إلى المهالك، ويُسيِّرهم لهدم الوطن وقتل الوطنية والعقيدة في قلوبهم؛ وهذا يستلزم العمل بالحق كي لا يتوهم أهل الباطل أنّهم على الحق.

ألوان الدماء في عيون المجتمع

041

تفاءلت الآمال واستبشرت بعد صحوة الضمير الإنساني في مختلف المجتمعات العربية والإسلامية والصديقة تجاه قضية الطفل (ريان المغربي) الذي كان ضحية ذلك البئر المشؤوم المحفور بقصد تقديم الخدمة ثمّ انقلب؛ ليصبح مسرحًا للجريمة التي استهدفت براءة الطفل فتحرك الضمير القابع بين رماد الأيّام وكشف عن ذلك التعاطف الذي زيَّنه الإعلام وتوحدت عليه الأمم ليعلن عن الفطرة السليمة التي ينبغي أن تكون حاضرة في مثل هذه المحن والابتلاءات.

إنّ مأساة الطفل المغربي رحمه الله تعالى وجعله من طيور الجنة فضح ازدواجية النفوس البشرية تجاه القضايا الابتلائيّة ولا سيما التي تتعلق بالأطفال وبراءتهم، فالطفل طفل سواء في المغرب أم في غيره، والدماء لا ألوان لها في حقيقتها ولكن الناس ينظرون إليها وكأن بعضها أحمر وبعضها أبيض لا تؤثر إراقتها في النفوس ولا تثير صحوة الضمير؛ بل ينظر كثير من الناس إلى مصارع الأطفال بتلذّذ كما في تصاعد نشوة الانتصار عند إطلاق الصواريخ العربية على أطفال اليمن وهم يتمزقون إلى أشلاء مقطعة من دون أن يتزلزل عروش الضمائر البنفسجية التي تتربّع على أركان القرار الهمجي الانتقامي.

إنّ دماء أطفال اليمن ليست بأقل حمرة من باقي الدماء التي يتراقص لها الإعلام وتتغنّى بحقوقها المنظمات الدولية التي تدَّعي الحيادية السمراء بعد أنْ أخذت تنظر بعين واحدة فلا ترى غير ما تحب أنْ ترى ولا تسمع إلا الأصوات التي تناسب سمعها وذوقها الرمادي، فاختلطت المواقف على السفهاء فتصوروا فعلًا أنْ هناك من يبكي من أجل الإنسانية حينما اشتدت الساعات على ريان المكسور.

ومن هنا أشبعت النفوس عبر قناة اللاوعي بكثير من التجاذبات التي تعكس الألوان البيضاء والخضراء وتضمر السوداء والحمراء؛ لينخدع صوت البراءة ويختلط الأمر على العامّة بعد أن قدَّم الإعلام أنموذجا حيّا عن الأكثرية التي كانت وما تزال تتظاهر بالإنسانية وهي منها براء بعد أن رضيت بأن تنظر إلى الدماء من زوايا مختلفة فتشابه الأمر عليهم فتصوروا أنّ دماء أبناء اليمن بيضاء لا قيمة لها ودماء غيرهم حمراء تفور فتهيج الضمائر لتتحرر

والإعـلام ليتزيّـن والأقـلام لتوثـق ويجتمـع كل ذلـك ليعترفـوا أنّ أبنـاء المجتمـع لا يزالـوا يعانـون مـن أمـراض النفـاق فـكان نصيبُهـم العـور والحـوَلَ.

الإمام الحسن(عليه السلام) عطاء غير مجذوذ

042

يتعاظم سلم الكرامات بالكشف عن المقامات التي يتمتع بها كل إنسان، وحينما يكون الكلام عن الإمام الحسن المجتبى فينبغي الالتفاتة إلى جوانب متعددة في سيرته وشخصيته، فزيادة على ضخامة نسبه الشريف الممتد إلى النبي المصطفى(صلى الله عليه وآله) كان يتمتع الإمام(عليه السلام) بكثير من المؤهلات والامتيازات حتى استحق أنْ يكون مصداقا لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَه﴾، فالذي ارتضاه تعالى لحمل مسيرة الأنبياء والأوصياء في هداية الناس وحملهم على صلاح آخرتهم ودنياهم ينبغي أن يكون أكمل الناس في عصره وزمانه. وهذا الأمر لا يخفى على منْ يعتقد بأنّ الإمامة رئاسة ربانية يختارها الله تعالى وليس للناس أن يقرروها قال تعالى: ﴿وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ يَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَة﴾، فالله تعالى لا يترك حجة إلا وأكملها على عباده والسعيد من عرف قدر نفسه وفهم تكليفه وعلم اختباره فنجح.

إنّ المقامات العظيمة التي خصّها الله تعالى بالإمام الحسن بن علي(عليه السلام) كانت ظاهرة في دلالة النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، فقد جاء الإمام الحسن(عليه السلام) في تفسير الكثير من الآيات الشريفة التي أكّدت سمو مقامه وعظمته ومن تلك الآيات التي يمكن ذكرها على سبيل المثال آية المباهلة الشريفة حيث قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِين﴾. وقد مثّل الإمام الحسن(عليه السلام) أبناء رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وهذا المقام الشريف كشف عن عمق التكليف الذي أنيط بالإمام الحسن(عليه السلام)؛ ليقف في موضع المواجهة المحتدمة التي كانت سببا في تثبيت الدين وانتصار الإسلام على النصارى في الواقعة المشهورة، ومن جانب آخر فقد كان الإمام الحسن السبط مصداقاً واضحا لقوله تعالى: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا﴾، فقد جعله سبحانه وتعالى ضمن ساحة الطهر الإلهي وبصحبة خيرة خلق الله تعالى، وهذا المقام المتفرد ليس متاحا إلا للخواص من الذين اتفقت عليهم الروايات التي جاءت مفسرة لهذا الخطاب القرآني.

والأمر لم يتوقف عند حدِّ هذه الآيات؛ بل جملة كبيرة من الآيات فسَّرت مقامه الشريف، وزيادة على ذلك فقد جاءت الروايات النبوية المباركة وكشفت هي الأخرى عن مقامه الشريف وهي كثيرة ومتعددة وفي مقدمتها قول الرسول(صلى الله عليه وآله): (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى سَيِّدِ شَبَابِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِي)، فقد خصه جدّه(صلى الله عليه وآله) بهذه الحفاوة التي يغبطه عليها الأنبياء والأوصياء، إذ جعله سيِّدًا لهم وهذا يتماشى مع عقيدتنا فيهم، فالله تعالى خلق الكون وما فيه من الأفلاك والمصابيح إكراما لمحمد وآل محمد(عليهم السلام).

ومن جانب آخر فقد تقلّد الإمام الحسن(عليه السلام) مجموعة من الألقاب التي تميز بها، وتبين من ذلك مقاماته السامية وعلو شأنه من هذه الألقاب: (الزَّكِيُّ، وَ السِّبْطُ الْأَوَّلُ، وَ سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَ الْأَمِينُ، وَ الْحُجَّةُ وَ التَّقِي)، وكل هذه الألقاب التي كانت للإمام المجتبى(عليه السلام) إشارات لا يمكن تجاهلها على عُلوِّ درجته عند الله تعالى وعند رسول الله(صلى الله عليه وآله)، ثم ختمها بالشهادة التي يتقرب بها الأولياء إلى الله تعالى، فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث إنْ شاء الله تعالى؛ ليكون ممن يشهدون على الخلق فبهم وبمودتهم سبيل النجاة والفوز بالرضوان عند من لا تضيع عنده الودائع.

إنها عاشوراء وكفى

043

عادت عاشوراء بكل ما تحملها من الألم والحزن، وتوشح الكون بالسواد تعظيما وعزاء لسيد الخلق(ﷺ). كيف لا وقد تركت عاشوراء جرحا لا يندمل أبدا؛ بل يتجدد وكأنّ دماء الحسين ما تزال تقطر. وقد أصبحت قلوب المؤمنين سواقي ينهل منها كل بحسبه، وبقدرته على التعامل الموضوعي مع هذه القضية التي أصبحت قضية الله تعالى باعتبار أن الحسين قد أصبح ثأر الله تعالى حيث يخاطبه الإمام المعصوم(عليه السلام) في زيارة عاشوراء الخالدة بقوله: (السلام عليك يا ثأر الله وابن ثأره والوتر الموتور). نعم فالحسين عظيم وهو ثأر الله تعالى الذي سُفك في ظهيرة عاشوراء.

ولا يختلف المؤمنون على مدار السنين بمواقفهم التاريخية تجاه عاشوراء، فيستعدون لها قبل حلولها ويعتقدون أنّهم بذلك يواسون رسول الله تعالى بوصفه صاحب المصيبة كما في حديث أم سلمة رضوان الله تعالى عليها؛ إذ ذكرت أنّ النبي(ﷺ) كان جالسا وفي حجره الحسين(عليه السلام) وكان صغيرا، فنزل جبرائيل(عليه السلام) ليخبره بقتل ولده ويعطيه قليلا من التربة التي يستشهد عليها الحسين(عليه السلام)، ثم بيَّنت أم سلمة أن النبي(ﷺ) أغتم كثيرا وبكى الحسين(عليه السلام) في حينها وهو ينظر إلى الحسين(عليه السلام)، فالمُعزَّى رسول الله والثأر لله تعالى، فأيُّ عظمة أكبر من ذلك، وأيُّ مصيبة كمصيبته(عليه السلام)؟.

ومع كلِّ ما في عاشوراء من الأسى والفقد الكبير، إلا أنّ هناك من يحاول أنْ يعطي لعاشوراء بعدا آخر؛ بل يحاول بعض المهرجين الضحك على السفهاء من المسلمين بتحويل عاشوراء من يوم حزنٍ ومصيبة إلى يوم للتبرك والفرح والسعادة، وذلك من خلال تزييف الحقائق وتنسيب بعض المناسبات أو الأعمال إلى يوم عاشوراء، ومنها على سبيل المثال يقولون إنّ عاشوراء يوم خلاص يوسف من السجن، أو إن فيها استجابة دعاء زكريا(عليه السلام)، أو قالوا إنّ يوم عاشوراء هو يوم خلاص ونجاة موسى(عليه السلام) وقومه. والحقيقة أنّ هذا تزيف للحقيقة وأبعاد لعاشوراء عن قضيتها الأساسيّة. فخلاص يوسف متفق عليه أنّه كان في الثالث من المحرم الحرام، واستجابة دعاء زكريا كان في اليوم الثاني من المحرم الحرام أيضا، وأما اليوم الذي انتصر فيه موسى(عليه السلام) على السّحرة وفرعون فقد كان في اليوم الثامن عشر من

شهر ذي الحجة المباركة. فلذلك ينبغي على المسلمين أنْ يدركوا أنّ هناك من يحاول عبثًا أنْ يغيِّر حقيقة يوم عاشوراء ويوهم الناس بذلك.

إنّ على الجميع أنْ يكونوا على قدر المسؤولية ويجعلوا يوم عاشوراء يوم مصيبتهم وحزنهم كما كان يصنع ذلك رسول الله(صلى الله عليه وآله) وكذلك الأئمة المعصومون من بعده، حيث كانوا يخصصون يوم عاشوراء للمراثي والبكاء وذكر الحسين(عليه السلام) وذكر أهل بيته وأصحابه. ولطالما جلس الإمام المعصوم وأجلس في مجلسه الشعراء واستمع إلى قصائدهم في رثاء الحسين(عليه السلام).

والمهم في الأمر أيضا هو معرفة أثر الاهتمام بيوم عاشوراء، فهو يوم تتجدد فيها طاقات المؤمنين الذين وجدوا في مصيبة الحسين(عليه السلام) دافعا حقيقيا لنصرة الإنسان بقيمه والإسلام بمفاهيمه ومبادئه. وعلى هذا فإن من ينصر الحسين(عليه السلام) في يوم عاشوراء فهو كالذي كان في معسكره وتحت لوائه. والذي ينكر عاشوراء أو يجعل منها يوم فرحه وسروره فهو كالذي كان في معسكر يزيد يتباهى بقتله الحسين(عليه السلام)، وهذه الخلاصة توحي بأنّ المسيرة مستمرة ففي كلّ عصر هناك ثائرٌ باسم الحسين وظالم باسم يزيد، فينبغي ملازمة شعار لبيّك يا حسين وهيهات منا الذلّة.

الإيمان بالقرآن

044

لا يخفى أنّ القرآن الكريم هو المعجز الذي حمله رسول الله تعالى إلى الخلق، فآمن به قوم وجحده آخرون، واختلف المؤمنون فيما بينهم، فمنهم من آمن بالقرآن لكونه دعوة الله ورسوله، ومنهم منْ آمن به لشدة بلاغته وفصاحته، ومنهم من آمن به لتناسقه وتجانس آياته، وقد نُقل أن أعرابيا استمع إلى بعض الآيات فوقع على الأرض ساجدا وحينما سئل عن علة سجوده: قال سجدت لبلاغة هذه الكلمات ولا أتصور صدورها عن بشر.

والماهية القرآنية حاكمة على الفطرة السليمة فتنجذب إليها وتنقاد لسلاستها الظاهرة فيستأنس بها كل سامع لها، ولا يتنافر منها أصحاب الرؤية العميقة الذين يشتغلون بالوقوف على ما بين سطورها، فيكتشفون يوما بعد آخر أن هذا القرآن جديد مع كل طارق، وقديم استوعب كل حادث. فالعمق الموضوعي والسرد التاريخي الذي تبناه القرآن كشف عن هويته وحقيقته التي حيَّرت الألباب، ووقفت القلوب والعقول؛ لتتخيل قدرتها وتحاول أنْ تستنير بهديها في رسم معالم الآخرة قبل الدنيا، فمسيرة الأحداث التي تتناولها تتكامل من حيث النظر إلى مجموعها، ولا يضرها عند الوقوف على كل جزء بذاته.

فأما المؤمنون به بوصفه معجزة الله ورسوله، وهم الموقنون بأن ما يصدر عن النبيِّ(صلى الله عليه وآله) صادق مصدَّق، ولم يساورهم الشك يوما في ذلك، وفي مقدمة هؤلاء كان أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقد صاحب الوحي عند نزول القرآن واختلطت الآيات بلحمه ودمه، حتى بات يعيشها مع كل حركة وسكون، فيصفه(صلى الله عليه وآله) بالقرآن الناطق، وسار على ذلك المعصومون الذين حباهم الله تعالى بدرجة كبيرة من اليقين والإيمان فلم يزدهم كشف الغطاء إيمانا على إيمانهم، وكانوا خير مثال للقرآن ومنهجه ورؤيته.

وأما المؤمنون بالقرآن لبلاغته وفصاحته، فهؤلاء أكثر العرب والمسلمين الذين عاصروا نزوله وعايشوا صدوره، وهؤلاء كانوا مع إيمانهم يحاولون في كل مرة أنْ يُشكلوا على القرآن أو ينتقصوا منه خاصة أنهم لم يكونوا بمستوى الوعي الكافي ليستوعبوا حقيقة القرآن ونظامه، وهذا الأمر استلزم وجود المعصوم؛ ليفسر لهم ما خفي عنهم، وهذا التكامل بين المعصوم والقرآن هو تكامل منهجي أشار إليه النبيُّ(صلى الله عليه وآله) كما في رواية الثقلين، حيث

كشفت الرواية عن العلاقة بين المعصوم والقرآن، وهذه العلاقة من النوع الذي لا ينفك: قال(ﷺ): (وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)، وهذا الأمر يُفسر لنا عدالة الله تعالى في ضرورة وجود المعصوم في كلّ زمان ومكان يستلزم وجوده نصرة للقرآن.

وأما المجموعة الثالثة وهي التي آمنت بالقرآن لما فيه من التناسق والتجانس، فأكثر هؤلاء يتمتعون بالجرس الموسيقي والإيقاع الفني والبعد العلمي، وكانوا بحاجة إلى بعض الإشارات القرآنية لتهديهم إلى اليقين به، فجاءت الآيات متناسقة من جهات كثيرة واليوم نشهد الإعجاز العلمي والعددي لكثير من المتواليات القرآنية حتى كشفت عن حيرة العلماء فضلا عن باقي الناس فوقف الكثير مبهوتا لا يدرك فلسفة لها ولا تفسيرا، فكانت الإجابة في روايات أهل البيت التي جاءت متناسقة هي الأخرى مع القرآن وكاشفة عنه، بشكل يتناسب مع قدسية القرآن ومكانته، ويقطع شكوك المتفلسفين بغير علم ولا هدى.

إنّ المتابع للقرآن وانتصاراته الكثيرة على الرغم من كثرة أعدائه يجد أنّ بصمة المعصوم ممزوجة بكل نصر للقرآن، وهذا يفسر لنا تأكيد النبيِّ على الإيمان بالقرآن وأهل البيت(عليهم السلام) وجعله لهم بمستوى واحد فمن لم يؤمن بالقرآن لم يؤمن بأهل البيت(عليهم السلام) ومن ترك الإيمان بأهل البيت لن يغنيه إيمانه بالقرآن شيئًا، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾. فسبيل النجاة إذن هو الإيمان بهما معا وكلٌّ يكمل الآخر.

بين عرفة وعرفات

045

التـزاوج بـين المصطلحـات تحـت مظلـة الزمـان والمـكان تـترادف في كثـير مـن الأحيـان؛ لترسـم معالـم صـورة تختلـف دلالاتهـا وأسرارهـا، وتتحـد مـن جهـة أهميَّتهـا وأثرهـا. فبـين عرفـة وعرفـات بـون الزمـان والمـكان. فعرفـات هـو الجبـل الـذي يقـع في شرق مكـة، وقيـل إنهـا البقعـة التـي تـم فيهـا اللقـاء الأول بـين آدم وحـواء فتعارفـا بعـد خروجهمـا مـن الجنـة. وعـلى هـذا فـإن عرفـات إشـارة إلى المـكان. وأمـا عرفـة فهـو الزمـان وتحديـدا هـو التاسـع مـن شـهر ذي الحجـة المباركـة حيـث الكرامـات الكثـيرة واللحظـات التـي ينشـغل فيهـا عبـاد اللـه المؤمنـون بدعائـه ومناجاتـه ولاسـيما بعـد الـزوال إلى الغـروب.

والأسرار في عرفـة كثـيرة فبعـد أن كان يومـا لتعـارف أبينـا آدم وأمنـا حـواء في عرفـات، حيـث امتـد الخـير والـبركات، وابتدأهمـا الرأفـة والرحمـة بعـد طـول انتظـار وشـوق اللقـاء؛ ليكـون هـذا اليـوم يـوم الفقـراء إلى اللـه ينتظـرون رأفتـه ورحمتـه كمـا رزق آدم وحـواء. وزيـادة عـلى ذلـك فقـد قيـل إنّ جبرائيـل(عليه السلام) صاحَـب نبـي اللـه إبراهيـم(عليه السلام) في يـوم عرفـة وعرَّفـه المشـاعر والمشـاهد وكان يـردد عليـه القـول (أعرفـت أعرفـت)؛ ليكـون هـذا اليـوم وفي هـذا المـكان عنوانـا المعرفـة الموجهـة والخالـدة.

ولعـلَّ سـائلًا يسـأل عـن الغنيمـة في يـوم عرفـة سـواء لمـنْ رزق الوقـوف بعرفـات أو لغـيره. فالحق أنّ الغنيمـة الكـبرى في هـذا اليـوم هـو انتصـار الإنسـان عـلى نفسـه الأمـارة بالسـوء، وقدرتـه عـلى الاعـتراف بالذنـب والتقصـير ووقوفـه بـين يـدي اللـه تعـالى مناجيـا وداعيـا؛ ليدخـل إلى سـاحة الرحمـة الإلهيـة بعـد أنْ أبعدتـه الذنـوب والموبقـات، وهـذا مـن أسرار الخـروج إلى عرفـات، حيث يكاشـف الحـاجُّ ربّـه فيغفـر لـه ويتوجّـه إلى المشـاعر العظـام نقيًّـا تقيّـا، فينطلـق مـن المزدلفـة ليقـترب مـن ربـه فيقبـل اللـه تعـالى تقرَّبـه في تلـك السـاحة الجـرداء حيـث الجميـع يقـف مبهوتـا وتلغـى الامتيـازات فيكـون الغنـي والفقـير عـلى السـواء والرئيـس والمـرؤوس ولا فـرق بـين كبـير ولا صغـير ولا بـين أسـود وأبيـض إلا بالتقـوى ومقـدار القـرب مـن اللـه، ولتشـهد هـذه البقعـة مـن المزدلفـة عـلى ضعـف الإنسـان وغربتـه عـن كل محيطـه الـذي قـد اغـترَّ بـه.

والحقيقة التي تنكشف في عرفة وعرفات هي دورة الحياة اليومية، وفيها بيان أنّ مَنْ يقترف الذنوب فهو مطرودٌ ومن يعترف ويرجع عن غيِّه فهو مرحوم ويثبت أنّ مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل؛ ولتكون عرفة عيد القبول عند الله وانتصار العبد وهزيمة قوى الشرِّ والضلال.

وعلى هذا فإنّ يوم عرفة يوم الانقطاع إلى الله تعالى، فينبغي على العبد أنْ يجتهد في السؤال ويوقن بالإجابة من عند الله تعالى؛ ويصرّ عليها فلحظات عرفة قد لا تعود، ومن فاته فقد فاته خير كثير. ويبقى الدعاء زينة يوم عرفة وشعاره لمن أراد الالتحاق بركب الأوابين وقصد وسيلة الصالحين؛ لينال درجة القبول ويكون من المغفور لهم.

بين نورين

046

أشرقت شمس اليوم لا كباقي الأيام، فقد أعلنت عن استضاءة الكون بنور خير الخلق محمد(ﷺ)، الذي بدأ بالحركة التغييرية بمجرد دخوله إلى عالم الدنيا فقد أعلن عن تساقط عروش أئمة الكفر والضلال، وتهادم أركان الضلال؛ ليبدأ بمسار جديد في حركة الإنسان تجاه ربه الكريم، وسرعان ما تطورت هذه الحركة الريادية في علاقتها بربِّها بالتأثير على مجموع الخلق وبنسب متفاوتة؛ باعتبار أنّ الناس مختلفون في حقيقة توجههم وسلامة نطفهم. فأصحاب النطف النظيفة وجدوا أنفسهم منقادين للاستسلام بين يدي النبي الاكرم(ﷺ). على خلاف غيرهم الذين منعتهم طينتهم القذرة للامتثال؛ بل واجهوا الدعوة بكثير من الإصرار على الرغم من ثقتهم أنّ هذه الدعوة سبيل خلاصهم ونجاتهم في مسيرة التوجه إلى حياة لا مكان فيها لأعداء الرسالة والرسول والمرسل.

إنَّ ذكرى الولادة الميمونة للنبي(ﷺ) انطلاقة جديدة نحو شحن الهمم وبذل السعي للتغيير أُسوة باليوم الذي تتجدد في كل عام فيتجدد فيه روحية الحركة الإسلامية التي تقتدي بالسيرة العطرة للنبي الأكرم(ﷺ)، وتحاول أنْ تتحمّل من أجل القضية ما تحمله(ﷺ) في هذه المسيرة الجهادية لتحقيق غاية الله تعالى من نشأة الخلق وتكليفهم باستخلاف الأرض جيلا بعد جيل وعمارة الآخرة باعتبار أنّ الدنيا مزرعة الآخرة؛ وليتيقّن الناس أنّهم لم يُخلقوا عبثا كما يتصور كثير من الناس، فقد كان النبي(ﷺ) حجة على سائر الخلق. فليس لأحد أنْ يعتذر بعد هذه الرحمة الإلهية المهداة للعالمين.

والمعلوم أنّ هذه المسيرة النبوية المشرقة لم تتوقف عند حدّ منذ انطلاقها، فيوما بعد آخر تترادف الإضاءات النبوية في الأوساط المختلفة والبعيدة عن المحيط الإسلامي، وقد يواجه بالعناد والتعصّب من قبل بعض المبغضين الذين لا حظَّ لهم بالهداية والاستجابة؛ إلا أنّ الأمر مختلف عند عامة الخلق ولاسيما من تميَّز بحسن السريرة وطيب الطينة. وأما إنكار بعض المعاندين، فليس له أن يمنع شروق الشمس، وقد حاول بنو أمية قبل غيرهم التصدي للنور النبوي فأركسهم الله تعالى فأصبحوا من الأذلين، وهذا العهد من الله سبحانه متواصل مع نبيه الكريم لقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

ومن المناسب أيضًا أنْ نعلم أنّ هذا اليوم السابع عشر من ربيع الأول تميّز إلى جانب ذكرى ولادة النور النبوي بذكرى ولادة صادق أهل البيت(عليهم السلام) أيضا ليكون نورًا على نور ويزيد بذلك هذا اليوم علوا وشأنا. وحقيقة الأمر إنْ كانت الجمعة سيدة أيام الأسبوع، وكان شهر رمضان سيد شهور السنة، فالحق أنّ يوم السابع عشر من شهر ربيع الأول سيد أيام السنة كرامة لرسول الله(صلى الله عليه وآله) وولده الإمام الصادق(عليه السلام)، فحريٌّ بالمؤمنين أنْ يجعلوا من يومهم هذا يوما لتجديد العهد بالتوبة، والعزيمة على الإخلاص والتقوى قربة لله تعالى وحبّا وكرامة لمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

حتميات الثورة الحسينية

047

واحدة من الأحداث التي غيرت مجرى التاريخ عبر العصور المتعددة وما تزال تعمل على التغيير في المجتمعات والنفوس المختلفة على المستويات المتعددة هي ثورة الحسين(عليه السلام) الخالدة. ومن أبرز النقاط التي ساعدت الثورة في نهضتها هي الحتميات التي اختصت بها، والتي حدّدها الحسين(عليه السلام) بنفسه حتى قبل وقوع الثورة. وهذا الأمر بحد ذاته فريدٌ؛ بل هو من معجزات الثورة وكراماتها التي لم تتوقف عند حدٍّ معينٍ، وقد انتشرت في الأوساط النقيَّة بشكل واسع، واستقبلتها أصحاب الضمائر الحية بكثير من الاهتمام حتى صارت من أولوياتهم باعتبار أنّ سعادة الدنيا والآخرة متوقفة عليها.

وقد ظهرت الحتميات بشكل واضح في الكلمة التي وجهها الحسين(عليه السلام) إلى أخيه محمد ابن الحنفية وإلى سائر بني هاشم، إذ قال(عليه السلام): (فأما بعد: فإنه من لحق بي منكم استشهد ومن لم يلحق لم يبلغ الفتح)، وهذه الكلمة على قصر ألفاظها تحمل دلالات كثيرة ومغزى عميقا، فقد حدد الحسين(عليه السلام) مجموعة من الأمور التي ستكون واقعة لا محالة ؛ إذ دلَّ على ذلك صيغة الماضي في قوله(عليه السلام) (استشهد). فقد استبشر(عليه السلام) بشهادة جميع من لحق به قبل وقوع يوم عاشوراء وهذه الحتمية التي صدرت عن المعصوم(عليه السلام) حيَّرت العلماء. فكيف له(عليه السلام) أن يتنبأ بشهادتهم وهو لم يصل كربلاء أصلا، وهذا الأمر يؤكد على علاقة الثورة بالسماء وأنّ الأمر جرى بتخطيط إلهي وتنفيذ حسيني، وقد أشار(عليه السلام) إلى ذلك بقوله: (خُيِّر لي مصرعٌ أنا لاقيه)، أي إنّ الله اختار ذلك وامتثل الحسين(عليه السلام) وكان مخيَّرًا غير مضطر إلا أنّه لمَّا عُرِضت عليه المسألة وافق عليها إيمانا واحتسابا.

وأما الحتمية الثانية التي دلَّت عليها ثورة الحسين(عليه السلام) فهي حتمية الفتح. وقد ظهر ذلك في قوله(عليه السلام) كما تقدم: (ومنْ لمْ يلحقْ لم يبلغِ الفتح). فالحسين(عليه السلام) يؤكد على حتمية الفتح، والفتح عند الحسين يكون بمستوى الشهادة، لذلك نجده(عليه السلام) يقيِّد الفتح بالشهادة، والظاهر من كلامه(عليه السلام) أنّ الفتح لم يكن عسكريا؛ بل لم يكن من الحكمة أن يقصد الحسين(عليه السلام) ذلك، وإنّما قصد(عليه السلام) بالفتح فتح العقول والقلوب لصوت الحق. فقد كانت الأمة في سبات حقيقي في ظلِّ استهتار يزيد وبني أمية بالثوابت الإسلامية

واستخفافهم بمقدرات المؤمنين. فلما قامت ثورة الحسين بدأ النّاس بالتفكير، وعمدت الشخصيات والعشائر إلى النهضة بوجه يزيد وحكومته الفاسدة، فتوالت الثورات حتى أسقطت دولة بني أميّة بشعارات الثأر والرضا لأهل البيت(عليهم السلام) ومحاولة إعادة الإسلام إلى الوضع الطبيعي الذي كان عليه في أيام رسول الله(صلى الله عليه وآله).

والحتمية الكبيرة الثالثة هي حتمية العلاقة بين الشهادة والفتح، وهذا يعني أنه لولا الشهادة المباركة التي أقدم عليها الحسين(عليه السلام) لما تحقق الفتح، وبذلك يتبيَّن لنا إصرار الحسين(عليه السلام) في التوجه إلى كربلاء والعراق على الرغم من أنّ هناك العشرات من الذين نصحوا الحسين(عليه السلام)، إلا إنّه كان يُجيب في كل مرةٍ: (شاء الله أن يراني قتيلا وأنْ يراهنَّ سبايا)، ونستدل على ذلك بالعطاء الكبير الذي قدَّمه(عليه السلام) من أجل الإسلام والمسلمين؛ ليستقيم لهم الأمر ويأمنون على أمور دينهم ودنياهم.

والحتمية الأخرى والمهمة التي نقتبسها من كلمة الحسين(عليه السلام) هي أنَّ هذا الفتح من النوع الذي لا يتكرر، فكما هو معلوم أن هناك أحداثا لن تتكرر. فمثلا معركة بدر لا تتكرر بمعنى أنّ المسلمين لو كانوا منكسرين وخاسرين في بدر كان بذلك نهايتهم. فالأمر لا يتحمل المرة الثانية، وكذلك ثورة الحسين(عليه السلام) فلو لم يكن هذا الفتح الحسيني لكان على الإسلام السلام؛ لأنّ خلفاء بني أمية زاغوا بالإسلام إلى الانهيار الخلقي والسياسي والاجتماعي؛ بل في جميع جوانب الإسلام الحقيقي حتى بلغ بهم الأمر إلى إقامة صلاة الجمعة يوم الأربعاء، وزادوا على ذلك فقد كانوا خلفاء بني أمية يعاقرون الخمر ويلعبون القمار ويبيحون النساء ويتسامرون بالليل حتى يصبحون وقد هتكوا جميع الحُرمات؛ لذلك كان الأمر يستلزم صيحة موجعة تردهم وتوقظ الأمة عليهم ليقفوا بوجههم، وهذا ما حصل بالقيام المقدس الذي قاده الحسين(عليه السلام) وقدم فيه كل غالٍ ونفيس.

حينما يتعلق الأمر بالحسين(عليه السلام)

048

حينما يتعلق الأمر بالحسين(عليه السلام) فالأمر مختلف، فكل ما يتعلق بالحسين سرٌّ عجيب. ولا نستغرب حيرة الناظرين والمتأملين وكل من زاويته التي يختصّ بها. فعلى سبيل المثال نجد أنّ الخلود سمة اتصف به كل من كان في ركبه(عليه السلام)، فمهما طال الزمان فالحسين مخلدٌ. وعلى الرغم من اندراس قبره وقبور أصحابه عشرات المرات على أيدي الظالمين وفي مختلف العصور المتعاقبة إلا أنّها تعود وضاءة أكثر من ذي قبلٍ بعد ذلك، وتعود القصص والعبر وكأنها تولد من جديد، ويتأثر بها العباد ولاسيما المؤمنون ويتفاعلون معها وكأنها حدثت الساعة؛ ليكون الأمر كما قال(صلى الله عليه وآله): (إنَّ لقتل الحسين(عليه السلام) حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبدا)، ولتكون مسيرة الخلود متصلة.

إنّ الخلود في ساحة الحسين فنٌ عجيب، والأمر ليس متعلقا فقط بمن كان معه؛ بل تعداه إلى كل من كان مخلصا في نيته؛ ليكون مع الحسين(عليه السلام) إلا إنّه حال بينه وبين الحسين(عليه السلام) حائلٌ. فنجد أمّ البنين(عليها السلام) خالدة وبين يديها الكرامات تتسارع؛ لأنّها خطّت لنفسها سجلا حافلا مع الحسين(عليه السلام)؛ ليس لأنّها قدمت أبناءها الأربعة شهداء؛ بل لأنها كانت مع الحسين(عليه السلام) قلبا صادقا متواضعا وتقدّمه على أبنائها بوصفه الحجة لله تعالى، وكونه وديعة الزهراء(عليها السلام).

ومن المهم أنْ ندرك أنّ الأمر ليس مقتصرًا على سرِّ الخلود فحسب؛ بل جميع القوانين مع الحسين مختلفة. فاليوم نقف في زاوية قوانين الصحة مبهوتين، فكما هو معلوم أنّ فايروس كورونا عطَّل الحياة في مختلف جوانبها، والدُّول العظمى بكلّ ما أوتيت من الإمكانيات الطبية عاجزة عن الحدِّ من انتشار الفايروس، ولا يجدون أفضل من العزلة ومنع الاختلاط وفك الزحامات؛ لتجنب هذا الوباء والبلاء. أما الأمر مع الحسين فمختلف تماما، فبعد أنْ توقفت مسيرة الحجاج إلى بيت الله تعالى رعايةً للوضع والظرف تزاحم الناس على أبواب الحسين(عليه السلام)، ففي عاشوراء كانت المفاجآت متوالية وتوقعنا انتشارا كبيرا للفايروس وسط الزوار الذين ضربوا قوانين الصحة عرض الحائط ولم تمنعهم التوجيهات ولا التوصيات وإن كانت كثيرة؛ ليس لأنّهم لا يسمعون؛ بل لأنّهم يشعرون بأنّ مع الحسين أمانًا لا ضررَ فيه.

واليوم تشهد كربلاء في زيارة الأربعين حضورا كبيرًا ولافتا للنظر في ظل التوقعات بازدياد عدد الإصابات؛ ولكن الأمر مختلف. ففي هذه الأيّام على عكس الأيام السابقة نشهد انخفاضا ملحوظا في عدد الإصابات، على الرغم من ملايين الزوار الذين قصدوا كربلاء. وهذا يستلزم دراسة الأمر من جوانب متعددة، وإنْ كنت موقنا بأنّ الفايروس أيضا مأمور، ولا أستغرب ابتعاده عن الزوار كرامة لسيد الشهداء، ولتبقى كربلاء قبلة للسائرين رغم التحديات المتجددة، وليبقى الأمر سرا حينما يتعلق بالحسين(عليه السلام).

رسالة إلى بابا عاشوراء من العراق إلى المغرب

049

تفاجأ بصري واقشعرَّ شعري وجلدي وأنا أتابع أحد المقاطع المؤلمة التي عُرضت على بعض الفضائيات الرسمية في المغرب العربي. والعجيب في الأمر أنّ أبطال هذا المقطع قد غمرتهم الفرحة والسرور ابتهاجًا بيوم عاشوراء العائد عليهم كما يصفوه بالبركة والخير. وأما المسمى بابا عاشوراء فهو الآخر يمثل دور بابا نوئيل ذاك الذي يحاول أنْ يرسم الابتسامة على وجوه الأطفال في مناسبات عامّة. وعلى الرغم من تحفظنا على بابا نوئيل وما يصاحب حملته من الحركات والسكنات، إلا أن الأمر مختلف تماما مع بابا عاشوراء الذي اتخذ من يوم مصيبتنا يوم فرح وابتهاج.

سيدي بابا عاشوراء المسكين لا أريد أنّ أقف كثيرا على ما قدَّمتموه من المهازل والسخرية في يوم عاشوراء، وسوف أحاول أنّ أعدّك غافلا عن حقيقة عاشوراء، لذلك أستميحك عذرا واطلب منك أن تقرأ رسالتي وتعيد النظر في مشروعك الذي قد لا تعلم أنّك تتجاوز فيه على الإسلام كرسالة وعلى النبيِّ(صلى الله عليه وآله) كرسول وصاحب العزاء وينتظر منا المواساة لا التجري والتعدي والاصطفاف مع أعدائه عليه.

سيدي بابا عاشوراء هل تعلم حقيقة عاشوراء لتجعل منها يوم البهجة والسرور وتحاول أنْ ترسم فيها البسمة على وجوه الصغار وتفتخر بذلك وقد الْتفَّت حولك بعض القنوات والفضائيات التي يظهر من اهتمامها أنّها على مذهبك وتتفق مع رؤيتك، أم لا تعلم عن عاشوراء وحقيقتها التي أبكت ملائكة السماء وأبكت الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله)، وأحرقت قلبه وقلوب أهل بيته الطاهرين بفقدهم الحسين الوجيه(عليه السلام) وعياله وذراري رسول الله(صلى الله عليه وآله)، مع تلك النخبة الكريمة التي نذرت نفسها لله تعالى فوقفت بوجه طاغية العصر يزيد بن معاوية عليه اللعنة والعذاب، حتى قتلوا جميعا صابرين محتسبين من أجل أن تبقى أنت وأمثالك مسلمين وتعتقدون بالمعارف الإسلامية الصحيحة التي حاولت دولة بني أمية تحريفها وتزييفها.

سيدي بابا عاشوراء إني لك ناصح أمين، فلقد بالغتَ في الاستهتار بيوم عاشوراء، وحاولت أنْ ترقص على جراحنا المثخنة بالثقافات الدخيلة التي زرعها عُتاتُ بني أمية وسط المجتمع

الإسلامي الغافل حتى ظنّ الناس أنّ هذا هو الصحيح، وبعضكم يتقرب إلى الله بالتبرك والتزيين ونشر الفرحة في عاشوراء كما تصنع أنت غافلا، دون رعاية حرمة النبي(صلى الله عليه وآله)، والآن بعد أنْ ألقيت عليك الحجة عليك بمراجعة يوم عاشوراء والمصائب فيه لعلك تبكي بدل الدموع دما؛ لتكفِّر عن الأذى الذي تسببت به إلى مقام النبي(صلى الله عليه وآله) ومقام أهل بيته الذين جعلهم الله تعالى رحمة للعالمين، ومن المهم أنْ تعلم أن الاهتداء لما ذكرت لك يعتمد على سلامة نطفتكم وطهارة طينتكم في هذا الاختبار فإنّ توفقت للرجوع والاعتذار فتلك من نعم الله عليك وإلا فعليك أنْ تعلم أنّ الحجاب بينك وبين الرجوع والتوبة طبيعة طينتكم، وقد سبق قوله(صلى الله عليه وآله) لأمير المؤمنين(عليه السلام): يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق، والسلام على من اتبع الهدى.

رسائل من يوم عاشوراء

050

حملت ملحمة كربلاء الخالدة في يوم عاشوراء رسائل عديدة ومختلفة تخصّ المستويات العامة والخاصة بلا فرق بين الجماعات أو الأفراد، ومن شأنها أنْ تنهض بالواقع الإنساني والإسلامي على وجه أخصّ وتعمل على تحرير الفكر من قيود الجهل وتسلط الدنيا، وتكشف عن القدرات والإمكانيات التي حملتها هذه الملحمة إلى الأجيال عبر نافذة الزمن؛ ليتحقق لهم من بعد اتباعها سلامة الدارين وعزة لا تقاربها ذلة.

ومن بين أهم هذه الرسائل الفريدة هي أنّ إرادة الاصلاح لا تستلزم وجود الناصر والمعين، فعلى الإنسان أنْ يبدأ بالإصلاح وإنْ تأخر نجاحه ومعالم انتصاره، فالعمل من أجل مصلحة الإسلام كدين والمجتمع ككيان ينماز بالتماسك المنبثق من ثقافة التوحيد والمستند إلى السلامة الفكرية التي لطالما أكد عليها الإسلام في سبيل الوصول إلى مقاصد الله تعالى في نشر الخلق وتكليفهم، وتبيَّن من واقعة كربلاء أنّ الاستجابة إلى دعوة الله تعالى ليست متاحة للجميع فقد يحتاج الإنسان إلى كثير من الاخلاص والمناجاة للتوفيق إلى العمل بما يرضي الله تعالى، وهذا البعد ظهر واضحا في منهج أصحاب الحسين(عليه السلام).

وكذا كشفت ملحمة كربلاء عن سمات القائد الحقيقي، حيث قدَّم الحسين(عليه السلام) أهل بيته وذراري رسول الله تعالى وولده حتى قبل الآخرين، وهذا بحد ذاته يبيِّن طبيعة التعامل الإنساني بين الإمام(عليه السلام) وبين أصحابه وإيثاره الكبير الذي زرع فيهم روح التضحية بين يديه(عليه السلام)؛ لذلك فإن ثورة الحسين(عليه السلام) مع عالميتها كانت تمثل خيمة للإنسانية جمعاء، يتعلم منها الثائرون درسًا في الإيثار والإقدام المتفاني رغبة في الوصول إلى تحقيق رضا الله تعالى، وهذا الإقدام الحسيني كشف لجميع الأفراد بأنَّ عليهم أنْ لا يجعلوا بينهم وبين الله تعالى حُجُب من متاع الدنيا من المال أو الجاه أو العشيرة والولد؛ بل ينبغي أن نترك الجميع من أجل الغايات النبيلة التي قد نكلَّف بها، وهذا الأمر لا ينحصر بالرجال؛ بل قد يكون للمرأة دور كبير، ولقد تبيَّن من مسيرة الحسين(عليه السلام) إلى كربلاء أن المرأة ليست ضعيفة كما يتصور بعض الناس، فهي تتمتع بالقدرات والقابليات الكبيرة وقد ساهمت بشكلٍ أو بآخر في نجاح ثورة الحسين(عليه السلام).

ومما تجدر الاشارة إليه أنّ اجتماع الأمة على قتال الحسين(عليه السلام) كشف عن زيف بعض الروايات الموضوعة التي يتغنّى بها كثير من الناس، ومنها ما نسب إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله) بأنّ يد الله مع الجماعة، فهذه ليست مطلقة، فالأمة التي اجتمعت على الحسين(عليه السلام) كانت ظالمة، وبعيدة عن طاعة الله ورضاه، ومن المناسب أنْ نفهم أنّ رسالة عاشوراء عزَّزت من مكانة من كان مع الله تعالى وقوته، حتى أنّ الجمهور الكبير الذي اجتمع على الباطل كان كالمعزى بين يدي أبطال الصفاء وليوث الهيجا من أصحاب الحسين(عليه السلام) على الرغم من قلتهم؛ إلا أنّهم صنعوا المعجزات وتسابقت الكرامات بين يديهم ليستيقن الناس بأنّ دماء الشهداء تصنع المستحيل ولو بعد حين.

رؤوس الآيات

051

مما يلفت نظر المستمعين كثيرًا هو مسألة القرّاء في الوقوف الاختياري على رؤوس الآيات بغض النظر عن علاقة هذه المواضع بما قبلها أو بعدها؛ بل ربّما كثير من القرّاء يستأنسون بالوصول إلى مواضع رؤوس الآيات فيقفون عليها دونما أن يسمحوا لأنفسهم بالتفكير كون الوقف صحيحاً أو غير صحيح؛ وذلك لأنّ كبار القرّاء وقفوا على عموم رؤوس الآيات، فقلدهم من جاء بعدهم بذلك من دون الرجوع إلى المسألة وأحكامها.

ومما هو معلوم أنّ العربية تتكامل بمراعاة الترابط بين أركانها، فأي خلل في الوصل أو القطع بين أركان الجملة العربية مخالف لظاهر القواعد اللغوية التي طالما حرصت عليها الفطرة السليمة وأكدتها الرؤية القرآنية وتناسقت بذلك الروايات وأقوال المعصومين(عليهم السلام) منذ اللحظات الأولى لتقعيد أصول العربية على يدي أمير المؤمنين(عليه السلام) بعد أن وجه تلميذه أبا الأسود الدؤلي بأنْ ينحو هذا النحو.

والمثير في الأمر أنّ بعض الدارسين يحاول تسويق روايات على سُنِّية الوقف على رؤوس الآيات بغض النظر عن المتعلق، وعن مخالفته لضوابط العربية التي طالما جاءت محترمة في القرآن الكريم.

ومما شاع في ذلك رواية أسندها بعض الرواة إلى أم سلمة رضوان الله تعالى عليها تنقلها عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) وتفيد بأنه(صلى الله عليه وآله) كان إذا قرأ سورة الفاتحة قطعها آية آية، وحينما نتفحص هكذا روايات مع العلم أنّ كل ما صدر عن النبيِّ(صلى الله عليه وآله) هو حجة على الجميع قولاً أو فعلاً أو إقرارًا، إذا ثبتت صحة الرواية، فكما هو معلوم أنْ هناك من نسب بعض الروايات إلى النبيِّ(صلى الله عليه وآله) جزافا وتسويقًا لبضاعته الفاسدة أو لتفريق المسلمين أو لغير ذلك.

ولسنا في مقام مناقشة الرواية التي رُويت عن أم سلمة رضوان الله عليها في الخصوص؛ ولكن لا بأس بأن نقف على بعض ما يتعلق بها، فمن جهة سندها فهناك أشخاص متهمون وقد أُسندت إليهم الرواية ومن هؤلاء (علي بن أبي مليكة)، الذي يعتقد بعض دارسي علم الرجال أنه من الشخصيات الوهمية التي لا وجود لها أصلا، ومن جهة أخرى وعلى فرض صحة الرواية نعتقد أنها كانت إرشادية لبيان مواضع رؤوس الآيات في سورة الفاتحة، خاصة أن المسلمين كانوا حديثي العهد بالآيات ومواضع رؤوسها، أو قد تكون مختصة بقراءة الفاتحة فقط دون غيرها، أو يحتمل

أن القراءة كانت تعليمية؛ وذلك لأن الثابت عندنا أنّ هناك آيات كثيرة لا يصح الوقف عليها، إما لكون المشكلة في موضع الوقف عليها بحيث يفصل بين أركان العربية وتتغير دلالة الآيات كالوقف على قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾، أو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾. أو قد تكون المشكلة متعلقة بالابتداء بعد الوقف كالابتداء بقوله تعالى: ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ (٢٢٠) سورة البقرة. إذن هناك آيات كثيرة عند الوقوف على رؤوسها تختل موازين الدلالة وقد تتغير المعاني فتزيد أو تنقص.

إنّ المهم في الأمر هو أنْ ندرك أنَّ مواضع رؤوس الآيات كغيرها من المواضع من جهة الوقف والابتداء، فقد تكون هذه المواضع بقوة الوقف اللازم فيجب الوقوف عليها أو قد تكون بقوة الوقف التام فيكون الأفضل هو الوقوف عليها، أو قد تكون بقوة الوقف الجائز فيخير القارئ بالوقف أو عدم الوقف، أو قد تكون مواضع رؤوس الآيات بقوة الوقف الحسن فيكون الأفضل هو الوصل بينها وبين ما بعدها، أو قد تكون بحكم الممنوع من الوقف عليها لضياع المعنى أو تغيره أو بتره عن الأصل، فحينئذ يمنع الوقف عليها، ومما يشهد على ما ذكرناه ويخالف ما نُسب إلى النبيِّ(ﷺ) من الرواية بالوقف المطلق على رؤوس الآيات هو أنّ النسخ المطبوعة من القرآن الكريم حتى عهد قريب؛ بل لا يزال معتمدا في كثير من الدول في شرق آسيا هو وجود علامات إرشادية على رؤوس الآيات وبحسب مواضعها فبعضها كانت تشير إلى منع الوقوف وأخرى كانت تشير إلى ضرورة الوقوف وإشارات أخرى بحسب المقام.

ومن الجدير بالذكر أنّ الوقف لو كان سنَّة حسنة عند مواضع رؤوس الآيات لما وجدنا في النسخ القرآنية علامة منع الوقوف على رؤوس الآيات، ومن جانب آخر كيف لنا أن نتصور الوقوف على رؤوس الآيات الطويلة؛ لأنّ بعض الدارسين يعتقدون أنّ الرواية تشير إلى القراءة من بداية الآية إلى نهايتها، والحال لا يمكن تصديق ذلك أو تصوره ؛ فهناك آيات طويلة لا يمكن لأيٍّ من القرّاء الوصول إلى نهايتها كما في آية الدَّين في أواخر سورة البقرة المباركة.

وعلى هذا فإنّ الصحيح هو رعاية الترابط اللفظي والمعنوي في الوقوف على رؤوس الآيات، وعدم الانجرار إلى آراء تخدش بقواعد العربية وضوابطها، ومن ثمَّ فهي تغيِّر دلالات النصوص، وتخرجها عن مقاصدها الحقيقية، وينبغي الالتزام بالقراءة الصحيحة والمنسجمة مع الرؤية التفسيرية والتدبرية لفحوى الآيات ومعانيها التي تتأثر كثيرا بالوقف والابتداء.

ضاحكة مستبشرة

052

الصفات التي يمكن أنْ تكون لافتة للنظر هي ليست كثيرة؛ باعتبار أنّ هذه الصفات قليلة مصاديقها في الوجود وليست متاحةً للجميع وإنْ كثُر الساعون إليها؛ وكأنّ هذه الصفات هي التي تختار أهلها وليس لنا أنْ نختارها، ولطالما كانت هذه الصفات هي المائز الأكثر تأثيرا على الآخرين، وهذا الأمر بحدِّ ذاته كان سبب انجذاب الأمة إليها، وجعلها من الثوابت التي تعمل على استقامة الدين وسلامة السريرة، وقد اتضح من دعوة الأولياء أنَّ التوفيق لها يستلزم مقدمات عدَّة عميقة أبسطها الإخلاص لله تعالى والعمل على وفق مراضيه لترقى إلى أنْ تكون من الوجوه التي وُصفت بأنّها تكون ضاحكة مستبشرة.

ومن المناسب أنْ نلحظ أنّ هذه الصفات كانت تلازم الشهداء السعداء أكثر من غيرهم، والمعلوم أنّ الشهيد عنوان الكرامة وسرُّ استمرار الانتصار، وأنّ الذي يصنعه دم الشهيد يعجز عن صنعه غيره، ولهذا نجد في الإسلام تأكيدًا على الاهتمام بالدعوة إلى الشهادة والتركيز على مكانة الشهداء، وتميزهم عن غيرهم وإن كانوا على قدرٍ من الإيمان والتقوى، فقد ورد في الأثر النبوي الشريف قوله(ﷺ): (فَوْقَ كُلِّ ذِي بِرٍّ بَرٌّ حَتَّى يُقْتَلَ الرَّجُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِذَا قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَيْسَ فَوْقَهُ بِر)، والذي يتوفق لهذه الرتبة الكبيرة يليق به أن يترك خلفه ثغرا مبتسما ضاحكا؛ ليكون مصداقا لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَة﴾، ومن أليق بالشهداء ليكون مصداقا لهذه الدرجات العالية. زيادة على ذلك ما يجده من الكرامة عند الله حتى نقل عنهم أنهم يتمنون الرجوع إلى الدنيا ليقتلوا ألف مرة لما وجدوه عند الله من الحفاوة والكرامة للشهداء.

ومن الجدير بالذكر أنَّ العباد الصالحين يدعون بعضهم للبعض الآخر بالتوفيق إلى الشهادة، وكلما كانت الدعوة صادقة كانت الاستجابة واقعية كالتي حصل بين الشهيدين المهندس وسليماني، فلم يرضَ أحدهما ترك صاحبه ليفجع به، فكانت النهاية التي ختمت بالعزة والكرامة، ضاحكَيْن مبتسمَيْن بعد حياة زاخرة بالعطاء قربة إلى الله تعالى ليجزيهما الله تعالى جزاء المحسنين بالشهادة الخالدة التي كانت موضع آمالهما ليرتقيا سلم العروج إلى الله بوجوهٍ مسفرة، ومن المهم أن ندرك أن مسيرة الشهادة لم تبلغ محطتها الأخيرة فهي

مستمرة مع وجود الصادقين المقبلين على الله تعالى بقلوبٍ موقنة بالجزاء والهناء، وما لم نتوفق إلى رؤيته على وجوه الشهيدين ارتسم على مُحيا الشهيد (وضاح الشبكي) اليوم حينما عرج هو الآخر فوق سلم الخلود وانتصر على نفسه؛ ليواكب سبيل العاشقين نحو خلود ونعيم، فكانت الابتسامة العريضة التي نشرها الشهيد وضاح الشبكي على وجهه موضع تأملٍ عند الجميع؛ بل سارع كثير من المؤمنين إلى الدعوة من الله تعالى أن يرزقوا ما رُزق الشهيد، وبلغت الهمم القمم عند المجاهدين علّهم يحصلوا على درجته التي اتضحت بتلك الابتسامة الهنية.

إنَّ الذي ظهر على وجه الشهيد يؤكد على صدق الروايات التي كنّا نقرؤها ولم نكن نتصوّرها، ففي إحدى الروايات أنّ الشهيد إذا ارتقى فأوّل قطرة من دمه غفرانٌ لجميع ذنوبه بعد أنْ يسقط رأسه في حجر زوجته من الحور العين، ولعلّ الشهيد وضاح قد استحقها بجدارة، فاختار الله له الحور العين عوضًا عن خطيبته التي تركها بعد أنْ رُزِق الشهادة وهو ضاحكٌ مستبشرٌ.

العسر واليسر

053

الاختبار سنَّة كونيّة فكلّ بني آدم يعترضه الاختبار، وليس بالضرورة أنْ تكون الاختبارات في العسرة؛ بل قد يقع في اليسرة، ولعل الاختبار في اليسرة أقسى منه في العسرة، ففي اليسرة عادة يعيش الإنسان نشوة الراحة وينشغل بما بين يديه من الابتلاء كما كان قارون الذي طغى وتجبر بعد أن كان صوته الحنون يدوِّي مسامع الناس وهو يُناجي الله ربَّه، فلمّا ابتلاه الله بالمال فشل في الشكر فأصبح في الأذَلِّين، وفاتَهُ التوفيق الذي ينبغي أن يكون مقترنًا بالطاعة والولاء. وهكذا سقط أيضًا في فخ السلطة والجاه مروان بن الحكم الذي بُشِّر بالخلافة وكان قارئا ملازما للقرآن فقال له: هذا فراق بيني وبينك.

إنّ مما ينبغي أنْ ندركه جميعا هو أنّ الابتلاء رحمة فلو لم تكن بعين الله لما وقعتَ في الاختبار، ولمّا أصبحتَ في عين الله فكلّ ما يكون من الله فهو من رؤوف رحيم وقد أحاط بكلِّ ما يتعلق بنا وليس من العدالة أنْ يكلّفنا ما لا نطيق، وعلى هذا فإنْ كان حملُكَ مثقلاً بالبلاء فاعلم أنّ المؤمن مبتلى، وهذه إشارة إلى أنّ المؤمن قد يبتلى أكثر من الآخرين؛ ومع كل صنوف البلاء ينبغي أن نثق بالله تعالى فهو القائل: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ فالآية تشير إلى أن مع كل عسرٍ يسرين؛ لان العربية تفيد بأن تكرار النكرة دلالة على شيئين فلو قلت: قابلت رجلاً وأكرمت رجلاً، بمعنى أنك قابلت رجلاً وأكرمت رجلاً غيره، واما المعرفة فتكرارها يفيد الدلالة على الواحد، فلو قلت: قابلت الرجل وأكرمت الرجل، فان ذلك يفيد أنك قابلت وأكرمت الرجل نفسه فقط، لذلك فقول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، يفيد وجود يُسْرَيْن مع كلِّ عُسْرٍ، وهذه من أبهى صور العناية الإلهية بخلقه، فالله تعالى مع غناه عن الخلق إلا أنه يحب خلقه كثيرا ويحب أنْ يراهم متوجهين إلى ربِّهم صابرين على بلائه في العسر واليسر.

وعلى هذا فإن فلسفة الابتلاء ليس لغرض عبثي، والله تعالى يستطيع أن يجعل الجميع في راحة تامّة دونما عناء أو نصَبٍ؛ ولكن رحمته اقتضت وجود الاختبار؛ لتمييز الصابرين عن غيرهم، وجعل منازلهم على قدر تحمُّلهم، لذلك نجد الأولياء يسألون الله صعوبة الدنيا ومشقتها إن كانت في رضا الله تعالى ومعرض الابتلاء. كما كانت الحوراء زينب في رمضاء

كربلاء، إذ توجهت إلى الله تعالى وقالت: إنْ كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى، وصبرت حتى قيل عنها إنّها جبل الصبر عند البلاء. ولذلك فإن الإنسان ينبغي أنْ يكون في المحنة على قدر المسؤولية ولا يخرج عن صوابه فيكفر فيكون مستحقا للسخط بعد أن فشل في الابتلاء، وتبقى الدنيا بكلّ ما فيها من اللذة والشقاء عرض زائل قابل للفناء.

العلامات والرموز القرآنية

054

تضافرت الرموز والأدلَّة القرآنية من أجل قراءة متكاملة، تتضح فيها الصورة البيانية على وفق ما تواتر نقله عن النبيِّ(ﷺ)، وبما يضمن الدلالة المقصودة للألفاظ القرآنية ولا يتقاطع السياق الصحيح والانسجام المناسب. وقد أفادت هذه الإشارات عموم القراء على مختلف مستوياتهم وثقافاتهم حتى ظهرت عندنا بفضل هذه الدلالات والرموز قراءات متوازنة في الغالب ملتزمة بالنصح المقدم للقارئ عبر النقاط المحددة للوقف أو الابتداء الذي يتصل بالوقف ويتأثر به كثيرا.

ومع كلِّ ما يمكن أن تقدمها العلامات والرموز القرآنية وعلى اختلاف أنواعها وقوتها فهي تتمايز من حيث التوجيه. فمثلا علامة (م) تفيد لزوم الوقف، وعلامة (قلى) تفيد أولوية الوقف، وعلامة (ج) تفيد جواز الوقف والوصل، وعلامة (صلى) تفيد أفضلية الوصل، وهناك علامات أخرى كنقاط التعانق التي يفضل الوقف على واحدة منها دون الأخرى، وعلامة الطاء والزاي...الخ. وكل هذه العلامات وغيرها قد تكون أدوات مساعدة للقارئ في الوقف والابتداء، ولكن تبقى هذه العلامات هي من اجتهادات العلماء فهي ليست مقدسة كما يتصور بعضنا فيعتقد بضرورة الالتزام بها. نعم هي اجتهادات وقد شابها كثير من الاختلاف والتباين؛ لذلك نجد في موضع ما علامة (قلى) في مصحف معين ونجد في الموضع نفسه علامة مختلفة في مصحف آخر، وهذا الاختلاف وارد باعتبار اختلاف التفاسير ورؤية العلماء واختلافهم في الأعراب والتفسير وغير ذلك.

وعلى هذا فإن من المناسب أنْ ندرك أنّ العلامات ليست قطعية، فكما اختلفوا في مسألة الوقف على رؤوس الآيات، كذلك اختلفوا على مواضع العلامات، والأصل أنّ المصحف الشريف كان غير منقوط في عصر النبيِّ(ﷺ)، وأما العلامات فهي من عمل المتأخرين الذين شعروا بضرورتها فعمدوا إلى وضعها بهذه الصورة المختلفة التي تتغير أيضا من مُدَّةٍ إلى أخرى فضلا عن اختلاف مواضعها.

ومن المهم أنْ ندرك أننا لا نختلف على دلالة العلامة أو الرمز، فمثلا علامة (م) نتفق جميعا على أنها تفيد لزوم الوقف؛ ولكن نختلف على مواضعها وهكذا باقي العلامات والرموز،

ومسألة العلامات باعتبار أهميَّتها ومكانتها فقد شابها كثير من الضغط السياسي أيضا خاصة في بعض المواضع المفصلية المهمة والمتعلقة بالجوانب العقائدية، ففي ذيل الآية السابعة من سورة آل عمران مثلا أوجب بعض الدارسين بوضع علامة (م) التي تفيد لزوم الوقف على كلمة (الله) في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، وهناك من جعل عليها علامة (قلى) وكلا العلامتين قد لا تناسب الموضع. وهكذا في آيات كثيرة أخرى حيث نجد أن البعد السياسي كان حاضرا في التوجيه وتحديد العلامة وهذا الأمر ترك كثيرا من الجوانب السلبية على قراءة النص القرآني ودلالته.

والذي ينبغي أنْ يدركه القارئ هو أنّ القراءة رسالة، والقارئ هو المؤدِّي لهذه الرسالة وعليه أنْ يصل بالرسالة غير منقوصة ولا يزيد عليها أيضا؛ بل يحاول أنْ يقف حيث تنتهي الجملة ويستقيم الكلام من جهة معناه أولا، ذلك أن المعنى هو المقصود، وكل ألفاظ القرآن مقصودة ولا يحتَمل الزيادة أو النقص، والترابط بين اللفظ والمعنى متناسق في القرآن الكريم إذا أظهر القارئ قراءة صحيحة من حيث الوقف والابتداء، وهذا لا يعني عدم الالتزام بالعلامات والرموز بشكل مطلق؛ بل ينبغي الحيطة والحذر في التعامل معها والخشية من أنْ يكون الأمر مجرد دافع سياسي ورغبة ناقصة في توجيه النصّ القرآني على غير رؤية القرآن وتفسيره الصحيح.

عيد الغدير (عهد معهود وميثاق مأخوذ)

055

قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَ اللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

يوم ليس كباقي الأيام، عيد وعهد وميثاق وتبليغ؛ إذ أمر الله تعالى نبيه(صلى الله عليه وآله) بلغة تكشف أهمية الأمر وصعوبة قبوله من لدن الناس الذي كانوا معتنقين الإسلام عن عهد جديد فغيَّر حياتهم ومناهجهم واستنقذهم من ظلمة الجهل والفساد إلى النور والإصلاح، فاختلفوا عليه بين من آمن به وبين من أسلم كراهة؛ بل اضطر بعضهم إلى دخول الإسلام خوفا من حدِّ السيف وبريقه اللامع والمخيف، فلم يدخل الإيمان في قلوبهم، وكان حظهم الاعتراض والرفض والتسويف.

إنّ لغة الخطاب من الله تعالى إلى النبيِّ(صلى الله عليه وآله)، كشفت عن علم الله عز وجل وعلم نبيِّه(صلى الله عليه وآله) بأن الناس قد لا يتقبلون هذا التبليغ الذي أمر الله به والمتمثل بتبليغ المسلمين أنّ عليًّا(عليه السلام) هو الخليفة والوصي بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله). فأكد سبحانه وتعالى على أن هذا الأمر يتوقف عليه قبول الرسالة؛ ليفهم الناس والمسلمون أن دينهم الجديد لم يكتمل إلا بهذا التبليغ العظيم، ولن يتقبل سبحانه وتعالى منهم دينهم إلا بولاية علي(عليه السلام).

إنّ التبليغ بالولاية لأمير المؤمنين(عليه السلام) كان عهداً من الله تعالى إلى محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم)، وكان بحق الميثاق المأخوذ الذي قطعه سبحانه وتعالى على سائر أنبيائه وخلقه، ففرض عليهم الأمر تشريفا لهم وتمييزا عن غيرهم من المعارضين. فكان الغدير عيدا للمؤمنين يتناقلون ذكراه عاما بعد عام بمزيد من البهجة والسرور لكونه عيد الله الأكبر، ولكونه اليوم المبارك الذي أكد سبحانه على أنّ ذلك رضاه بعد أنْ قام النبي(صلى الله عليه وآله) بالتبليغ رسميا في يوم مميز عند مفترق الطرق حيث الهجير والظهيرة واجتماع القوافل قبل تشتتهم إلى الأمصار المختلفة؛ إذ أوقفهم الله تعالى للحضور في حجة الوداع مع خاتم الأنبياء(صلى الله عليه وآله).

إنّ ما يميّز هذا التبليغ أنّه كان ختاما للرسالة؛ إذ ختم الله بذلك نزول القرآن، وقبل من المؤمنين دينهم، إذ قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينا﴾، فكان كمال الدين وتمام النعمة بولاية أمير المؤمنين(عليه السلام).

وهـذا الظاهـر مـن توجيـه الخطـاب كشـف مقصـود اللـه تعـالى الـذي قصـد امتـداد الرسـالة الإسـلامية مـن خـلال المعصومـين الذيـن خصهـم اللـه تعـالى بالعصمـة، وأيدهـم بحولـه وقوتـه بعـد أنْ اختبرهـم وابتلاهـم فوجـد فيهـم القـدرة عـلى حمـل الرسـالة فجعـل أمـر الإسـلام بـين أيديهـم ﴿اللّـهُ أَعْلَـمُ حَيْـثُ يَجْعَـلُ رِسَـالَتَهُ﴾، فليـس بمقـدور عامـة النـاس تحمـل أعبـاء الرسـالة وجمـع شـتات الأمـة؛ فكانـت العدالـة الإلهيـة تقتـضي وجـود الأمـين عـلى الرسـالة؛ ليسـتقرّ أمـر اللـه عـلى المنهـج الـذي اختـاره اللـه تعـالى ونهجـه(صلى الله عليه وآله).

والإسـلام كمنظومـة متكاملـة احتضنـت الشرائـع والأديـان؛ لذلـك ينبغـي لـه مواكبـة العصـور بوصفـه خاتـم الأديـان، ومـنْ هنـا فـإنّ الولايـة التـي ختـم اللـه بهـا الإسـلام تمثـل الـدرع الحصـين للحفـاظ عـلى المكتسـبات الإسـلامية، ومـن لا ولايـة لـه يُخشـى عليـه مـن الضيـاع والهلكـة والتيـه والضـلال، فالولايـة صمّـام الأمـان، ولا كمـال للديـن دون الولايـة، والنّعمـة كل النّعمـة بولايـة أمـير المؤمنـين عـلي(عليه السلام) الـذي تجلـت فيـه الولايـة وامتـدت في عقبـه المبـارك ليُختـم الديـن بولايـة ولـده الحجـة بـن الحسـن(عجل الله تعالى فرجه الشريف)فيملأ الأرض قسـطا وعـدلا بعـد مـا ملئـت ظلمًـا وجـورًا.

وبـين الاكمـال والاتمـام ثـارت حفيظـة الشـنآن وذهـب القـوم إلى عـين السـخط وطعنـوا بنوايـا عـين الرضـا وفسَّـروا عـلى أهوائهـم توجيـه الخطـاب فانسـرب المعنـى للأجيـال فنشـئ جيـلاً بعـد جيـلٍ متخذيـن شـعاراً أنّ الولايـة بمعنـى المحبَّـة لا السـلطة ولكـن في الحقيقـة كانـت مقاصدهـم واضحـة بعـدم الموافقـة عـلى جمـع النبـوَّة والخلافـة في آل محمـدٍ ولعـلّ هـذا الأمـر يُنبـئ عـن التخلـف عـن تجهيـز النبـيِّ صـلى اللـه عليـه وآلـه حـين وفاتـه وتـرك الإمـام عـليٍّ (عليه السلام)مـع بعـض المخلصـين ليقومـوا بتأديـة الواجـب الشرعـي والاخلاقـي.

وبهـذا فقـد تحوَّلـت هـذه النوايـا الخبيثـة إلى منهـجٍ تربـويٍّ لعـداء الأئمـة الأطهـار (عليهم السلام)الذيـن كانـوا يمثلـون القـرآن الناطـق والعِـدْل المحمـود والمـوصى بـه خـيراً وكانـت السـقيفة ترجمـال هـذه النّوايـا فتسـلق بهـا وعليهـا مـنْ كان مآلـه سـحق الأمّـة باجتهـاده واختياراتـه وغلطتـه ولعـلّ كُنية(صاحـب الـدُّرة) خـير دليـلٍ عـلى السـطو عـلى حـقِّ محمّـد وآل محمّـد.

عزيز عليه ماعنتم

056

توالت الآيات القرآنية الكريمة في بيان جوانب شخصية النبيِّ(ﷺ)، وتعددت هذه الآيات بحسب الصفات النبوية الشريفة؛ لتعكس المقام الجليل للنبيِّ(ﷺ) وتبيِّن حرصه على أمته، وخوفه عليهم من التشتت والضياع في ظلّ ما تواجهه الشريعة الإسلامية والمسلمون من الفتن والبلايا التي تعصف بين الحين والآخر بالعالم الاسلامي، وواحدة من أهم تلك الصفات التي ذكرها القرآن الكريم للنبيِّ(ﷺ) صفة الحرص على هداية الأمة والتأثر بميلهم عن الحق؛ بل إظهار الألم عند زيغ الأمة وابتعادها عن ربها وعن دينها وعن عزتها وكرامتها.

لقد كان رسول الله(ﷺ) كثير الأذى حينما يجد المسلمين يميلون عن الحق ويعصون ربّهم، لذلك كان(ﷺ) يحاول أنْ يظهر انزعاجه أمامهم ولم يكن ذلك إلا حرصًا منه على هدايتهم ودفعهم باتجاه العودة إلى الله تعالى، ولطالما جاء الوصف القرآني متناسقًا مع الواقع النبوي ليبرهن على إنسانية النبيِّ(ﷺ) كونه منقذ البشرية وسبب خلاصهم من ظلمات الدنيا والآخرة وفوزهم بعد أن زحزحهم عن النار وأوردهم الورد الحسن بين يدي رب كريم وغفور.

ومن المناسب أنْ نذكر أنّ النبيَّ(ﷺ) ركّز في حياته على تشريع سبل العزة للمؤمنين وجعلهم في مقام كريم، فلم يرضَ لهم الذلّ والهوان والتبعيّة إلا لله تعالى ولرسوله وللإسلام؛ ليكونوا بذلك أعزّة بطاعة الله تعالى، فإنّ من استرخص نفسه في ذلّ الطاعة ارتقى بالقبول، ومن أخذته العزّة بالإثم فقد هوى إلى مستقرِّ السعير حيث الخزي والعار، وهذا ما يؤكّد على اهتمام النبيِّ وحرصه الكبير للوصول إلى الجميع وبيان الحقائق لهم وإثبات الحجة عليهم؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل؛ فآمن من آمن وكفر من كفر.

إنّ النبيَّ(ﷺ) كان همُّه هداية الجميع؛ ولكنْ هذا بطبيعة الحال من المحال، فالذين توسعت كروشهم من الحرام، وتلطخت أيديهم بالدماء الطاهرة ليس لهم القدرة على اللحاق بركب النبيِّ(ﷺ)، وعزَّ على النبي(ﷺ) ذلك أيضًا، فحاول وحاول ولكنّ النّاس لم يزدهم إلا

بعدًا عن الله وعن الحق، فقد كان بعضهم يردُّ على النبيِّ(ﷺ) في حضرته وبعضهم يكفر به وبعضهم يحاربه بما أوتي من القوة.

ولمَّا كان النبيِّ(ﷺ) خاتما للنبين فمنهاجه قائم حتى قيام يوم الدين، والصفات النبوية التي نتلوها في القرآن لم تتوقف عند رحيله؛ فأعمال المسلمين تعرض عليه بشكل مستمر، ويعزُّ عليه شتاتهم وتفرقهم وتطبيعهم مع الباطل وتمزقهم، ولعلّه يبكي بدل الدموع دما حينما يقلّب صفحات المسلمين اليوم، فبعد العزّة أصبحوا أذلّة، وبعد أنْ كانوا قادة العالم بقيادة النبيِّ(ﷺ) باتوا تابعين لإرادة الشيطان الأكبر يسوقهم إلى الضياع ويأمرهم بالمنكر بدل المعروف وهم مطيعون؛ ليخرجوا بذلك من عزِّ طاعة الله إلى ذلِّ طاعة الشيطان فيكون عزيزاً على النبيِّ ما عاندوا وكابروا منقادين أذلاء.

علاقتنا بكتاب الله

057

تباينت العلاقات الخاصة والعامة بيننا وبين ما يدور حولنا من الأشخاص والطقوس والمقدّسات وغيرها، وعلى درجة القرب البيني تترتب حجم وثاقة العلاقة وضعفها، فبعض الأشخاص نحتاج رؤيتهم في كلّ يوم وبعضهم لا نحبُّ رؤيتهم في العمر مرّة؛ بل نحاول الابتعاد عنهم، وهكذا في علاقتنا مع ما يحيط بنا مع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ هناك علاقات واجبة وعلاقات مستحبة، ومن ضمن العلاقات التي ينبغي على المسلمين جميعًا وعلى المؤمنين على وجه الخصوص تنظيمها علاقتنا بكتاب الله تعالى وهو القرآن الكريم قراءة وتدبرًا وحفظًا.

أمّا قراءة القرآن فقد دلّت الروايات الشريفة التي نقلت عن النبي(صلى الله عليه وآله) على أهميتها وضرورتها، فقد جاء عن أبي عبد الله(عليه السلام) أنه قال: (مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَ هُوَ شَابٌّ مُؤْمِنٌ اخْتَلَطَ الْقُرْآنُ بِلَحْمِهِ وَ دَمِهِ وَ جَعَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَ كَانَ الْقُرْآنُ حَجِيزاً عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...)، فما أجملها من حياة حينما يختلط القرآن بلحمنا ودمنا، ونكون مع السفرة الكرام البررة، ليكون القرآن مانعًا عنّا في زحمة الأهوال ودافعًا منتصرًا لنا، ومما زاد على ذلك فقد جاء فيما نقل عن الإمام الصادق(عليه السلام) أنه قال: (مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَهُوَ غَنِيٌّ وَ لَا فَقْرَ بَعْدَهُ، وَ إِلَّا مَا بِهِ غِنًى)، وهذا المعنى يفيد مطلق الغنى وأهمها غنى عرصة القيامة ببركة قراءة القرآن، ولكن ينبغي الحذر أيضا فإنّ هناك مَنْ يقرأ القرآن والقرآن يلعنه، كما اشتهر عندنا: (ربّ قارئ للقرآن و القرآن يلعنه).

وأما على مستوى التدبر والفهم فقد قال تعالى: ﴿كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ﴾، ولعلّ هذا هو الغرض الأساسي والهدف الأسمى من تنزيل الكتاب، فليس من الحكمة قراءة القرآن دون فهم معناه أو تدبر آياته، فالتكليف مناط بفهم السياق القرآني؛ لذلك اجتهد علماؤنا للوقف على دلالة الألفاظ وبيان المقاصد لإرشاد المؤمنين إلى رؤية القرآن الكريم؛ ليتمكن أحباب القرآن من نسج علاقة مبنية على أساس موضوعي لا مجرد لقلقة لسان لا يؤثر على صاحبه وقد لا يزيده إلا بعدا.

وأما المستوى الآخر فهو حفظ القرآن الكريم، وهذا يستلزم علاقة فريدة وصحبة مميزة بين القرآن وصاحبه، فالحافظ يرتفع مقامه بالقرآن حتى يبلغ منزلة الملائكة الكرام، وقد دلّت الإشارات الروائية أن هذا القرآن يرفع أقوامًا ويضع آخرين، ولذلك ينبغي على المؤمن أن يجتهد في توطين علاقته بكتاب الله ولا يكفيه قراءة شهر رمضان كما هو حال أكثر الناس اليوم، ويتركون القرآن بعد ذلك أحدَ عشرَ شهراً، فيصدق عليهم شكوى القرآن المهجور الذي ثبت في رواياتنا عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ(عليه السلام)، إذ قَالَ: (ثَلَاثَةٌ يَشْكُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ: مَسْجِدٌ خَرَابٌ لَا يُصَلِّي فِيهِ أَهْلُهُ، وَ عَالِمٌ بَيْنَ جُهَّالٍ، وَ مُصْحَفٌ مُعَلَّقٌ قَدْ وَقَعَ عَلَيْهِ الْغُبَارُ لَايُقْرَأُ فِيهِ).

فالأصل أنّ العلاقة بين الانسان والقرآن الكريم علاقة تكاملّية؛ فالانسان مأمورٌ بالتماهي مع كتاب الله تعالى والتعامل به ومعه وهذا يستوجب الوقوف على معانيه والتدبُّر فيه فهو منهج حياة وسبيل نجاة فمن أراد بناء أمّة صالحة مفكّرة قويّة عليه ببناء الفرد الذي يمثل اللبنة الاساسية في بناء المجتمع ولا يمكن أنْ نتصوّر أنْ يكون هناك مجتمعاً صالحاً من دون أفرادٍ صالحين ممتلئين بالفكر والوعي؛ لذلك نجد أنّ القرآن ركّز على بناء الفرد والمجتمع والفرد محور العطاء والبناء في الاصلاح ومن هنا نجد التركيز على بناء الفرد في القرآن؛ إذ جاء النبيُّ وهو فردٌ والرسول فردٌ والامامُ فردٌ فكانوا أسوة حسنة لمن أراد أنْ يتّخذهم سبيلاً للخلاص والفلاح.

عيد الصائمين

058

ليلة أخرى؛ لكنها ليست كباقي الليالي، ففيها تتوافد قوافل الصائمين للإعلان عن مسيرة جديدة بعد شحنة إيمانية عظيمة من مدرسة شهر رمضان المتجدد عاما بعد عام، وهذه المسيرة ميّزت النّاس إلى أصناف كثيرة تباينت مقاماتهم بحسب حسن تعاملهم مع الشهر الفضيل، فمن قصَّر فقد فاته من الخير ما لا يعلمه إلا الله، ومن استثمر الشهر فقد استحق الفوز بالعيد وما فيه من الكرامات، والثابت أن القرآن الكريم عنى بهذه المناسبة وذكرها بصريح العبارة، إذ قال تعالى على لسان عيسى(عليه السلام): (قَالَ عِيسى ابْنُ مَرْيَمَ اللّهُمّ رَبّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائدَةً مِّنَ السمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوّلِنَا وَ ءَاخِرِنَا وَ ءَايَةً مِّنك وَ ارْزُقْنَا وَ أَنت خَيرُ الرّزِقِينَ)، ففي هذا الخطاب القرآني تتّضح دلالة العيد وأنّ التكرار ماهية واضحة للعيد؛ باعتبارهم طلبوها ليعيدوا فيها ويستذكرونها في كل عام فهو لأوّلهم وآخرهم جيلاً بعد جيل.

إنَّ فرحة العيد تنسينا مشقة الصوم وساعات الجوع والعطش، وهذا الأمر فيه من العبرة ما يناسب أن نتعلم منه بأنّ مشقة الطاعة تنتظرها فرحة اللقاء بين العبد ومولاه، وإنّ المعصية مردها الفضيحة كما المفطر الذي فاته الشهر الفضيل، وهذا بحدِّ ذاته ينَّمي الطاقة الإيجابية التي نحتاجها عامًا بعد عام لنصبر على الشهر الفضيل؛ بل إنّ نماء الطاقة الإيجابية دفعت بالمؤمنين ليستأنسوا بلذة الجوع والعطش بعد أنْ أدركوا أنّهم بعين الله وتنتظرهم كرامات كثيرة التي وعد الله بها عباده الطائعين، وأولها فرحة العيد فللصائم فرحتان كما أفادت الروايات واحدة عند الإفطار وأخرى عند لقاء الكريم جل وعلا.

وعلى الرغم من أنَّ العيد ممارسة عبادية إلا أنَّ الله تعالى لم يجعله دون ضوابط وأحكام؛ فيبدأ العيد بليلة عظيمة يتخللها كثير من الدعوات والطاعات؛ ليتأهل المكلّف إلى استقبال يوم العيد العظيم، والله تعالى حَبَى العيد بصنوف التشريف بعد أن خصّصه موسمًا للطاعة يبدأ بالغسل كإشارة إلى التطهير والرقي، ويرتقي إلى مختلف العبادات المتنوعة التي يتوفق إليها من أخلص لله تعالى في دعواته ومناجاته، ويتغافل عنها من كان همُّه انقضاء الشهر بعد أن أفرط في التسويف ولم يتوفق إلى التوبة حتى فاته الشهر فكان ممن تهدد بقول رسول

الله(ﷺ): (مَنْ لم يغفر له في رمضان فلن يغفر له إلا إلى قابل أو أن يشهد عرفة).

إنَّ فرصة العيد كبيرة لنكون ممن نظر إليهم الله تعالى فغفر لهم، ومن المناسب أن ندرك أن الله تعالى جعل بعض السلوكيات الاجتماعية عبادة في العيد، ومن ذلك التسامح والتزاور والتودد والإهداء، سيما مع من نجح الشيطان بخلق فواصل بيننا وبينهم، فموسم العيد العائد علينا جميعًا بالمغفرة والقبول فرصة للاستثمار الاخلاقي والاجتماعي، وإنَّ فرصة توزيع الصدقات أو الزكاة في عيد الفطر يمنح قوة وصلابة وتماسكا للمجتمع الإسلامي يتناسب مع الرؤية الإسلامية والتربية القرآنية؛ لنصل إلى أنَّ المسلمين كالجسد الواحد يكمل بعضهم بعضهم الآخر.

إنَّ العيد من جوائز الله تعالى لعباده المطيعين والصائمين؛ فليس من المناسب أن يسرف البعض فيه بالمعاصي؛ بل علينا أن نحافظ على المكتسبات الإيمانية التي متَّعنا بها الشهر الفضيل، وينبغي أن ندرك أنَّه كلما وقفنا عليه من المقامات والدرجات أمانة في أعناقنا وعلينا أن نحافظ عليها، وعلينا أنْ نكون أكثر حذرا؛ لأن الشيطان ماهر في أن يجرنا إلى مستنقعات الفساد والمعصية وبوسائل مهنية فنضيِّع ما تم بناؤه من العلاقة الصالحة والحسنة بيننا وبين ربنا الذي أكرمنا بأن جعلنا من أهل الشهر الفضيل؛ ليغدق علينا بجوائزه الكريمة، ويفتتحها بالعيد الذي نطمح أن يكرره علينا ونحن على سلامة من الدين والدنيا إنه سميع مجيب.

الغدير وما أدراك ما الغدير

059

تعدّدت أعياد المسلمين وتنوعت اعتباراتها ومقاماتها، ونقل في الأثر المبارك أن اليوم الذي لا يعصى فيه الله فهو عيد، ويمكن اعتبار تعلق الأمر هنا بالتوفيق إلى طاعة الله تعالى وتجنب سخطه، وهذا مدعاة للسرور والفخر، ويمكن اعتبار اليوم عيدًا إذا كان من معاني العيد الفرح والسرور بذلك. وأما أعياد المسلمين العامة فلكلٍّ منها خصوصية ومقام بحسب متعلقه. فالجمعة مثلا من أعياد المسلمين العامة وهي سيدة الأسبوع وأيامه، حيث يتضاعف فيها الثواب؛ بل هي عرس الصلاة على محمد وآل محمد؛ لذلك نجد المؤمنين يشتغلون بذكره(صلى الله عليه وآله)، ويسعون ليلة الجمعة ونهارها بوسيلة المناجاة وبما يزلفهم إلى الله تعالى ومراضيه. وقد ورد عندنا في الروايات برامج منهجية وأعمال خاصة بليلة الجمعة ونهارها، ويكفيها فخرًا أنْ تكون بين الجمعتين كفارة لكل من حضرهما ووعاهما.

وأمّا عيد الفطر فهو عيد الصائمين، وهو العيد الذي يتحقق بعد جهد جهيد ومشقة وصبر على الصيام والقيام، حيث يتحمل المؤمن شهر الصيام ويكثر من قيام لياليه فيرزقه الله تعالى فرحة العيد الذي يكون أول ثماره المغفرة والقبول عند الله تعالى، وأما عظمة عيد الفطر فيكمن في متعلقه وهو الصوم الواجب الذي لطالما أكّدت الشريعة السمحاء على الالتزام بها فهي مدرسة الصبر، ومنزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد، وبذلك يمكن القول أن المؤمن لا يكون دون الصبر، ومدرسته الذي يتعلم منه هو الصوم.

وأما عيد الأضحى المبارك فهو الآخر قد تعلّق بواجب من واجبات الإسلام وهو الحج، ولطالما سوَّفه بعض الناس وماطل فيه آخرون، حتى قَلَّ الملبون وأصبح البعض الآخر مصداقا للوعيد الإلهي، حيث قال تعالى في ذلك: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، وهذا الوعيد يتضمن دعوة الناس ولو بالترهيب إلى عدم التسويف في أداء فريضة الحجِّ ثم جعل عز وجل ختام الحجِّ عيد الأضحى؛ ليكون بشرى لمن توفق إليها ثم تُعم الفرحة للناس بفوز الحجيج وسرورهم، ففي الحج قبول العبد بعد أن تجرَّد عن دنياه وانقطع إلى ربّه الكريم، فقصد طرق الوصول إليه بمختلف السبل؛ ليقف ذليلا بين يدي ربه في عرفات، ثم يقضي ليلته في المزدلفة حيث المحشر الصغير الذي يتساوى فيه العباد فلا رئيس فيه ولا مرؤوس؛ بل الجميع بذلِّ العبودية إلى الله يتقربون، ومن ثم العروج إلى

منى والتشرف بالتبري من الشيطان وجنوده برمي الجمرات، ثم النحر والاستبشار بالقبول والرضا فيكون الأضحى قد حان، وعظمة عيد الأضحى لتعلّقه بواجب الحجّ.

وأما عيد الغدير فهو مختلف عن كلِّ ما سبق؛ لأنّه لا يتعلق بالواجبات فحسب؛ بل يتعلق بالأركان. وعلى هذا فمقامه فوق مقام الأعياد، والله تعالى خصه بكثير من الكرامات، ومن أهمها أن الغدير عنوان القبول عند الله لتعلقه بالإمامة، فعمل العامل دون الولاية ناقص والله تعالى لا ينظر إلى كثرة الأعمال؛ بل إلى نوعها، لذلك قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾، نعم فالله لا يقبل إلا من المتقين، ولا قيمة للأعمال من دون هوية الولاية؛ لأنّ الولاية عنوان القبول وبابها، فكما كان آدم(عليه السلام) باب القبول وخسر إبليس بذلك؛ لأنّه تكبّر عن طرْق باب آدم، ولم يقبل الله تعالى عبادته التي قيل إنها كانت ستة آلاف عام، وهذه إشارة إلى نوع العبادة وهويتها التي يمكن أن يكون مقبولًا عند الله تعالى، وأنَّ الأعمال ليست بكثرتها إنْ لم تكن على وفق ما يريده الله تعالى. وتواترت الروايات في مصادر العامة والخاصة في ذكر عيد الغدير الأغرِّ، وفي بيان فضله ومكانته عند الله تعالى، وقد عُرف هذا العيد في الدنيا بيوم الجمع المشهود، وهو الجمع الذي كان بأمر رسول الله(صلى الله عليه وآله)، حيث أمر المسلمين بأن يجتمعوا في منطقة غدير خمٍّ وهي منطقة واقعة على بُعْد ثمانية عشر ميلًا من منطقة الجحفة بعد الخروج من مكة المكرمة، فخطب فيهم قولته المشهورة التي نص فيها على خلافة أمير المؤمنين وأمر المسلمين بالمبايعة وتقديم التهنئة لعليٍّ(عليه السلام) بوصفه خليفة الله ورسوله.

وأما في السماء فاسم عيد الغدير هو يوم العهد المعهود والميثاق المأخوذ وهو إشارة إلى أنَّ الرسول(صلى الله عليه وآله) قد أخذ المواثيق من الناس على قبول ولاية أمير المؤمنين(عليه السلام)؛ ليكون الرسول مطمئنا على أمته بعد رحيله إلى جوار ربِّه الكريم، فيستقيم الأمر لعلي(عليه السلام) وتستقيم أمور المسلمين بذلك، وقد تعهد سبحانه وتعالى بنفسه بمحاربة من يحارب عيد الغدير من الضالين والمارقين. حيث نُقل أنَّ النعمان بن الحارث الفهري اعترض على النبيِّ(صلى الله عليه وآله) بعد تنصيب عليٍّ(عليه السلام) أميرا للمؤمنين وسأل الله العذاب، إذ قال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾، فخصه الله بالعذاب فقصمه بعد اعتراضه، وليكون درسًا لكلِّ منْ يحارب عيد الغدير المبارك.

وأما مكانة هذا العيد فعظيمة وكبيرة؛ لأنه تعلق بالأركان لا بالواجبات فحسب، وقد تعدّدت الروايات التي تحدثت عن فضله ومكانته وكرامته عند الفريقين.

فقل تعالوا

060

واحد من أيام الله المشهورة والمشهودة يوم الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة المباركة، حيث صدح صوت الحق مرة أخرى وقد توسم بنور محمد وآل محمد؛ ليشهد على يوم أقرب ما يكون إلى يوم الفصل بتألّق كلمة الله تعالى عالياً ترفرف في سماء الدنيا لتعلن عن الانتصار للإسلام على أعدائهم من النصارى المعاندين على أيدي النخبة التي طالما كانت كهف الإسلام الأمين والعروة الوثقى للصالحين الذين يستهدون بالإسلام كدين وبالولاية كيقين.

لقد كان يوم المباهلة عظيماً كعظمة الرسالة المحمدية، وتعاظمت فيه النفوس التي انتجبها الله ليكونوا ممثلين عن الإسلام، مقسمين على نفسٍ كنفس محمدٍ صلوات الله عليه وهو نفس علي(عليه السلام)، وامرأة مثلت نساء النبي فضلاً عن سائر نساء المسلمين وقد كانت الزهراء العظيمة أم أبيها، والقسم الثالث: كانوا أبناء النبي(صلى الله عليه وآله) وقد تجسد في الحسن والحسين(عليهما السلام)، إذ قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ﴾. نعم إنه يوم صراع الكلمات الذي رسم معالم جديدة للنهوض الإسلامي والمواقف التي اتسمت بالحكمة والقوة في الدفاع عن هيبة الإسلام بكل ما يمكن به الدفاع؛ لأن الصراع بين الحق والباطل وبين العقل والجهل كان قد وصل إلى طريق مسدود، حيث أصر نصارى نجران على إلوهية عيسى(عليه السلام)، ولم يكن ثمة خيارات أمام النبي(صلى الله عليه وآله) إلا انتظار أمر السماء، فلمّا جاءت الساعة المرتقبة ونزل الأمر الإلهي إلى النبي(صلى الله عليه وآله) بأنْ ينتهج مع القوم أسلوباً آخر من الحوار لا يجاملهم ولا يداهنهم؛ بل يوقفهم عند الحدِّ، ولو تحققت المباهلة كان الوضع مختلفا؛ بل لربَّما لم يبقَ نصراني من المعاندين آنذاك كما صرَّح كبيرهم بقوله: والله إني لأنظر إلى وجوه لو دعت على الأرض لأطبقت عليها السماء، ثم لاذوا مذعورين ومنكسرين وإلى الجزية مبادرين.

نعم لقد كانت المباهلة سبيل توهّج نور محمد وآله مرة أخرى، فقد كانت فيها كلمة الفصل لإنهاء الجدل المحتدم بين الرسول(صلى الله عليه وآله)، وبين نصارى نجران، حيث توجهت

الأنظار المشككة بقدوم النبيِّ إلى المباهلة فتفاجأت بالثغر الباسم يتقدم وهو يحتضن الحسين ويمسك بيمناه الحسن وخلفه الطاهرة الزهراء ويمشي خلفها أمير المؤمنين ونفس محمد(صلى الله عليه وآله)، فلما رأى نصارى نجران ذلك وتجلّت أمامهم أمارات العذاب بتغير لون الشمس واجتماع السحب السوداء في الأفق وهبوب الريح الحمراء وصعود الدخان من الجبال أيقنوا نزول البلاء فقصدوا رسول الله يطلبون العفو وقالوا نعطيك الرضا على أنْ تعفينا عن المباهلة، فصالحهم رسول الله(صلى الله عليه وآله) على الجزية ثم انصرفوا خائبين خاسرين.

والذي يهمنا أن نقطفه من بستان المباهلة هو مسألة تعيين شخصيات المباهلة، فلم يكن الأمر ارتجاليًّا أو عفويًّا؛ بل كان اختيارًا إلهيا ليشير إلى عمق الدلالة، وقد عبرت الآية عن ذلك بوضوح لا يساوره الشك فأشارت إلى أن نفس عليٍّ(عليه السلام) شابهت الشخصية التامة الكاملة في الكفاءة والصفات دون النبوة؛ ليتضح لنا أنّ مقام الإمامة يستلزم شخصا تاما كتمام النبيِّ(صلى الله عليه وآله) وليس للنّاس أنْ يجتهدوا في اختيار قادة الدنيا إلى الآخرة، ومن جانب آخر فقد تبيَّن أنّ الزهراء(عليها السلام) هي من تمثل نساء النبيِّ(صلى الله عليه وآله) وليس عامة نسائه وزوجاته، ومن المناسب أيضاً أنْ نشير إلى أنّ المباهلة كشفت عن أنّ الحسن والحسين(عليهما السلام) كانا مكلَّفين وهما صغيران؛ ليكون بذلك دليلًا على أنّ المعصوم لا يحدّه العمرُ ولا غيره، وزيادة على ذلك فقد ثبت أنهما ابنا رسول الله(صلى الله عليه وآله).

وعلى ما تقدّم فإنّ يوم المباهلة عرس الإسلام والمسلمين وعلى المؤمنين أنْ يجتهدوا في هذا اليوم بذكر فضائل محمد وآل محمد وأن لا نملَّ ذلك وليعلم الجميع أنّ إقامة الشعائر وإحياءها ترسيخ لمفاهيمها وتثبيت لها عبر الأجيال، ولا يكفي قولنا نعرف ذلك أو نؤمن به فقد آمن الناس بالغدير وارتدوا على أدبارهم ولو لا الشعائر الحسينية السنوية لظنّ كثير من الناس أنّ الحسين لم يصل كربلاء ولم يقتله طاغية العصر آنذاك.

القرآن بين السياق والخطاب

061

توافرت الأدلّة على تعدّد دلالة اللفظ الواحد عند المفسرين، فتقاربت وتباعدت لاعتبارات سياقية ووظيفيّة بعد استعمالها في خطاب موجه ليكون للجنبة الاجتماعية أثرٌ واضحٌ في توجيهها وكشف مقصودها، فاللغة كائن قابل للتطور ومعرضٌ للاندثار بحسب الاستعمال، ولما كان النص القرآني كاشفاً عن نفسه عبر أثير الكلمات المتناسقة والمنسجمة على شكل وحدات لا تقبل التقديم والتأخير أو الزيادة أو الحذف أو الحشو، كان لابدّ من محاولة أخرى لفهم القرآن بعيداً عن الرؤية الضيقة والتفسير المحدود الذي قد يتوافق مع معطيات عصر دون آخر أو قوم دون آخرين، فينكمش على نفسه ولا يليق بعالميته وخلوده ودقة استعمالاته التي تظهر غالبا بعد أن نرتقي إلى تلك الامكانيات التي يمكنها أنْ تعيش عالم النص وتتفاعل معه بكل موضوعية.

إن المعاني المعجمية التي كشفت عنها المعجمات العربية في توجيه المفردات قد تكون يائسة بشكل واضح في توجيه الدلالة القرآنية، فمفردة الساعة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾، لا يمكن حملها على دلالتها المعجمية التي ذكرها علماء اللغة وكشفتها تفاسيرهم الاصطلاحية أيضا، فالقرآن وظّفها في جانب بعيدٍ عن تلك الدلالات الضيقة والمحدودة وجعلها في سياق آخر يمكن توجيهها بحسب مقامها المعتبر، والمنصوص أيضا بالروايات التي نُقلت عن المعصومين في هذا الخصوص؛ ليتبين أن الساعة اسم ليوم القيامة وأهوالها.

والدلالة السياقية هي الأخرى عاجزة عن بيان المعاني المقصودة للتراكيب بشكل يفيد بيان غاية الجملة وتركيباتها المتسعة التي ثارت على سياقها النصي الذي يقوم بالكشف عن الدلالات التي تظهر على السطح الظاهري بعد تناسق الكلمات على شكل جملة مفيدة، ففي قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يمكننا أنْ نفهم أنّ المقصود بحسب سياقها أنّ النصّ أفاد انقطاع وقطع آخر القوم. وهنا تجد العمومية في التفسير، فلا يمكن أنْ تتضح الدلالة المقصودة وإنْ أشغلنا السياق بها، وعلى هذا فإن المعاني الدقيقة في تفسير القرآن قد لا تظهر إلا بتحليل الخطاب على وفق توجيه الملفوظ بحسب توظيفها ورعاية

جوانبها الاجتماعية.

وتحليل الخطاب يمكنه أنْ يكشف عن كثير بعد ملاحظة الاستعمال، في النص القرآني: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، نتأمل بأن هناك توظيفا خرج عن حد الدلالة السياقية، وكأن القرآن هنا ركز على القوم الذين أمروا بالولاية فجحدوها. فعاقبهم الله تعالى باستئصال عقبهم فلم يبقِ لهم باقية. وقيل أنّ الآية نزلت في بني العباس الذين تمردوا على الولاية وانقلبوا عليها بعد رفعهم شعار الثأر لآل محمد، فكانت عاقبتهم بذلك قطع دابرهم عن بكرة أبيهم. وهذا يتناسب مع عدالة ربِّ السماء الذي يمهل ولا يهمل لتكون هذه السنن الكونية اشارات على أن الله يمدهم في طغيانهم يعمهون ولكن لا يهملهم، والحليم بالإشارة يفهم ويتعظ.

القرآن والعترة منهجا التكامل

062

توافرت الأدلة النقلية والعقلية على ضرورة التكامل في المنهجية ولاسيما التعليمية بوصفها منطلق الوصول إلى الغايات الحقيقية والمتعلقة بمسيرة الإنسان في الدنيا والآخرة. لذلك نجد أن الشرائع السماوية ركّزت على جوانب مهمة في المسيرة التوعوية والتعليمية والتبليغية، وعملت على توثيق عُرى الدين وصلاح الفرد والمجتمع بإسنادها إلى ركائز أساسية تمنعها من الردى وتهديها إلى الصلاح والهدى، وهذه الدعامات والركائز لا تنحصر بدين دون آخر، أو شريعة دون أخرى.

ولما كان الإسلام آخر الشرائع وأكملها، كان لا بد من أن يتمتع بأوثق العرى وأفضل الوسائل التي يمكنها أنْ تواكب التطور والتقدم الحاصل على مرِّ العصور والسنوات، وأنْ لا يعجزه أو يخيفه امتداد العلم ووصوله إلى الدرجات العالية؛ بل لا يتقاطع معه، ومن أجل ذلك عمد الرسول(صلى الله عليه وآله)، إلى تأسيس برنامج متكامل قائم على التمسك بالقرآن والعترة؛ ليحرز الناس بذلك أنّهم على النهج النبوي القويم أينما كانوا وحيثما وجدوا؛ إذ قال(صلى الله عليه وآله): (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي...)، وهذا الدستور الإلهي النبوي يضمن النجاح والوصول إلى رضا الله تعالى باعتبار أنّهما كما أشار(صلى الله عليه وآله): (لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)، فمنْ اتبعهما بلغ مراده في اقتفاء الأثر النبوي المبارك ولن يخيب سعيه، ومن جانبهما أو جانب أحدهما وتوكأ على الآخر فلن يصل، مهما بلغ مجهوده؛ بل يجيبه القرآن بقول الله تعالى والعياذ بالله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾. نعم كان لهم أعمال ولكن لا تقبل عند الله؛ لأن الله تعالى يتقبل ممن اجتمعت عنده سبل الوصول، وليس بكثرة الأعمال، وكما هو معلومٌ فإن ابليس عليه اللعنة والعذاب عبد الله ستة آلاف عام، ولكن ضيَّعها في لحظة الاختبار بعدم الالتزام بالدخول إلى ساحة القدس الإلهي من بوابة آدم(عليه السلام).

لذلك اليوم نحن بحاجة إلى مراجعة حقيقية لمناهجنا التي نعوِّل عليها، ونعتقد أنها مناهج هداية وتسديد، وأنْ لا تخلو من الاعتصام بالقرآن والعترة الطاهرة، وهذه دعوة حقيقية إلى المدارس الدينية التي أفرغت مناهجها من القرآن، أو جعلت الدرس القرآني درسا هامشيا

اعتباريا لا قيمة لها في جدول الدروس، بل نرى بعض الدارسين جعل الدرس القرآني درسا كماليا، وعليه فقد أحسن كثير من أبنائنا علم الفقه والأصول والإلهيات وبعض الفلسفة والمنطق، ولكن لا يُجيد شيئا من القرآن، وهذا بلاء عظيم يتحمله القائمون على مناهج المدارس الدينية، ولا يخفى أن بعضنا اجتهد في فروع العلم كثيرا ولم يتزود بشيء من القرآن بمراتبها تلاوة وحفظا وتدبرا، مع العلم أن أصل العلوم هو القرآن، والذي يتسلح به إلى جانب روايات أهل البيت(عليهم السلام) يحرز المنهج القويم المستند إلى الركائز الإسلامية الحقيقية الصحيحة، ومن جانب آخر فقد ابتلينا بكثير من المدارس التي اهتمت بالقرآن وتركت العترة فطاش سهمها بعيداً عن مرامها، واعتمدوا غير منهج أهل البيت(عليهم السلام) فظهرت التناقضات بشكل جلي وواضح في منهجهم، حتى اضطرهم إلى تأويل كثير من الأحكام؛ بل الجهر بمخالفة القرآن بالاستناد إلى الروايات التي لم تنقل عن سلسلتها السليمة والرصينة التي أمرنا النبيُّ(صلى الله عليه وآله) بالرجوع إليهم خاصة في فهم النصوص وتشريع الأحكام، وهم آل البيت(عليهم السلام) الذين جعلهم الله تعالى حجة على العباد في كل بلاد وأوان. إنّ الفطرة السليمة التي فَطَرَ الله الناس عليها هي فطرة الإسلام، والإسلام قائم على القرآن والعترة من أهل آل البيت(عليهم السلام)، وبهما نحقق الأمن والأمان في الدين والدنيا والآخرة. لذا يستلزم هذا الأمر أن نشمَّر سواعدنا ونتعاهد الصلاح ونعمل على إعادة النظر في منهجية المدارس الإسلامية أو الدينية كما يُعبر عنها. ونحاول تدارك ما فاتنا بتوجيه الأمر والعمل ابتداءً على تسليح طالب العلم بالقرآن ثم توجيهه الوجهة السليمة في معرفة عقائد الإسلام ومفاهيم الرسالة وأحكام الدين؛ ليكون منارا ينير الطريق للسالكين والراغبين في الوصول إلى الغاية التي من أجلها خلقنا الله تعالى من معرفته وطاعته على وفق ما أوجبه تعالى لا على وفق ما تشتهيه الأنفس الأمارة بالسوء، التي انطلى عليها هوان الدنيا فخسرت آخرتها.

قبسات عاشورائية

063

توافرت الأدلة على أنّ عاشوراء الحسين(عليه السلام) كانت وما تزال عنوانا للعطاء في مجالات معرفية كثيرة ومتنوعة، ولا يخفى أن هذه النهضة التي كشفت عن حقائق تجلت للعالم بصور واقعية؛ لتصبح منطلقا تدور في فلكها تساؤلات مختلفة عن حجم العلاقة بين ثنائيات متعددة وأهمها ثنائية القرآن وثورة الحسين(عليه السلام)، وقد نلمس مشتركات واضحة المعالم بينهما لنصل إلى درجة قطعية بأنّ مسيرة القرآن ودعوته ومبادئه تجسدت بشكل تطبيقي في عرصة عاشوراء الحسين(عليه السلام).

إنَّ واحدة من أهم المشتركات في ثنائية القرآن وثورة الحسين(عليه السلام) الخالدة هو التركيز على الهوية الإسلامية بأبعادها المختلفة، فقد جاء في القرآن الكريم أنّ الدين عند الله هو الإسلام ولا يقبل غيره مع وجوده، قال تعالى: ﴿إِنَ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلامُ وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾، وهذه الرؤية تجلت في يوم عاشوراء فقد ركز الحسين(عليه السلام) على معالم الإسلام وآدابه وأخلاقه بتلك الكلمات التي رسَّخت ثقافة الإسلام؛ إذ قال(عليه السلام): (على الإسلام السلام، إذ بُلِيَت براعٍ مثل يزيد)، حيث يفهم من كلامه(عليه السلام) بأنّ الإسلام عرضة للضياع إذا تولاه شخص كيزيد، وهذا يستوجب حرمة مبايعته والعمل تحت سلطته حفاظًا على الإسلام كدين وعلى المجتمع ككيان.

ومن المسائل المشتركة بينهما كثنائية أيضا بحيث مثلّت مرجعية للمسلمين هو التركيز على الأسوة الحسنة والقدوة في قيادة الأمة؛ وذلك لأنّ قيادة الأمة مسؤولية عظيمة ويتوقف عليها سعادة الدارين؛ لذلك ركّز القرآن على ذلك، إذ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، فوجود الأسوة الحسنة ضمانٌ للمسيرة الصحيحة والمستقيمة، وأمانٌ من التيه والضلالة، وهذا الأمر لا يختلف عليه أهل البصيرة والعقل، وقد أثبتت التجربة أن الفشل كل الفشل في ترك القدوة والأسوة الحسنة، ولذلك فقد تمزقت الأمة وضاعت بعد تفرُّقها عن أمير المؤمنين(عليه السلام) بعد رحيل رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وهذا البعد المنطقي كان من أبرز منطلقات ثورة الحسين(عليه السلام)، حيث عمد(عليه السلام) بثورته إلى بيان علة عدم قبول يزيد وكونه لا يليق بأن يكون قدوة للصالحين فقال(عليه السلام): (والله لو لم يكن ملجأ ولا مأوى

لما بايعت يزيد)، وهذا النفي الحسيني الكبير لم يكن إلا عن قناعة بأنّ يزيد باطل وبعيد عن الحق وأهله وهذا لا يمكن أن يكون قدوة يلتفُّ الناس حوله، فقال(عليه السلام): (ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه...)، وهذا بحدِّ ذاته تحدٍ كبير لإرادة السماء وتعطيل للمنهج الالهي، لذلك وجب على الأولياء الثورة والنهضة.

إنَّ المشتركات بين القرآن وثورة الحسين كثيرة ولا تقف عند حدٍ معين ويكفي في ذلك أنْ نعلم أنّ القبول في ساحة القدس الإلهي يستلزم التقوى، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، وليس من المهم كثرة الأعمال فقد عبد إبليس الله ستة آلاف عام إلا أنّه فشل في الاختبار فكان كلّ ما فعل هباءً منثورا وقد ذكر القرآن في ذلك محذرا، إذ قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُورا﴾، فينبغي أنْ نبحث عن نوع العمل أولا؛ لأنّ عليه يتوقف القبول، وهذا الذي ركزت عليه ثورة الحسين(عليه السلام)؛ إذ قال(عليه السلام): (من كان باذلا فينا مهجته، وموطنا على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا)، فالحسين(عليه السلام) حاول أن يبيِّن للناس أن من شروط القبول هو اتباعه والمتخلف عنه دون عذرٍ مأثوم، فقال(عليه السلام): (رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجر الصابرين)، وعلى هذا فإنّه ينبغي على المؤمن أنْ يدرك أنّ مفتاح السعادة والقبول هو الرضا لأهل البيت(عليهم السلام) وعدم التخلف عن ركبهم.

ما لا تعرفه عن الزهراء عليها السلام

064

ليس غريبًا أنْ تدرك أنّ الروايات بما فيها من المساحات الكبيرة وأقوال المعصومين وإنْ اتسعت لفنون الخطاب وشروح المتحدثين وإنْ وصلت إلى مختلف المستويات أنْ تبقى كلّها عاجزة عن حقيقة الزهراء(عليها السلام)؛ إذ توجه الداعون بها إلى الله تعالى فقالوا: (إلهي بحق فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسر المستودع فيها)؛ لتكون(عليها السلام) قطب الرحى في مقطع الدعاء فيعرف بها النبيُّ والوصيُّ والأئمة من بعدهما وزيادة على ذلك فإنّ فيها سراً مستودعاً يحاول إدراكه الملِمُّون وهم يسيرون في عالم المناقب والمقامات التي منها أنها أمّ أبيها بحسب النقول عنه(صلى الله عليه وآله).

إنَّها بحق ليست كباقي النساء فلا يقاس بها غيرها (سيدة نساء العالمين) من الاوَّلين والآخرين فمن ذا يدانيها في الفخار والمقام، وعلى الرغم من قِصَر عمُرها إلا إنّها تركت إرثا كبيرا من المعارف والعلوم والكلمات التي عجزت الدراسات العلمية والمعاصرة عن استيعاب جوانبها البلاغية والفنية، خاصّة حينما نقف عن سرد الروايات التي حيَّرت الباحثين والدارسين في فضلها ومكانتها عند الله تعالى وعند رسول الله تعالى وعند أمير المؤمنين(عليه السلام)، إذ قَالَ النَّبِيُّ(صلى الله عليه وآله): (يَا فَاطِمَةُ إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لِرِضَاكِ)، وكان النبيّ(صلى الله عليه وآله) إذا دخلت فاطمة(عليها السلام) إلى مجلسه يقوم لها ويأخذ بيدها ويجلسها إلى جنبها، وقال فيها: (إِنَّ اللَّهَ لَيَغْضَبُ لِغَضَبِكِ وَ يَرْضَى لِرِضَاكِ)، وَ رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ(عليه السلام) عَنْ فَاطِمَةَ(عليها السلام) قَالَتْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ(صلى الله عليه وآله): (يَا فَاطِمَةُ مَنْ صَلَّى عَلَيْكِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَ أَلْحَقَهُ بِي حَيْثُ كُنْتَ مِنَ الْجَنَّةِ).

ومع كلّ هذه المقامات والكرامات التي كانت عليها الزهراء(عليها السلام) إلا أنّها ماتت وهي واجدة على بعض المسلمين بعد أنْ أغضبوها وأنكروا حقَّها مما وهبها إليها النبيُّ(صلى الله عليه وآله)، فاعْتزلت الناس ولجأت إلى بيت أحزانها حتى قضت (عليها السلام)، وجرى عليها من الاضطهاد بعد رحيلها كما تجرعته قبل وفاتها، إذ ماتت وتركت أسئلة لمن يريد أن يستفهم الأمر عنها وعن من ظلمها وعن قبرها الذي خَفِي عن النّاس؛ إذ دُفنت ليلًا وسراً؛ ليبقى أمرها مطروقا عبر نافذة التاريخ، ويعلُو شأنها وذكرها وإنْ كانت بعيدة عن التصوُّرات وعظيمة

المقامـات؛ وليثبـت دويُّ مظالمهـا بصـوت محبيهـا عاليـاً بقولهـم (لعـن اللـه مـن سّـنَّ ظلمهـا وأذاهـا).

ما لا تعرفه عن معركة بدر الكبرى

065

واحدة من أهم المعارك الفاصلة في التاريخ والتاريخ الإسلامي على وجه الخصوص هي معركة بدر التي وقعت بين المسلمين بقيادة النبيِّ(صلى الله عليه وآله) وبين كفار قريش الذين بالغوا في الفساد واستصغار المسلمين حتى ظنّ العوام أنّ المواجهة المرتقبة بينهما كانت غير متكافئة، وأنّ المسلمين لا يمكنهم الوقوف أمام الجيوش الجرارة التي خرجت من مكة آنذاك وهي تزحف باتجاه المسلمين الضعفاء عدداً وعُدّة، والأقوياء إيمانا وعقيدة.

إنَّ مسيرة معركة بدر الخالدة أكّدت على أنّها كانت من المعارك التي لا تتكرر في التاريخ، فلو خسر المسلمون المعركة كانوا قد حكموا على الإسلام السلام؛ لذلك كانت المعركة بحاجة إلى كثير من المراجعة والتأمُّل، وقد أشرف الله تعالى على رعاية الوضع الإسلامي في هذه المعركة التي كانت قلوب عامَّة المسلمين فيها ترتجف خوفا من الزحف الذي خرج بذلك العدد والعدّة التي كانت عليها جيوش المشركين، والمجهزة بأنواع السلاح والإمكانيات التي كانت تتفاخر بها قريش آنذاك، ومن جانب آخر فانّ وجود النبيِّ(صلى الله عليه وآله) ووجود أمير المؤمنين(عليه السلام) كان سببًا للاستعداد النفسي عند المسلمين، ودافعًا للمقاومة والوقوف أمام قوة قريش آنذاك.

لقد كانت ليلة بدر ليلة فريدة، فقد كانت الآبار بين القوتين، والرياح شديدة، والظلمة قائمة، والتحديات النفسية والفنية كبيرة؛ لذلك حينما وقف النبيُّ(صلى الله عليه وآله) وسأل المسلمين عن إمكانية الحصول على الماء فلم يجبه أحدٌ إلى ذلك غير أمير المؤمنين(عليه السلام) الذي حمل القراب متوجها إلى الآبار مظهرا شجاعته العلوية التي عُرف بها، وشاء الله تعالى أن تتوالى الكرامات عليه، فقد هبَّت رياح الملائكة بأصنافها المتعددة وبادرت بالسلام على أمير المؤمنين(عليه السلام) حتى تجاوزت أعدادهم الثلاثة آلاف، وقد كشفها رسول الله تعالى للمسلمين بعد أن عاد أمير المؤمنين(عليه السلام) بصحبة الماء الذي كان سببا لإثارة الكرامات في ليلة بدر الكبرى.

أما نهار بدر فقد كان هو الآخر معرضًا للكرامات العلوية، فما أنْ بدأت معركة بدر حتى قَتَلَ أمير المؤمنين(عليه السلام) عتاتهم الذين انبروا وبرزوا يتفاخرون ويدعون المسلمين إلى

المواجهة بأراجيزهم التي تحيّرت بعد أنْ خرج لهم أمير المؤمنين فقتلهم جميعا بسيفه البتار، وكان ذلك سببا لانكسار هيبة قريش وقوّتها، ولمَّا اشتبك الجيشان كانت الكرامات تتوالى على الجيش الإسلامي، فشاركت الملائكة المسومين في قتال كفار قريش، وانكسر جيش قريش بعد أنْ كانوا يتصورون أنّ المعركة مجرد استعراض لهم؛ باعتبار أنّ جيش المسلمين لا يعدوا كونه ضعيفاً قليل العدد، لا عهد لهم بالمعارك والحروب.

إنّ الدروس كثيرة في قراءة أحداث معركة بدر ووقائعها، فبعد أنْ تَوَكَّل المسلمون على الله تعالى، وقصدوا المعركة بعزيمة وعقيدة نجحوا في كسر المعادلات المنطقية التي تحكُم بها العقل والواقع، ونجحوا بإيمانهم في استدرار تأييد الله تعالى الذي انكشف بصور مختلفة أحسَّ بها المسلمون فزادهم إيمانا، وتماسكا بتوجهات النبيِّ(صلى الله عليه وآله) حتى كان النصر حليفا للمسلمين يتناسب مع النوايا الصادقة وقوة الإيمان وسلامة العقيدة، فقتل من الكفار تمام السبعين، فانكسروا وانكشفوا بين أيدي المسلمين مذعورين خائبين، ولم يستشهد من المسلمين إلا دون العشرة كما وعد رسول الله تعالى؛ ليزدان إيمان المسلمين بنبيِّهم، ومن الجميل أن نعلم أن نصف قتلى قريش كانت بسيف علي(عليه السلام)، وأما النصف الآخر من قتلاهم فقد شارك فيها المسلمون والملائكة والمسومون وكذلك أمير المؤمنين، وهذا ما ولَّد أحقادًا بدرية على أمير المؤمنين أظهرها أبناء الكفار في يوم عاشوراء.

مقاصد التلاوة

066

لا يخفى أنَّ تلاوة القرآن تستلزم التوفيق والسداد، وبفضل الله تعالى ورحمته هناك الكثير من القلوب التي انشرحت لتلاوة القرآن، وجدولت أيامها وقسمت ساعاتها؛ لتكون مع هذه النعمة الإلهية بكلِّ ما فيها من الخير والبركة والفضل، وقراءة القرآن نافذة عظيمة؛ لأنها لا توجب الثواب والكرامة فحسب؛ بل لما فيها من خير كثير وفي مختلف الجوانب، فمن القصور أن نتصور خيره في زاوية دون أخرى، أو في فعلٍ دون آخر، فمن قصر علمه عن عظيم المنافع فقد فاته ما لا يعلمه من الخير؛ لتعدد مقاصد التلاوة بحسب نية القارئ، وكما شاع فإنّ الاعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى.

والمعلوم أنّ القرآن منهج حياة، وباب للتجارة مع الله تعالى لا يغلق آناء الليل ولا أطراف النهار، فمن قرأ القرآن للعلم تعلم، ومن قصد الهداية هداه الله تعالى ببركة القرآن، والمناجي لله تعالى يدرك ضالَّته به، فكم من تالٍ للقرآن بقصد الاستشفاء نال حظه من الشفاء سواء المادي أو المعنوي، وكم من داعٍ كان في الظلمات ففرَّج الله عنه وأخرجه إلى النور بالقرآن، وأهل القلوب القاسية يدركون أنّ القرآن خير وسيلة لحياة القلوب وطمأنتها، إذ قال تعالى: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، فمن جلس على مأدبة القرآن لا يقوم إلا وقد خرج من دائرة الغافلين إلى ساحة الذاكرين.

أمّا أهل اليقين والتقوى فقد أدركوا أنّ القرآن وسيلتهم فلذلك اجتهدوا في طلب آياته حتى عُرفوا بالقرآن فكانوا مصداقاً لأهله، فزاد الله بالقرآن حسناتهم وضاعفها لمنْ شاء منهم، ومن ورائهم الغنيمة حيث رفيع الدرجات، وزيادة الإيمان، وشفاعة القرآن؛ باعتبارهم يتكلمون مع الله بالقرآن، ولهم تاج الوقار، والارتقاء يوم الورود، فهم أهل الله وخاصَّته، ولا يكونون إلا مع السفرة الكرام البررة، فأمنوا عذاب الله، والابتعاد عن النار، وعن غضب الجبار، فهم من أهل الكرامة، والقرآن حجتهم، فلم يضلوا في الدنيا، ولنْ يشقوا في الآخرة.

إنَّ الاستقرار على الصراط يكون باتباع منهج القرآن، الذي يكون أنيسًا في القبر لأهله، ونورًا بين أيديهم، وهاديا إلى مستقرِّهم، وسائقا إلى الجنة، فأهل القرآن مشغولون به عن غيره، فكانوا بذلك على الحق المبين، ولم يكن للشيطان عليهم سلطان، فلم يتبعوا الهوى ولم

يعدلوا عن الحق، فكان بينهم وبين الكافرين حجابا مستورًا؛ فربحت تجارتهم وآتت أكلها، فلم تظلم منهم شيئًا، فهنيئًا لمن كان مع القرآن الصادق وعمل في طاعة القرآن الناطق؛ ليجمع الله له ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

الوقف الاختياري

067

واحدة من أهم العلوم المتعلقة بعلوم القرآن الكريم علم الوقف والابتداء. فبهذا العلم نحرز المعاني الصحيحة والدلالات التي تناسب المقاصد القرآنية التي أرادها الله تعالى. وإذا أخلَّ القارئ بمواضع الوقف تداخلت الجمل وتقاطعت الدلالات؛ لذلك كان رعاية الوقف من العلوم التي أشغلت الدارسين واهتماماتهم. ولعل أول إشارة إلى الوقف والابتداء يتصل بكلمة أمير المؤمنين(عليه السلام) الذي نقل عنه غير واحدٍ قوله: (الترتيل: تجويد الحروف ومعرفة الوقوف). ويفهم من قوله(عليه السلام) أنّ نصف الترتيل رعاية الوقف، وهذا يبرهن أثره الكبير في فهم النص القرآني وترابطه وفواصله.

إنّ من أهم أقسام الوقف هو الوقف الاختياري الذي نعتمد فيه على ثقافة القارئ في أنْ يحسن الاختيار؛ بوصف هذا القِسم مختلف عن غيره فهو يكون بإرادة القارئ واختياره؛ لذلك فإنّ أكثر ما يحاسب القارئ عليه يكون في هذا القسم من الوقف، وهذا يستلزم المعرفة ولو على نحوٍ إجمالي ببعض العلوم كالنحو والتفسير والمعاني والفقه، لمعرفة طبيعة العلاقة بين الكلمة وما تليها من الكلمات، أو الجملة وما يتصل بها من الجمل والمقاطع الأخرى، ولا يبعد الأمر عن معرفة لغة الاستعمال وطبيعة السياق وما يتصل به ليتكامل التماسك الاتساقي لهيئة البنية وانسجامها اللفظي والدلالي مع المقاصد المعينة.

ومن المناسب أنْ نعلم بأنّ العلامات والرموز القرآنية التي يقصد بها أدوات لإرشاد القارئ تختلف فيما بينها من جهة القوة وزيادة على ذلك فهي متباينة من طبعة إلى أخرى، لذلك ينبغي على القارئ أنْ يستأنس بها ولكن لا يعتمد عليها بشكل قطعي فهي تخضع لاعتبارات مختلفة ولاسيما فيما يتعلق باختلاف وجوه التفسير والإعراب. وبشكل عام فإنّ الوقف الاختياري يعبر عن ثقافة القارئ ووعيه؛ لذلك على القارئ أنّ يتعامل تعاملا موضوعيا في وقوفه على المواضع سواء أكانت مواضع علامات أو من دونها، وأن يحاول عدم الفصل بين الجمل والعبارات إلا عند الاضطرار أو في مواضع يحسن السكوت عليها.

وينبغي عدم التغافل عن خطورة صناعة بعض الوقوفات التي يتجرأ فيها القارئ على معاني الجمل ويحاول أن يوظف النص القرآني خدمة لرغباته التنغيمية أو الصوتية، فيعمل

على تداخل المعاني أو ضياعها أو تحريفها، باعتبار أنّ زيادة كلمة أو نقصانها عن موضعها الصحيح يغير دلالة النصّ وقد يعكسها إلى معانٍ يفهم منها تحريف القصد القرآني، أو أبعاده عن موضوعه الذي نزل به.

إنّ الخطاب القرآني يحتمل وجوها عميقة يُفسَر ظاهرها، وقد لا نحسن تأويلها إلا باتباع أهل التأويل وهم المخصوصون بقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾. وعلى هذا فإن اختيار الوقف رعاية للتأويل المصطنع قد يسيء إلى النص القرآني ويبعده عن موضوعه الذي أشار إليه الله تعالى، وبيّنه المعصوم(عليه السلام) باعتباره هو المعني بـ (الراسخون)، وعليه فإن رعاية مواضع الوقف ضرورة يحكمه العقل والمنطق زيادة على ما نصّ عليه المنقول عن أهل الاختصاص في هذا العلم.

وانك لعلى خلق عظيم

068

واحدة من أبرز الجوانب التي كشفها القرآن الكريم فيما يتعلق بشخصية النبي(ﷺ) هو البعد الأخلاقي، ولو تأمّلنا في هذا الجانب من شخصيته(ﷺ) نجد أنّ الأخلاق عنده(ﷺ) ليست في جانب دون آخر؛ بل كلّ ما يتعلق بشخصيته الكريمة كان ينبض بالأخلاق وحسن السيرة والسريرة حتى قال فيه ربُّ العزّة تعالى: (وإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم).

ولربما سائل يسأل عن علة التركيز على هذا البعد في شخصية النبي(ﷺ) مع علمنا أنّ سائر خصائصه تامة كاملة، فقد اختاره الله تعالى ليكون خير خلقه من الأولين والآخرين؛ بل جعله خاتم أنبيائه فاختزل دعواتهم في دعوته وعلومهم في علمه وسماحتهم وشجاعتهم وحكمتهم وعموم صفاتهم الكريمة في شخصية النبي(ﷺ) وزاده على ذلك كلّه بأنْ جعله شهيدًا عليهم.

فمن المناسب أنْ نعلم أنّ التركيز على البعد الأخلاقي في شخصيته الكريمة كان يتماشى مع الذوق العام لكينونة أفضل الخلق على وجه المعمورة، باعتبار أن الله تعالى خلق الإنسان وجعله ضمن أبعاد كثيرة، وهذه الأبعاد في حياة كل الناس تتحلى بالذوق الاخلاقي وتتعرى دونه، فكان لزاما على المختار أن يكون مثلا أعلى في تجسيد هذا البعد وفي كل الاتجاهات والأحوال التي قد يمر بها فرد من المجتمع، سواء في السلم أو في الحرب او في العمل او في أوقات راحته وفراغه؛ بل في أموره التعبدية أيضا، فنحتاج إلى الأخلاق في الصلاة والزكاة والحج والصوم وسائر الطاعات، ونحتاج إلى الأخلاق في الإصلاح ومكافحة الفساد ومواجهة الأعداء وفنُ التعامل مع الآخر سواءً المعاند أم الموافق.

إنّ التأكيد على الجانب الاخلاقي في شخصيته(ﷺ) هي دعوة مستبطنة للاقتداء به، وزيادة على ذلك فقد صرَّح القرآن باتباعه والسير على هديه، إذ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّـهِ أُسْوَةٌ حَسَنَة﴾، فالجميع من المسلمين والمؤمنين مدعون إلى الاقتداء بالنبي(ﷺ)، والعمل في طاعته، وأن نكون على قدر المسؤولية في الدعوة إلى نبوته، والتمسك بمبادئه التي جاهد من أجلها فبلغ رتب الكمال؛ ليكون رحمة للعالمين فقال فيه الله تعالى: ﴿وَ ما ارْسَلْناكَ الاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمين﴾، وهذه الرحمة الإلهية ليست خاصة بقوم دون آخر، وإن كان

توجه الناس إلى هذه الرحمة نسبيا؛ بل إن بعضهم ما زال يسيء إليه من حيث يعلم ومن حيث لا يعلم، ويكفيه فخرا معرفة ربه به ووصفه البليغ له بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيم﴾.

100
مقالة في زمن الكورونا

المقالات الاجتماعية

الأحكام في زمن الكورونا

069

أحكام الشرائع السماوية تتميّز عن الأحكام الوضعية بوصفها صادرة عن الله تعالى، فلا ينتابها الشك والتقصير، وتناسب مختلف الظروف والأوضاع، ففي كلّ مسألة هناك رؤية شرعية وحكم بسطه الله تعالى لمصلحة العباد والبلاد. وقد كشفت التقارير العلمية والنفسية بالتجربة أنّ أحكام الله تعالى إنّما جاءت منسجمة لحاجة الفرد والمجتمع. وبغض النظر عن الامتداد في العصور والأزمان فإنها عالجت وتعالج ما يعترض الإنسان من محنٍ وشدائد، وتسهم في الوصول إلى غايات سليمة وأمينة، ولا تغادر التوصيات الشرعية المستندة إلى الآيات الكريمة والروايات الشريفة.

ومع كلّ ما سبق فقد فشل كثير من الناس في تجربتهم مع أحكام الله تعالى في زمن الفتنة وانتشار الوباء؛ بل بلغ الحال ببعضهم أن يعمد إلى تغيير سُننٍ وآدابٍ قد وجبت، ليس لأنّه مضطر لذلك وإنما تسويفٌ وتمادٍ أو تهاونٌ مع القيم والثوابت، وهذه من الموبقات التي ينبغي على الناس الالتفات إليها فضلا عن المؤمنين الذين كانوا موضع خطاب الله تعالى في مواضع التكليف والتشريع.

ومن المناسب أنْ استشهد بحالة أثارت استغرابي وأذهلتني، حيث رنَّ هاتفي وإذا بأحد المتصلين وقد بدت عليه الرهبة والحيرة، وكان كثير التردد من السؤال فلما اطمئنَّ صارحني بأمر عظيم؛ إذ قال: ماتت أمي قبل مدَّة واتفقنا مع بعض الأخوة في المشفى على تسجيل إصابتها في الأوراق الرسمية بفايروس الكورونا، وقد قصدنا بذلك التخلص من المعزيين باعتبارنا في منطقة شعبية، ثم ذكر أنّه في تلك الأيام كانوا يدفنون من يموت بالفايروس برعاية خاصة دون مشاركة أهل الفقيد، وعند التثبت من الأمر تبيَّن أنّه لم يكن هناك من تغسل النساء فاضطر الدفان إلى تعويض الغسل بالتيمم، ثم دفنت (الوالدة)، وحينها أدركنا أنَّه قد ارتكبنا الخطأ، وبعد مشاورات بين الأخوة اتفقوا على السؤال عن الأحكام، فكانت الإجابة مثيرة، باعتبار أنَّ هناك ثوابت في الإسلام ومنها عند الموت يجب الغسل والتحنيط والتكفين والصلاة على الميت وغير ذلك. والظاهر أنَّ السائل كان يحاول بسؤاله أن يحصل على إجابة تساعده في تمرير هذا الخطأ، فتفاجئ بأنّه ينبغي عليكم أن تبادروا إلى فتح القبر

ونبشـها، ثـم إعـادة غسـلها وتحنيطهـا وتكفينهـا والصـلاة عليهـا ثـم تجهيـز دفنهـا، علمـا أنَّ هـذا الأمـر يـدار بعنايـة ورعايـة خاصـة مـن قبـل ثلـة مؤمنـة مـن أبنـاء الحشـد الشـعبي في مقـبرة وادي السـلام، إلا أنّ الأمـر كان مـع موتـى النسـاء مختلـف، إلى أن تبرعـت بعـض المجاهـدات إلى تبنِّـي ذلـك، أمـا مـا سـبق فقـد كان التيمـم بـدل الغسـل.

الأمـر الـذي ينبغـي أن نلتفـت إليـه أن أحـكام الإسـلام رحمـة مهـداة مـن اللـه تعـالى، وعلينـا جميعـا أنْ نبـادر إلى الالتـزام بهـا وعـدم التهـرُّب منهـا، أو التثاقـل عـن أدائهـا، فحينمـا تكـون الوقايـة واجبـة رعايـة لحفـظ النفـوس وعـدم انتشـار الفايـروس، فهـذا لا يعفينـا مـن احـترام الواجبـات أو التخـلي عنهـا لأسـباب مخجلـة وغـير منطقيـة؛ لأنّـه في المقابـل نتحمـل إثمًـا كبـيرًا، فمـا ذنـب المـرأة رحمهـا اللـه تعـالى ليكشـف قبرهـا وينبـش مـرة أخـرى، ثـمَّ أيـن هـي دور الأجهـزة الرقابيـة والحكوميـة لمنـع هكـذا تجـاوزات في تسـجيل المـرضى والموتـى في سـجلات المصابـين بالفايـروس لأسـباب عبثيـة ماليـة أو تهرُّبًـا مـن إقامـة العـزاء واسـتقبال المعزيـن! وإن كانـت هـذه الأخـيرة غـير واجبـة، فلسـتَ مرغمـا عـلى إقامـة العـزاء واسـتقبال المعزيـن ولكـن ينبغـي عليـك الالتـزام بأحـكام الأمـوات، وينبغـي عـلى الأجهـزة الرقابيـة متابعـة الأمـور بدقـة ومحاسـبة مـن يتسـبب بتزويـر السـجلات، وإطـلاق أحـكام خاصـة عـلى المتجاوزيـن، علمًـا أنَّ الجميـع بعـين اللـه تعـالى وهـو أحكـم الحاكمـين.

ألو سيدنه
070

من الواضح ما لرجل الدين من أهمية ومكانة كبيرة في المجتمع وأثر كبير في خدمة الجميع، ولطالما عنى الله تعالى باختيار من يتكلَّفون بهذه الوظيفة باعتبار

إنَّ هذه الوظيفة تنماز عن كثير من الوظائف بما يستلزمها من الصدق والوفاء واليقين وحمل الأمانة زيادة على ذلك ما يتعلّق بحسن السّيرة والنسب والأخلاق وقوة الشخصية وغيرها من المسائل التي يمكن أنْ تكتمل معها شخصية رجل الدين أو المبلِّغ عن الله تعالى. وقد ورد عندنا في الأثر أنَّ المبلِّغ عن الله يؤدي وظيفة الأنبياء والأولياء الذين قال فيهم الله تعالى: ﴿اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾.

ومما لا نختلف عليه أنّ هناك حاجة كبيرة إلى رجل الدين في المجتمع، ففي كل ما يتعلق بالإنسان هناك حاجة له، فمثلًا في أحكام الولادة والزواج والموت وتفاصيل أعمال كثيرة وبيان الأحكام الشرعية في مختلف مسائل الحياة نرجع إلى رجل الدين ونسأله، ولا يتكلف في الإجابة؛ بل يعتقد أنّه يؤدي خدمة مفروضة عليه وإذا تعذر عليه لربما أشغل نفسه بالبحث والسؤال؛ ليصل مع السائل إلى إجابة ومعالجة لمشكلته.

ولم يقتصر عمل رجل الدين على ذلك؛ بل هو الباب المفتوح لمن يرغب في ساعات الشدة والعوز، فقد أثبتت التجربة أنّ رجل الدين الحقيقي يحمل هم المجتمع بأكمله، ويسعى على الدوام لإصلاح الفرد والمجتمع، ولا يخفى أنّ رجل الدين قد حمَّل نفسه معاناة الآخرين، وجعل من حاجات المجتمع حاجته، وبادر إلى الإسعاف في أحلك الظروف.

وقد لاحظنا ذلك بوضوح من خلال تجربتنا مع رجل الدين الذي نذر نفسه لخدمة الدين والإنسان والمجتمع، ولم يتأخر طرفة عين عند الحاجة إليه؛ لأنّه يشعر بالمسؤولية الشرعية تجاه الآخرين، وهذا ما وجدناه واقعاً من المرجعية الدينية التي واكبت الأحداث لحظة بلحظة ولم تقصِّر طرفة عين مع الجميع باختلاف أجناسهم وقومياتهم وألوانهم ومذاهبهم. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد؛ بل في تجربتنا مع أعداء الإنسانية داعش لم ينتصر لنا ناصرٌ؛ بل تخلى عنا الجميع إلا المؤمنون، ومن ثَمَّ بادرت الجمهورية الإسلامية إلى نصرتنا بعد أنْ تخلّت عنَّا أمريكا و(العمق العربي) والدول الأخرى وهمَّت الجمهورية الإسلامية بالوقوف معنا صفاً واحداً ولم

تمّيز بين أبناء العراق؛ بل حتى الإقليم الذين يشهدون وعلى أعلى المستويات أنَّه لولا إيران لما كان هناك قدرة على مواجهة داعش وردِّها، ولو تأمّلنا الأمر لوجدنا أنَّ سبب ذلك القيادة الدينية التي تشعر بالمسؤولية أمام الله تعالى وتعالج المسائل على وفق رضا الله تعالى ولا تنتظر كلمة الشكر من أحد.

وعلى الرغم من كلّ ما تقدم فإنَّ رجل الدين عرضة للتسقيط والتشويه، فأينما نجد رجل الدين يبادر كثير من أنصاف الرجال إلى تسقيطه دون الآخرين. فمثلًا اليوم تتعالى الأصوات بالحديث عن رجل الدين الفاسد في البرلمان في حين أن هناك شبهات على كثير منهم وقد يكون رجل الدين هو الأفضل في هذه المؤسسة قياسا بالآخرين، وإذا توجهنا إلى الشارع والمجتمع فنجد أنّ كثيرين يجعلون من مادتهم الإعلامية تسقيط رجال الدين وفي عموم المواقع، والمشكلة الأكبر أن الناس يذهبون إلى تأييده ونصرته، وهذا هو النجاح الذي كان يتأمله أعداء الدين، ولطالما سعى الظالم إلى تحقيق هذا المطلب؛ لأنه يعلم أن رجل الدين له بالمرصاد ولا يمكن أنْ ينجح إلا بتسقيطه، فيلجأ أحيانا إلى صناعة بعض رجال الدين الذين يتزيُّون بلباس الدين ويفعلون أفعال الغافلين فيشوهون مكانة رجال الدين وبالتالي يعملون على تسقيطه، فتتحقق بذلك أهداف أعداء الدين. ومثال ذلك (محمد عبد الوهاب) الذي كان بحق مثالاً واقعيًّا لرجل الدين الفاسد فأقام مؤسسة فكرية فاسدة وأثمرت أفكاره عن صناعة داعش والقاعدة، وبذلك سقطت قيمة أكثر رجال الدين في عيون المجتمع، وأصبح الإسلام منتجا في نظر بعض الناس للفتنة والخراب فعزف الناس عن الإسلام بعد أنْ تعرّفوا على بعض رجاله.

الأمر المهم في هذه المسألة هو متعلق برجل الدين وأثره وفكره، ومن أنتجه ووجهه، فمن باع آخرته بدنيا معاوية ليس له إلا هذه الدنيا الفانية، ومن كان همُّه الإصلاح وبناء الإنسان والمجتمع فهذا الذي ينبغي أنْ يلتفَّ حوله الجميع ويعملوا تحت رايته؛ لأنّ رايته هي راية الإسلام وراية الإسلام هي راية رسول الله(صلى الله عليه وآله) وهي راية الله تعالى، وعلى الجميع أن يدرك أن مشروع إسقاط رجال الدين الحقيقيِّين هو مشروع استعماري تمارسه القوى الشريرة، وتعمل عليه بمختلف الوسائل، وقد أوعزت إلى جيوش السفارة وأبناء المنظمات المرتبطة بهم إلى العمل على خلق فجوة بين الدين ورجاله والمجتمع؛ لأن هذا الأمر يسِّهل عليهم كثيرا من الصعاب ويمكِّنهم من تمزيق وحدة الشعوب وإفراغها من عقائدها وأفكارها الإسلامية الصحيحة؛ لتكون أسيرة لأفكار الغرب وسياساته التي تناهض الإسلام والمسلمين.

بين الديك والدجاجة

071

من نعم الله تعالى على الناس أجمعين أن يعرض عليهم أمثلة من واقعهم فيتعلمون منها أمور دينهم ودنياهم، ومن ذلك الغراب الذي أرسله سبحانه وتعالى؛ ليتعلم منه أبناء آدم(عليه السلام) كيفية مواراة الأموات، ولم يكن هذا المثال على سبيل الحصر؛ بل كلُ ما في الكون آية من آيات الله تعالى؛ إذ قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾. فالآيات إذن تحيط بنا وفي داخل كل انسان آيات كثيرة، نتعلم منها ونستهدي بها من دون أن نعترض عليها مهما كانت صغيرة أو ضعيفة أو غير ذلك ففي الضعيف عبرة لضعفه والصغير حكمة لصغره وفي الكبير عظة لعظمته.

ومن بين الآيات والدروس الديك والدجاج، فالديك مثلا على الرغم من أناقته ورونقه وذكورته الظاهرة إلا أن كثيرا من الناس لا يرغبون به ولا يحبونه، بل يعترضون عليه بمجرد سماع صياحه خاصة في أول الصباح، لا لشيء سوى أنّ الديك يوقظهم من سباتهم ويقطع أحلامهم، فالمعلوم أنّ الديك من الحيوانات التي لها حضور مهم عند ساعة الفجر، فلا يُتَصوَّر إلا أنْ يكون حاضراً عند بزوغ الفجر الصادق، ويقوم بدعوة النّاس أيضاً والكثير فسَّر دعوة الديك بالدعوة إلى صلاة الفجر، وكان أحد الاصدقاء يقول أنا لسنوات كثيرة كنت أقوم لصلاة الصبح على صوت الديك الثائر أوّل الصباح، وهناك قطعاً دلالات كثيرة تتزامن مع صوت الديك ووقت صياحه؛ إذ الاستيقاظ أوّل الصباح لأداء فريضة الصلاة إيذانٌ بالفوز والفلاح ودافعاً للنجاح فيما يستقبل من النهار، ومن تخلف عن الاستجابة وتنكَّر لصوت الديك ونام فقد خسر الصلاة في وقتها وبدأ يومه بالفشل، وشيء جميل أنْ يكون النجاح حليفك في أول خطواتك، فمن كان منْ أهل الصلاة والدعاء أحب الديك وهم قلّة، بينما الأكثرية من الناس لا يرغبون صوته فهو مزعج بالنّسبة إليهم، ولن تجد هذه الصفة في الدجاجة أبداً فهي لا يُسمع صوتها إلا عندما تضع بيضها لتعلن عنها فتخسرها في الغالب.

نعم هكذا النّاس فانْ كنت ممن يوقظ النّاس من سباتهم وغفلتهم ويحرر أفكارهم بعد انْ غمست في تيه الضلال وغفلة السبات، فأنت غير مرغوب بك؛ لأنّ النّاس لا تحبُّ من

يوقظها من سباتها العميق لتسمع صوت الأذان يصدح في عالم الصباح ويدع إلى الكفاح. نعم هكذا تعامل الناس مع المصلحين الذين طرقوا أبواب القلوب لمعرفة الحق وتميزه عن الباطل، واليوم نشهد انهزاماً في نفوس أكثر النّاس فليس لهم الاستعداد للتعامل الموضوعي مع دعوة الإصلاح التي كانت وما تزال دعوة المرجعية الرشيدة؛ بل زاد النّاس على ذلك فأصموا آذانهم واستغشوا ثيابهم فكأنهم لا يسمعون، وأصبح الكثير مصداقاً لقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ...﴾.

إنَّ دعوة الإصلاح لا تقلُّ أهمية عن الصوت الصادح أوَّل الصباح من أجل النهوض وتغيير الواقع المرير، وعلى الجميع أنْ يتحمل جزءًا من المسؤولية؛ فالجميع شركاء في كشف الفاسدين ومحاربتهم، وعلى الجماهير أنْ تنتفض لنصرة الحق والوقوف إلى جانبه، فالوصول إلى النجاح يستلزم القيام أول الصباح وإلا سوف تشرق أشعة الشمس لتعلن أنك من الفاشلين الذين فاتهم إصلاح أنفسهم فليس لهم إصلاح الآخرين.

البلاء داء أم دواء

072

تتغيّر أحوال الناس غالبًا بحسب المعطيات التي تترادف، فدوام الحال من المحال، وليس من الممكن أن يكون التغيير نحو الأفضل دائمًا، فكثير منا قد يقع في فخ الأموال والقوة والسلطة والجاه والصحة فينغرُّ بنفسه حتى يقع ضحية هواه، فيفوته الغنى الذي إياه طلب ويدركه الفقر الذي منه هرب، ولا أعني تفسير الغنى والفقر بالماديات بقدر ما يهمنا البعد المعنوي الذي لا يلتفت إليه عامّة الناس، وقد يلزمه البلاء للرجوع عن غيِّه وتغيير حاله نحو الأفضل بمعرفة حاجته إلى رحمة الله تعالى ورعايته.

إنَّ لوجود البلاء والمصائب في حياة الانسان أثراً كبيراً في رقيِّه وتقدُّمه العلمي والأخلاقي؛ ولذا فإنّ الشرور العارضة خاصة والطارئة قد تكون من مصلحة الإنسان، فمثلا نحتاج أحيانا إلى إجراء عملية جراحية معينة من أجل العلاج ونسعى إليها وندفع الأموال للأطباء وقد نطلب التعجيل بها؛ لأن فيها سلامتنا، فنحاول أن ندفع البلاء الكبير الذي يهددنا ببلاء صغير كأن تكون بعملية جراحية أو كورس علاج أو غير ذلك من أنواع الابتلاء، ولا يُعدُّ ما نقدِّمه من المال أو الأوجاع بلاء؛ لأنّ فيه إنقاذ أرواحنا، فندفع الضرر الكبير بالصغير وهذا منطقي في محاولات العلاج المختلفة.

والناظر إلى البلايا يجد أنّها من الوسائل التي قد تحفِّز الإنسان على العطاء وكشف الطاقات العلمية، فكلّ ما كان من التقدم في المستويات المختلفة الطبية والهندسية والفنية والبناء والأعمار إنّما كان بدافع الحاجة، والحاجة دفعتنا إلى التفكير فأبدعنا وبذلك قالوا: الحاجة أم الاختراع، ومن جانب آخر فإن المصائب تمثل جرس إنذار ولاسيما في المجالات الطبية، واليوم نسمع بعد جائحة كورونا أنَّ العالم مشغول بأكثر من مئة وخمسين نوعا من اللقاح من أجل مقاومة الجائحة، وهذا بحدِّ ذاته مؤشر إيجابي على التغيير نحو التقدم الطبي والعلمي، ومما زاد اهتمام الناس ومخاوفهم أنّ بعض الأمراض قد لا نشعر بها إلى أن تتمكن من أصحابها كالسرطان والعياذ بالله وكذلك كورونا مما دفعنا إلى الاحتراز منها بالوسائل التي يمكن أنْ تدفعها عنّا.

والـذي يهمنـا أنْ نقـف عليـه هـو أنَّ الحاجـة والحرمـان دليـل النقـص، فبعـد أن يصـاب الإنسـان بـداء العظمـة والتكـبر لعلـه يحتـاج إلى الشـعور بالحرمـان والحاجـة لرجوعـه إلى الصفـات الحميدة التـي فطـر اللـه النـاس عليهـا وأبعدهـم عنهـا الغـرور والطغيـان، وحاجـة الإنسـان إلى أخيـه أو إلى غـيره يجعلـه متواضعـاً ممّـا يعـزز البعـد الأخلاقـي الـذي طالمـا أكّـد الإسـلام عـلى ضرورة الالتـزام بـه حتـى جـاء في الأثـر الطيـب: إنمـا الأمـم بأخلاقهـا، والأخـلاق الحسـنة كفيلـة برجـوع العبـد إلى ربـه بعـد أن كان متماديًـا في الضـلال والفسـاد. ولا يخفـى أيضـا عـلى كل ذي لُـبٍّ أن الأمـور إذا كانـت مهيـأة كلهـا للإنسـان لطغـى كمـا قـال تعـالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَـانَ لَيَطْغَـى * أَن رَّآهُ اسْـتَغْنَى﴾ نعـم هـذه هـي الحقيقـة التـي لابـد مـنْ أنْ نعـترف بهـا فلـولا المـوت والفقـر والمـرض لمـا طأطـأ الإنسـان رأسـه أبـدا. وبذلـك فـإنّ البـلاء طريـق السـعادة والتكامـل الأخلاقـي والروحـي وسـبيل الهدايـة والصـلاح ويسـتلزم شـكر اللـه عـلى كل بليـة؛ لأنّهـا منهـج السـعادة ولـو بعـد حـين.

التحية والسلام في زمن الكورونا

073

واحدة من أهم الشعائر الإسلامية إلقاء التحية والمبادرة بالسلام على من تلقاه، ولطالما ركز الإسلام عليها؛ بل جعلها من المستحبات المؤكدة التي يثاب عليها المبادر ولا يحرم من ذلك المتلقي الذي يحسن ردَّها. والسلام كما لا يخفى من أسماء الله تعالى، وهو صنو الإسلام لفظا ومعنى، ومازال القرآن يؤكد على السلام والمبادرة إليها. ففي دلالاتها المعتبرة إشارة واضحة إلى تجريم وتحريم سائر أشكال الأذى أو الاعتداء على الآخر، وبذلك يؤكد الإسلام على أنه دين سلام وأمان، وعلى الرغم من كلّ ذلك تبقى التحية والسلام في الإسلام شعيرة مستحبة، ويستحب معها المصافحة والمعانقة واستلام اليد باليد؛ بل يستحب عدم سحب يدك من يدي أخيك إلا أنْ يبادر هو إلى ذلك وهي من السنن النبوية الشريفة المباركة، ومع كل ما سبق من الذكر والبيان والأثر الطيب. إلا أنها حينما تقف أمام الواجب فلا قيمة لأثرها؛ بل ينبغي عدم القياس بينهما فلا يقاس الواجب بالمستحب. فلما كانت الوقاية في زمن الكورونا واجبة على كل ذي بصيرة ولاسيما في المجتمعات الموبوءة، كان لزاما أنْ يلتفت المؤمن قبل غيره إلى أحكام وتعاليم الاسلام، ومن ذلك ترك المصافحة والمعانقة وعدم مدِّ اليد بوصفها من وسائل نقل الوباء، وقد ثقّف الإسلام بأحكامه وتشريعاته التي تناسب سعادة الإنسان وسلامته في الدنيا والآخرة وتضمّن حقوق الفرد والمجتمع على ذلك؛ وعلى هذا فقد صدرت الفتاوى المباركة والمسؤولة من المرجعيات الإسلامية التي تنطلق من وحي الإسلام ومبانيه وعمدت إلى الكشف عن تعليماتٍ هي الأخرى تعمل على الحدِّ من انتشار الوباء، وزادت على ذلك بفتاوى أكثر صرامة فأشارت إلى تجريم من يتقصّد نقل الوباء؛ بل قد يتحمل الديَّة من يتسبب في موت أخيه عن عمدٍ في نقل الوباء إليه وإلا فهو مذنب وسبب في هلاك العباد والبلاد، لذلك يستلزم الإنسان الواعي والمسلم المؤمن قبل غيره أنْ يراعي حرمة ذلك ويكون سبباً في الحفاظ على عرى الإسلام ومبانيه، ويعمل على حفظ النفوس المحترمة التي أكدت الشرائع السماوية على حمايتها وحرمتها وكرامتها، ويمكن تدارك فضائل السلام وآثاره الطيبة والمباركة بالالتزام

بحـدوده وصورتـه المناسـبة لهـذا الوضـع والظـرف الاسـتثنائي، وتقييـده بمـا يحفـظ للمجتمـع صِلاتـه وللفـرد كرامتـه وللنفـوس سـلامتها.

بين القائد والمدير

074

كثيرة هي المصطلحات التي تتداول بين الناس لا على سبيل الاختصاص والدقة، وقد لا يفرق العوام بين هذا المصطلح أو ذاك فتتداخل الدلالات ولا يتميّز بعضها عن الآخر إلا عند الخواص الذين يبادرون إلى تفسير المصطلحات على حسب المفاهيم التي تتضمنها وإن تقاربت. فليس كل تقارب بين المصطلحات يمكن أنْ يفسر على سبيل الترادف أو التشابه، ومن أبرز هذه المصطلحات التي تشابهت على الناس مصطلحا القيادة والإدارة. فأكثر الناس يتناولهما على أنّهما لفظان لمفهوم واحد؛ بل يظنّ النّاس أنّ المدير هو القائد والعكس بالعكس.

إنَّ الكشف عن حقيقة المصطلحات وبيان الاختلاف بينهما ينتج وعيًا ثقافيًّا يمكنه رسم معالم الإدارة بروحية القائد، ويعالج مشكلة القيادة بروحية المدير. فالمدير يسعى إلى العمل بروح المركزية المقيتة القائمة على مفاهيم الرئيس والمرؤوس، وبذلك يظن أنَّ النجاة في إخفاء كثير من لوازم العمل عن فريقه الذي يعيش التيه والبعد عن الواقع، بعد أن أضلهم المدير الهارب من فراستهم إلى اشغالهم بما يمكن أن يبعدهم عن النضوج والابتكار فيفوتهم الوصول والابداع، وأما القائد فهو الذي يسعى أولا إلى تقسيم النجاح على الفريق، والتصدي لكل عمل بروح الفريق الواحد بعد أنْ يحدد وجهته ويكشف للجميع غايته؛ ليساعدوه في الوصول إلى أعلى درجات الطموح.

إنَّ العمل مع القائد يشعرك بالمتعة؛ لأنّه يشعرك بالنجاح ويتحمل عنك الفشل، وأما المدير فيسعى دومًا إلى عدم تحمل المسؤولية؛ لذلك تجده يمارس العمل على وفق لوائح منتظمة يرغب بفرضها على الفريق ولا يستشيرهم في تشكيل الخطوات أو تأليفها، بل يحاول فرضها بحسب رؤيته الشخصية، فلا يتحمل تفوق غيره عليه، ولا يمكنه تصور المشاركة بين أعضاء الفريق ليكتمل النجاح، فتجد القرارات الفردية غالبة عند المدراء، وأمَّا الاستشارات فنادرة؛ لأنّه يتصور أنَّ النجاح في التسلط الإداري، أو الإفراط في الحزم هروبا من النّقص الذي يعيشه فيفوته النجاح الذي يطلبه.

ومن المناسب أنْ نعلم أنّ القائد يتمتع بقدرات تؤهله لكشف الفروق الفردية بين أعضاء

الفريـق، فيمكنـه أنْ يفيـد مـن الطاقـات المختلفـة في الجوانـب المتعـددة، ويتغلـب عـادة عـلى الصعـاب في الأوضـاع المختلفـة؛ لأنّـه يعمـل بثقافـة التفكـير الإبداعـي، ويتصـف بذلـك بـالإدارة الحكيمـة، وبذلـك يمكـن القـول أنْ كل قائـد يمكـن أنْ يكـون مديـراً، وليـس كل مديـر يصلـح أنْ يكـون قائـداً، وهـذا يفـسّر لنـا الأبعـاد التنمويـة في القـرآن الكريـم، إذ أكَّـد القـرآن الكريـم عـلى أنَّ اللـه تعـالى كان يختـار قـادة لعبـاده في كل مسـؤولية، فمسـيرة الأنبيـاء والأوصيـاء كشـفت قدراتهـم القياديـة في الإدارة الحكيمـة البعيـدة عـن الضيـق الفكـري والمنفتحـة لاسـتقبال صنـوف الابتـلاءات والأوضـاع المختلفـة، فكانـت حاجـات النّـاس إليهـم واضحـة وغناهـم عـن النـاس ثابـتٌ إلا أنّهـم آمنـوا بـاشراك النّـاس في المشـورة والعمـل إيمانـا منهـم بـضرورة العمـل بـروح الفريـق الواحـد، فنجحـوا في التخطيـط والتنظيـم والتوجيـه، منطلقـين بالحـزم واللـين في تطويـر القابليـات الفرديـة والجماعيـة حتـى أيقـن النّـاس حاجتهـم إليهـم، وضرورتهـم في كل نجـاح، وهـذه الـضرورة تعـزز الثقافـة القائمـة عـلى الفـرق بـين منهـج المديـر ومنهـج القائـد في التدبـير.

تموت الحرة في وطني أسيرة

075

واحدة من المقدسات الإسلامية الاعتبارية هي المرأة التي ركز الإسلام عليها كثيرًا، فخصّها بالآيات والروايات، وأمر المسلمين باحترامها وحفظ حقوقها ورعايتها، وجعل لها سورة قرآنية باسمها. وهي وصية الأنبياء والأولياء والصالحين، بغض النظر عن كونها أم أو زوجة أو أخت، فهي مصانة لكونها امرأة ومن ثم تترادف عليها باقي الاستحقاقات بحسب صفتها، وبذلك يكون الإسلام أكثر الأديان فضلًا عن الشرائع الموضوعة رعاية لحقوق المرأة وعاملاً على اسعادها، وجعلها عزيزة كجوهرة لا ذليلة مبتذلة.

ولا يخفى أيضاً السعي الإسلامي في جعل المرأة بعيدةً عن المواضع التي يمكن أنْ تخدش في عفتها وحيائها حفاظا على هيبتها وكرامتها، بعيدة عن مواطن الشبهة والفساد التي دفعها الناس إليها بجهلهم. حيث أباحوا لها الغناء على المنصات والاستعراض بصوتها في حين عمد الإسلام إلى منعها حتى من رفع صوت الأذان حفاظا على عفتها ورقتها، وشجعها الناس على التمثيل؛ لتكون سلعة رخيصة بين الذئاب تنهشها، بينما رفع الإسلام عنها وجوب حضور الجمعة والجماعة رعاية لوضعها، والناس ساقوا المرأة بعد أن أبعدوها عن الإسلام فأصبحت تتصوّر أنّها مقيّدة في الإسلام، فتحرّرت بالخروج إلى الرحلات والسفرات حتى من دون محرم يحرص عليها، بينما أسقط عنها الإسلام ركنا مهما وهو الحج، عند عدم وجود الأمان والمحرم والرفيق معها. والإسلام أمر المرأة بعدم إظهار صوت الخلخال في أرجلها لئلا يطمع فيها الناس، في حين نجد أنَّ كثيرًا من الرجال اليوم يخرجونها من بيتها كعروسة معطّرة يفوح منها الروائح والطيبُ وعليها إشارات تدل على حسنها وزينتها؛ لتكون بذلك ملعونة هي وزوجها وأخوها وأبوها بعد أن أصبحت فتنة بين الناظرين إليها.

نعم قالوا لها نريد أنْ نحررك من قيود الإسلام فساقوها إلى مرتع الشيطان، فأصبحت أسيرة هواها ذليلة مبتذلة تتقلبها نظرات الذئاب من كل جهة؛ لأنّها فضحت نفسها فليس لها أن تمنع عيون الناظرين إليها، في حين هي هدية السماء للرجل والهدية لا تُعطى ولا تباع ولا

تهدى؛ بل ينبغي الحفاظ عليها معزّزة مكرّمة بما أعزّها به الإسلام الذي لطالما حرص على هدايتها لكونها من أسرار الله تعالى التي وهبها للرجل الشريف.

إنَّ الغالب على الشعارات التي تحاول إغراء المرأة بإسقاطها في فخِّ الحرية وإبعادها عن شعائرها ودينها، أنّها تحمل صبغة الحقوق المزورة التي يمكن بها أنْ يضحكوا على سفهاء المسلمين والمسلمات. وقد نجحوا إلى حدٍّ ما في سلب عفة بعض النساء وإبعادهنَّ عن الخجل والحياء، وبلغ الأمر أن تتجاهر بعض النساء بمحاربة أحكام الإسلام ظنا منها أنها تحررت، وهي لا تعلم أنَّها في اليوم الذي ابتعدت عن الإسلام فقدت عزتها واعترفت بذلتها وأصبحت أسيرة شهوتها وغرورها، وبذلك أصبح بينها وبين الله ورضاه حجاب المنع؛ لتكون قرينة اليأس والضلال فتحرم التوفيق في الرجوع إلى الحق والهداية بإصرارها على الغيِّ والنفور، فتخسر بذلك عزّة دنياها وسعادة آخرتها.

ثقافتنا بين الوعي واللاوعي

076

لا يخفى أنَّ العمل الثقافي مسؤولية مشتركة، وعمل تكاملي بين سائر الجهات والأفراد، وكلٌّ يسعى بحسبه ورؤيته إلى غاية عبر وسيلة التثقيف والتعبئة، ومن المهم جدًا أنْ يلتفت الإنسان إلى مصادر ثقافته ومَعينها، وقد أكّدت الشريعة السمحاء بآيات كريمة وروايات شريفة على ضرورة الاهتمام بذلك؛ إذ قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾، وفسرت أكثر الروايات الطعام بالعلم ومصادر الثقافة، فكما أنّ الطعام مصدر الطاقة الكامنة واللازمة لمختلف الأنشطة التي نقوم بها، كذلك فإنّ كل ما يصدر من الإنسان إنّما يكون نتاج ثقافته ومعرفته.

ولما كانت مصادر الثقافة متنوعة ومختلفة، لَزِمَنا الاستعداد لمواجهتها، فمنها المسموعة ومنها المرئية ومنها غير ذلك أيضا، وقد تكون بعضها موجَّهة بشكل مباشر، وهذه على الرغم من قوتها إلا إنّها تكون مفضوحة ومكشوفة، فيقلُّ أثرها ويمكن الحذر منها، بل والتغلب عليها بالاستعداد للمواجهة معها. ومن أفضل طرائق الوقاية منها التوعية الفردية والمجتمعية للوقوف بوجهها والردِّ عليها. أما الثقافة التي قد تكون أكثر أثرًا وفتكًا فهي التي تدخل إلينا عن طريق اللاوعي. ومسألة الثقافة المكتسبة بهذه الطريقة ينبغي الحذر منها، فكما أن التغذية الراجعة من خلال فضائل الأعمال تعمل على بناء الذات ولاسيَّما في الوسط المؤثر كالأفعال التي نتعلمها في بيوتنا من دون قصدية التوجيه؛ بل بأثر اللاوعي كتعلم الصلاة والصوم والصدقة ممن هم أكبر منا في وسطنا الإيماني، كذلك بعض الأفعال التي قد تكون مقصودة وتصل إلى غاياتها من دون أنْ نشعر بها، فمثلًا شاشات العرض السيء عبر التلفاز والمواقع المتنوعة من وسائل التواصل الاجتماعي أو الصحف الموبوءة التي تحاول مرة أنْ تسخر من المقدسات وأخرى من الرموز؛ لأنّها عاجزة عن محاربة العلن فتلجأ إلى وسائل السخرية والتهكم؛ لأنّها من خلال اللاوعي قد تعمل على توجيه النفوس وميلها.

ومن الجدير بالذكر أنّ قوى الشرِّ تعمل بصمت وتتقصد الإساءة إلى الثوابت؛ لتعمل على زعزعة الثقة أو التشكيك بها أو محاولة ذلك، وفي المقابل تنتشر عشرات؛ بل مئات

المنظمات التي تتزين بعناوين براقة تنادي بحقوق الإنسان مرة وبالحرية والمساواة مرة أخرى، وتستغل الطاقات الشبابية بالانضمام إليها ثم تعمل على ممارسة التثقيف المقصود بالتوعية المستمرة والموجه بشكل ظاهر أو عن طريق اللاوعي حتى أيقن أكثر المنضمين إليها أنّ هناك صورة ناصعة للحرية والمساواة عند الغرب. فغدا كثير من أبنائنا يقلدهم وينادي بصوتهم، بل أصبح بعض منهم بوقًا لإعلامهم المضلِّ خاصة في ظلّ هذه القدرات الضعيفة والخجولة التي تظهرها المؤسسات الرقابية الحكومية التي قد تكون هي الأخرى قد تم غزوها في عقر دارها.

إنَّ المسؤولية الشرعية والوطنية تفرض علينا دوام المراقبة ومصاحبة الأبناء ومعرفة توجهاتهم ومصادر معلوماتهم وثقافتهم والتقرُّب منهم ومحاولة توجيههم بما يخدم الواقع الإسلامي الصحيح ومصلحة الوطن، وينبغي أنْ نثقف أبناءنا؛ لتكون لهم القدرة على التمييز بين الأعداء وبين الأصدقاء، وبين محور المقاومة ومحور الشر القابع على مقدرات الدول المغلوبة على أمرها، ويحاول النيل من سيادتها، واستغلال أبنائها وثرواتها.

أمَّا عن طبيعة التصدِّي لهذه المسؤولية فهي ليست متعسِّرة كما يظنّ بعضنا، فيتهرب منها ويترك حبلها على غاربها، فتكون النتائج وخيمة ومشينة، وتخرج بنتائج كارثية على مستوى الضياع والتميع، والتجاهر بالفسق والفجور، وضياع الحقوق والتعدي على حدود الله ورسوله(صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين(عليهم السلام)، والمقدسات والرموز؛ ولتسمع بعضهم ينهق بصوته ويعترض على المدافعين عن الرموز بحجة تركهم محاربة الفاسدين أو السراق للمال العام، ليجعل من ذلك قياسًا باطلًا ومضلًا. نعم إنَّ من الضروري محاربة الفاسد بغض النظر عن جنسه وهويته ومعتقده وقوميته. ولكن من السخرية أنْ نقارن بين ذلك وبين ترك الدفاع عن المقدسات والرموز، ولهذا فالحذر الحذر من التغذية الثقافية ومصادرها، وعلى الجميع أنْ يدرك خطورة الوضع والظرف، ويكون العمل بشكل تكاملي وعلى المستوى والمؤسساتي والمجتمعي من أجل بلوغ غاية الإصلاح، ودرء الفتن، ومحاربة الشر والانتصار عليه.

حمى الألقاب

077

واحدة من مفاخر الناس فيما بينهم الألقاب التي يشتهرون بها، وهي بحسب النسب والمهن والأصول والحصول وغيرها، مما يمكن أنْ يصّح الانتساب إليها، وعادة يفخر أصحابها بها أو يعرفون بها دون غيرهم. فالأصل أنْ لا يزاحمهم في حقّهم من يفتقد ماهية اللقب، ولا يخفى الدخيل المفتضح الذي تسمى بما هو ليس له، ومن الألقاب التي يسهل مصادرتها: (الحاجّ، الملا، الشيخ، الأستاذ، السماحة، الدكتور، الدولي...). وفي حقيقة الأمر أنّ هذه المسميات وإن تنوعت واختلفت مصاديقها فإننا نجد من يحاول جمعها في شخصه وإنْ كان بعيدًا عنها؛ والمشكلة أنّ الناس يساعدون ويشجعون على هذا النوع من الفساد، فكما هو معلوم أنّ منْ يتّصف بشيء ليس فيه فقد أفسد وهذا غالب على بعض الناس مع الأسف.

إنَّ المجتمع يتحمل جزءًا من المسؤولية في الدفع باتجاه هذا النوع من الفساد. فمثلاً عموم الأغنياء وأصحاب النفوذ يعرفون باسم: (حجّي)، في حين أنَّ هذا اللفظ انحصرت دلالته بمن تشرّف بحج بيت الله الحرام، ومصادرته بجعله في غيرهم إنّما هو تجاوز سافر على المفاهيم، وإسقاط لهيبة اللفظة، ومصادرة لمكانتها الاعتبارية. وهكذا في كثيرٍ من الألقاب والمسميات التي سُرقت في وضح النهار من قبل المتسلقين في مختلف الأوساط العلمية والفنية والاجتماعية.

ومن الجدير بالذكر أنَّ الوسط القرآني هو الآخر أصيب بحمّى الألقاب. فاليوم نشهد في سوق ألقاب القرآنيين مختلف الأوصاف وأبرزها: (الأستاذ، والقدير، والدولي)، والمشكلة أنّ أكثر مَنْ يحملها أو يحاول ارتداء هذه القمصان الأنيقة لا يحسن حقوقها؛ بل قد يسيء إلى هذه المعاني الابتلائية، فكما هو معلوم أنّ الذي يرتفع رتبة من العلم المفوض يرتفع رتبة في التواضع؛ لأنّ التواضع زينة العلم. ومن المهم أنْ نعلم أيضاً أنّ الذين يسرقون هذه الألقاب في الغالب يعيشون حالة النقص في نفوسهم فيتصوّرون أنّهم يكتملون بهذه الألقاب التي قد لا يلتفت إليها أهل العلم ولا يشغلون أنفسهم بها.

ومن المناسب أنْ نتذكر في هذا السياق أنَّ كبار الشخصيات العلمية والأدبية والفنية زهدوا عن الألقاب وتركوها لمنْ يحتاجها، فمثلا عملاق الأدب العربي (طه حسين)، وهكذا الشعراء أمثال أحمد شوقي والمفكرون والعلماء والمثقفون نجدهم يعرفون بأسمائهم التي عُرفوا بها في خارج الوسط الذي تميزوا به، وكانت المسميات تركض إليهم ولكنهم عزفوا عنها لعدم حاجتهم إليها. فالأنسان يرفعه فعله ولا ينفعه ما تسمى به إن أخَّره عمله. فالرسالة التي يمكن أنْ نتعلمها في زمن حمى الألقاب تقول قدم نفسك من خلال ما تنتجه لا من خلال ما ينتجك والحليم بالإشارة يفهم.

حمى الفساد

078

لا يخفى أنَّ الفساد عاهة كبيرة سار بسير مجرى الدَّم في جسد كثيرٍ من النّاس حتّى استفحل، فتصوّر الفاسد أنّه مصلح. ويتبجح بين القوم ولا يعلم إلا تشخيص فساد غيره دونما الالتفات إلى نفسه التي أوغلت في تيه الضلال فصار هو الضلال الذي أخذ يعكس ظلماته في المجتمع بعيدا عن كل هداية أو رجوع إلى الحق؛ لأنّه قد ختم على قلبه فلم يُبقِ فسحة لبريق الأمل؛ ليستقيم بها أمره ويتوجّه نحو التخلص من درن الانحطاط المترتب على تراكمات الفساد الذي ساد حتى عُدَّ محاربه محاربًا ومصارعًا للجبل.

ومما ينبغي أن ندركه أن الظاهر يحكم بأن الجميع يحارب الفساد، والحال أنّ كثيراً منهم متورط به من حيث يعلم أو لا يعلم. فأمّا الذي لا يعلم فذاك الجاهل وقد يكون قاصرًا، وأمّا الذي يعلم فنراه يتفنن في سوق الذرائع؛ ليبرر لنفسه الفساد الذي بات يعتاش عليه كثير من الناس وفي مختلف الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها.

ومن المناسب أنْ نعلم أن الفساد لا لون له و لا طعم ولا رائحة في ذاته، ولكنه يفضح صاحبه بمجرد أن يبتلى به، ولا يتحدد بزاوية دون أخرى فالطبيب الذي يتاجر بمهنته الإنسانية فاسد والعالم الذي يقدم علمه ليفترش لنفسه مكانة في المجتمع قد فسد رأيه، والمعلم الذي أسرف في ضياع وقت الدرس لهوًا فاسدٌ، والجندي الذي يقضي وقته بين الغفلة واللهو قد ضيَّع ميثاق الشرف الذي يقصده الجندية في حمل القضية الوطنية، وعموم الموظفين الذين بات همّهم تعداد ساعات الدوام دون أن يقدِّموا خدمة قد اقتنعوا بالفساد المقنع، والحكومة بأركانها التي ارتضت أن تكون وسيلة لضياع حقوق الوطن والمواطن فاسدة، ففي كل زاوية من زوايا المجتمع قد نجد فسادا وفاسدين. وأعظم من كلّ ذلك أنْ يكون الفاسد مدافعا عن فساده غير متأسف ولا نادم حتى يفوته الرجوع الذي منعه الحجب، فيكون المآل إلى التيه والضلال بين الناس، فلا يستقيم أمر في المجتمع ولا يستجاب الدعاء وإنْ تعالت الأصوات وبلغت القلوب الحناجر.

إنَّ مسؤولية الجميع الوقوف بوجه الفاسدين الذين يشرعون للفساد، ومقاومة الفساد قد يبدأ بشخص أو نفر كخطوة الألف ميل. لكنّها مع إصرار المصلحين نصل إلى الخطوة

الأخـيرة، فبيـت الفاسـد واهـن وإن أظهـر قوتـه، وقـوة الإصـلاح كبـيرةٌ وإنْ قـلّ ناصرهـا. لذلـك فالجميـع عليهـم أنْ يجتهـدوا في طلـب الإصـلاح ويسـعوا إلى ذواتهـم وكل مـن منطلقـه وعملـه ووظيفتـه؛ لنحقـق المرتبـة الأولى فننطلـق منهـا إلى الآخـر فيسـهل علينـا حينمـا تكـون النوايـا صادقـة والعزيمـة ثابتـة والهمـة عاليـة، وعلينـا أنْ نعلـم أنّ النجـاح يبـدأ بالعلـم والمعرفـة وهـذا السـرُّ دفـع أسـلافنا إلى أنْ يصطفـوا عـلى أبـواب المكتبـات كمـا نصطـف اليـوم عـلى أبـواب المقاهـي والأسـواق والحليـم بالإشـارة يفهـم.

الحنين الى الماضي

079

لغة الحنين إلى الماضي ليست جديدة أو بدعة من لدن كثير من الناس؛ بل هي متداولة خاصة إذا شعر الإنسان أن أمسه أفضل من يومه ويومه أفضل من غده، وهذا الشعور لا يتوقف عند حدٍّ، فهناك من يدعو إلى ماضٍ لم يعشه ويتمناه بعد أنْ أنهكه اليوم الذي يعيشه ويتوقع مستقبلًا غير مرضٍ أيضا، فيحاول الوقوف على الأطلال ويستذكر الأيام الخوالي وإنْ كانت هي الأخرى مريرة وشديدة.

نعم إنَّها الحقيقة التي تجلت اليوم في أبهى صورها، فكثير من النّاس باتوا يتأوهون على أيام الحقبة الماضية حيث كان هدام متسلّطاً على الرقاب وقد أهلك الحرث والنسل فبات الشعب منقسما على نفسه بين مسجون وشهيد وطريد وضعيف لا حول له ولا قوة، وبين متباهٍ يسير خلف (القائد المقدام) الذي قرَّب منه كل نعثلٍ يكيد لهذا الشعب؛ لينتقم من كل ذي بصيرة ويقتل كل ثائر.

لقد ولَّى عصره بكلّ ما كان فيه من الظُلامة والقساوة التي قد لا يتصورها أبناء هذا الجيل الذين لم يعيشوا تلك الحقبة المظلمة من تاريخ العراق والعراقيين. فنسمع منهم بين الحين والآخر أنّ الماضي كان أفضل من اليوم، وفي الجانب الآخر ما زالت الماكنة الإعلامية تعمل بكلّ جدٍّ ونشاط لصالح الماضي الأليم والقذر. ويحاول أنْ يحسِّن صورته بعد أنْ فشلت الطبقة السياسية في تحقيق طموح الجماهير وعاثت هي الأخرى في الأرض فاسدة وضعيفة.

مرة أخرى اليوم علينا أنْ نعترف أننا نعيش في عصر اللادولة. فكلّ شيء مجيّرٌ لصالح الفاسد الذي لم يعتبر بمن سبقه من الظالمين ولم يشكر نعمة الله عليه بالانتقام من الظالمين. وإلا فمنْ كان يتصوّر أننا نوفق لحضور لحظة سقوط الصّنم وانكساره وإذلاله، والانتصار لتلك الدماء التي سفكها والأطفال والنساء المفجوعين والمجزرين بأبشع أنواع التعذيب والتنكيل، وتشهد لهم الزنزانات وأحواض التيزاب والمشانق والأعضاء المقطعة والمقابر الجماعية وغيرها ذلك كثير.

نعم مع كل ما سبق فهناك مَنْ يترحم عليه ويتمنّى أيامه، ولكن حينما نقف عند هؤلاء فنجدهم إما لم يكونوا حينها ففاتهم معرفة المحنة وشدَّتها، أو هم من المنتفعين في تلك الأيام والتغيير أثَّر عليهم فذهبت امتيازاتهم التي حصلوا عليها بالوشاية وظلم الناس فضلا عن المؤمنين، فشعروا بأن الوضع الجديد ليس لصالحهم، ويتمنون أيامهم وخاصة حينما كانوا يتزيّون بالزيتوني ويقفون على أفواه الطُرق ليعترضوا على كل كبير وصغير، بل يعمدون إلى تلفيق التهم على الآخرين ثم يستشعرون الراحة على جراحهم بعد أن تُنكل بهم.

نعم أيُّها الصغير الذي كبرت وبلغت، فأنت لم تعش ساعة العسرة ولم تدرك خطورة الأمر ولم تجلس في بركة التيزاب أو تقاوم ضرب السياط. فلذلك تتصور أنَّ تلك الأيام كانت أجمل خاصة حينما ترك الآباء وظيفتهم والأخوة مسؤوليتهم في إخبارك عن مسلسلات الوجع وساعات المحنة التي كانوا يعيشونها في أيام الماضي حيث البعث الكافر وأشباه الرجال.

إنَّ من الثوابت عندنا أنْ المجالس الحسينية حافظت على جانب مهم من جوانب العقيدة الصحيحة وهو جانب الولاية والتبَّري، ففي كل عام نتزود من المجالس كثيرا من المعلومات التي يكبر عليها الصغير ويشيب عليها الكبير؛ لتعمل على تعميق الوعي وتأصيله وسلامة انتقاله من جيل إلى آخر بصدق وأمانة، كذلك اليوم جزء من حقوق الأبناء على آبائهم تعريفهم بتلك الأيام وما كان فيها من الأوجاع والآلام والمصائب، ليحملوها إلى أبنائهم؛ لأنّ العقيدة الصحيحة تستلزم التبري من أعداء الله تعالى وأعداء ورسوله(صلى الله عليه وآله) والمؤمنين، فمن يتأوَّه على الهدام ليس له أنْ يتوفق إلى التولِّي، وأما فشل السياسيين فهذا بلاء آخر ووصمة عار عليهم سيكتبها التاريخ بأقلام من النقد الموضوعي ليأخذ كل ذي حقٍّ حقه.

رحم الله من أحيا أمرنا

080

توافرت الأدلة على ضرورة الاهتمام بأمر أهل البيت(عليهم السلام)، بوصهم سفينة النجاة في وسط البحار المتلاطمة، فمن ركب سفينتهم كان في مأمن، ومن تخلف عنهم فقد تخلف عن الخير كله. وقطعا أنّ ركوب الخير يستلزم مقدِّمات ومن أهمّها الدعاء بصدق النية وخلوصها للتوفيق في الأمر ومواكبة الصالحين ومرافقتهم ومجالستهم؛ لذلك نجد العلماء يتسابقون بالتضرع إلى الله تعالى ليمكّنهم في حضور مجالس ذكر أهل البيت(عليهم السلام) بشكل عام ومجالس الحسين بشكل أخص ولاسيما في شهر الأحزان في ظلال المحرم الحرام.

إنَّ ما ينبغي أن يلتفت إليه المؤمنون على وجه الخصوص هو أن مسألة استجابة الدعوة ليست متاحةً للجميع، وقد نبه القرآن على ذلك في مواضع كثيرة ومن بينها إخوة يوسف الذين لم يستجيبوا إلى الحق وسوّفوا التوبة نيفا وثلاثين عاما، وقد أكّد العلماء على أنّ عدم توفيقهم إلى التوبة على الرغم من أنّهم كانوا أبناء نبيٍّ من الأنبياء هو إصرارهم على الباطل والكذب، وبعد أنْ أيقنوا أنّهم يخدعون أنفسهم بذلك توسلوا بالتوبة وطلبوا العفو فتوفقوا إليه. ومما ينبغي أنْ نلتفت إليه في أمرهم هو رأفة الله ورحمته الذي صبر عليهم كلّ تلك السنوات، وأبقاهم أحياءً ليتداركوا التوبة في حياتهم، فلو مات أحدهم قبل ذلك ما كان لينفعه نسبه وحسبه؛ بل كان يختم عليه بالتسويف والخيبة.

اليوم أيضًا كلّنا كإخوة يوسف فقد سوَّفنا وبالغنا في التسويف وتحجبنا عن استجابة دعوة المعصوم الحجب التي أفرزتها الذنوب والمعاصي، ومن لم يتوفق إلى إزالة الحجب ليس له القدرة على استجابة المعصوم، ولا يخفى أنّ كثيراً من الناس من حولنا فشلوا في استجابة أمر الله تعالى قبل ذلك، والذي منعهم هو الذنب الذي يحول بين المرء وبين طاعة الله، فليس لأهل الباطل والرذيلة القدرة على التوفيق لاستماع صوت الحق والتجانس معه. وإنْ الجوارح التي أصبحت مطية المعاصي لا تليق بها أنْ تكون متزينة بحسن الولاء والإيمان، فاجتماع النقيضين محالٌ وغير منطقي.

وعلى هذا فإنّ دعوة الإمام الصادق(عليه السلام) في إحياء أمرهم ليست متاحة للجميع؛ بل سينقسم الأمر على حسب مستويات النّاس، فمنهم من سيسعى بكل قوة على وفق المعطيات مراعيًا

للوقاية ومبادراً إلى تعظيم الشعائر بكل ما أوتي من الحول والقوة وهؤلاء من أهل الصفاء والسريرة الطيبة الذين توفقوا إلى التوبة فيسرَّ الله لهم الأمر مع صعوبة الوضع والظرف وبما لا يتقاطع مع إجراءات السلامة والوقاية، ومنهم من لا يتصدى بشكل يكون هو المبادر والقائم على العمل؛ بل يشارك الناس إذا أقاموا ويكتفي بالحضور وإكثار السواد، وهذا الصّنف على الخير أيضا، ولكن مقامه مختلف عن السابقين والمبادرين، ومن النّاس أيضاً مَنْ يجعل مِنْ أمر استجابة الدعوة عرضياً، فإنْ صادف يكون مع المعزين وإنْ فاته لا يهتم للأمر وهذا الصنف ممن فاته خير كثير. وهناك من يسعى إلى تعطيل المجالس ومحاربتها بالترويج ضدها أو الاستخفاف بها أو منعها وهؤلاء من سُلبوا التوفيق ومنعهم ثقل المعاصي والذنوب وينبغي عليهم المبادرة إلى التوبة للتوفيق في خدمة المجالس والحضور إليها.

إنَّ دعوة الإمام الصادق(عليه السلام) وإن كانت مطلقة وللجميع إلا أنَّ الاستجابة مخصصة ببعض الناس دون بعضهم الآخر، ولا تستلزم استجابة أمرهم إقامة المجالس الكبيرة أو التي قد تكون شائكة ولاسيما في هذا الظرف الحرج من انتشار الوباء؛ بل يكفي إحياء أمرهم في إقامة المجالس الصغيرة حتى لو كانت على مستوى البيوت. فالمهم في هذا الجانب إحياء الأمر وبما يتناسب مع الظرف مع الاحتراز الشديد والتمسك بأسباب الوقاية، وإلا فإن المخالف لإجراءات السلامة والوقاية قد يكون هو الآخر مذنبًا ويتحمل مسؤولية جمع الناس وأمنهم وسلامتهم.

سراق رمضان

081

على الرغم من مكانة شهر رمضان الكريم والمبارك على وفق ما كشفتها النصوص القرآنية والروايات النبوية وأقوال المعصومين. إلا أن الأمر عند كثير من المسلمين لا يعدو تجربة مع الجوع والعطش، فلا يفكر كثير من الناس إلا بتعداد الوقت واحتساب الأيام آملين الوصول إلى المحطة النهائية من الشهر الفضيل دون أنْ نتيقن المغفرة أو نفكر فيها بالشكل الذي يناسب طموح المؤمنين الراجين رحمة الله تعالى.

إنَّ من المهم أنْ ندرك خطورة التغافل عن هذا الشهر الفضيل، ومن الأهم علينا أنْ نعرف أنْ هناك في المقابل من يتقصّد سرقة لحظات القبول والمغفرة؛ لنصل إلى نهاية المطاف ونحن من الغافلين أو المبعدين. فاليوم أكثر من أيِّ وقت آخر انكشف عند المراقبين أن عموم القنوات الفضائية والبرامجية سواء العراقية أو غيرها تحاول أن تسرق منّا الشهر الفضيل وبشكل ممنهج، فلم يكتفوا بتعداد الشهور الماضية والأيام التي قد تزيد على ٣٣٠ يوما خارج الشهر الفضيل حتى تمادوا بالتركيز على البرامج اليومية والليلية التي تثير المشاهدين بمختلف الصنوف من الفكاهة واللعب وغير ذلك مما يرضي إبليس عنهم؛ ليغافلوا المؤمنين عن متابعة برامجهم التعبدية في هذا الشهر الفضيل، ويحرموا بذلك الخير الكثير.

هذه النكبات ليست جديدة ففي كلّ سنة تجتمع الإرادات الباطلة وتستعين بعناصرها المجردة من الحياء والإيمان، فيسعون بكل ما أوتوا من الخبث والدهاء؛ لتمزيق العلاقة بين الشهر الفضيل وبين أهله، ولعلهم ينجحون مع بعض الضعفاء والسفهاء. أما المؤمنون فلهم في كل لحظة من لحظات الشهر الفضيل موعد مع القبول والاستغفار، وكان لسان حالهم في مناجاتهم ودعواهم اللهم بلغنا رمضان، فكيف نتصور الغفلة منهم عن رمضان وقد شرّفهم الله تعالى بالحضور في هذا الشهر الكريم.

إنَّ المسؤولية الشرعية لا تقف عند حد أنْ ندرك ما علينا من الواجبات في هذه الأيام والليالي؛ بل علينا أن نعمل على إنقاذ أهلينا وأبنائنا من مكائد ابليس وجنوده، ونبادر إلى مراقبة الأصدقاء والأهل بعد النفس؛ لنتمكن من مقاومة فتنة القنوات الموجهة والبرامج

المكثّفة لهدم أركان الأسرة في الشهر الفضيل. وعلى المساجد أنْ تنوع برامجها وتنجح في الوصول إلى المسلمين ببيان أهمية هذه الساعات والأيام. لكونها قد لا تتكرر والشقي من يحرم المغفرة في هذا الشهر الفضيل.

أمَّا المؤسسات الحكومية التي ينبغي عليها المتابعة والحذر و ضرورة إيقاف البرامج التي تتنافى مع خلق شهر رمضان وبركاته. فقد ثبت أن هذه الجهات هي التي تسعى إلى العكس من ذلك؛ ولهذا فإن الاعتماد على المؤسسات الحكومية في المنع أو كفّ البرامج المسيئة غير مجدٍ؛ بل إنّ الواقع الثقافي العراقي بات ينافس اليوم المحطات الدولية والقنوات الغربية في درجات السفاهة والغي. فليس للمتابع أو المشاهد المؤمن إلا تقنين البرامج والقنوات بالشكل الذي يمكنه معها المحافظة على اللون الإيماني في هذا الشهر الفضيل الذي بدأ بالانصهار، فمن فاته فقد فاته خير كثير.

السياسة والدين

082

هناك بون كبير بين سياسة المتديّنين ودين السياسيين، وهذه الحقيقة ينبغي أنْ ننظر إليها من جوانبها الموضوعية؛ لأنّ التجربة أثبتت أنَّ السياسي في الغالب يتقلب بحسب حاجة عصره ومستلزمات وصوله، ولا يستند إلى ثابت ينطلق منه لتحديد مساره ووجهته التي تكون في الغالب متعثّرة بسبب التقلبات الكثيرة الناشئة في الأصل بفضل التراكمات الحاصلة في قناة اللاوعي التي يدين به أكثر السياسيين ولاسيما من كان وجوده في عالم السياسة بمحض الصدفة وقد اضطر إلى التأقلم مع مجتمعه الجديد ذي القوانين الخاصة التي تفيد بأن الغاية تبرر الوسيلة.

وأمَّا سياسة المتديّن فهي ناشئة من ثقافة الإسلام الواقعي والصحيح، فالإسلام منظومة متكاملة تناسب كل زمان ومكان فقد ختم الله به الأديان، ووسع منهاجه بحسب حاجة الإنسان وتطوره، ونظَّم كل ما يتعلق بالحركات والسكنات بقوانين ثابته تستند إلى القرآن الكريم والروايات الشريفة وأقوال المعصومين الذين جعلهم الله تعالى أماناً لأهل الأرض فلولا الحجة لساخت الأرض بأهلها وهذه القوانين الإسلامية تتكيف مع كلّ مستجد ولا تخالف المبادئ الثابتة؛ بل تجعلها وسطا للانطلاق وسبيلا للتجاوب مع كلّ حادث ولا تتقاطع مع التطور الذي قد يصله الإنسان مهما طاش سهم العلم وتوسعت مداركه، فالإسلام دينٌ حيٌّ ويحيى مع كل جديد.

ومن خلال التجربة الماضية تبين أن المشكلة ليس في كونك متدينًا؛ بوصف الدين حالة عامة وكلٌّ يدين سواءً بالإسلام أم بغيره، ولكن المشكلة في كونك تحمل ثقافة التدين الإسلامي الصحيح والموجه الذي يتقاطع مع إرادات ورغبات كل الطواغيت والجبابرة على مرِّ العصور المتوالية، فقد كان الحكّام فيما سبق لا ينظرون إلى دينك؛ بل لا ينظرون حتى إلى مذهبك ولكن يهمهم أنْ يعرفوا ولاءَك لمَنْ؟ وانتماءك إلى مَنْ؟، وهكذا صرح معاوية للمسلمين حينما وقف فيهم مخاطبا بقوله: إني لا أحاسبكم على الصلاة ولا على الزكاة... ولكن أحاسبكم على طاعتي وولايتي، فلم يكن هم الرجل طاعة الله؛ لذلك غير أكثر الثوابت الإسلامية حتى عمد إلى إقامة صلاة الجمعة في يوم الأربعاء؛ ليختبر طاعة القوم

وولاءهم.

نعم اليوم أيضًا وغدا كذلك لا يُسأل الناس عن دينهم ولا عن مذهبهم ولا يحاسبون طالما لا تمثل تهديدا لهم، ولكن لو كنت تدين بضرورة العمل على وفق القوانين الإسلامية الصحيحة والمنقولة عن النبيِّ(صلى الله عليه وآله) وعن الإمام المعصوم والقاضي بضرورة اتباع المرجعية فأنت تمثل خطورة على السياسي؛ لأنّ فكرة المرجعية مرتبطة بعقيدة الانتظار ومن ثمّ بعقيدة الإمامة، والإمامة بمعنى السياسة، وبذلك فإنّ السياسة تكون جزءًا لا تتجزأ من الإسلام ولا تنفك عنه، وهذا هو الخطر الحقيقي على السياسيين الذين يعملون على خلاف القاعدة الإسلامية.

من المهم إذن أنْ نعيَ حجم الخطورة والمسؤولية، ونعرف أنَّ دين السياسيين هو الابتعاد عن الواقع المرجعي بغض النظر عن خلفياتهم الدينية؛ فهم يتصورون أن وجود المرجع في حياة الناس بمعنى ابتعاد الناس عنهم فعمدوا إلى إضعاف دور المرجعية وإبعادها عن حياة الناس، بحجّة أنّنا لا نحتاج إليها، فنحن مسلمون ونحن شيعة أهل البيت فلماذا المرجعية؟ وهنا يكمن الخطر وتهديده، وعلى المتدينين السياسيين أنْ يدركوا حجم التهديد الكبير الذي يستهدف عزل الناس عن المرجعية من خلال سياسة السياسيين ونهجهم المفضوح، وعلى الواعين أنْ يعملوا على ترسيخ ثقافة الانتظار وعلاقة الأمة بقائدها المنتظر الذي يجمع السياسة والدين لقيادة الأمة الإسلامية والعالمية بتأييد الله تعالى حتّى يملأها قسطًا وعدلًا بعد أنْ ملئت ظلمًا وجورًا.

عروس مهرها التغيير

083

تختلف أهداف الثورات والانتفاضات باختلاف نوايا أصحابها ومقاصدهم التي قد لا تجتمع من حيث المبدأ ولا من حيث الموضوع، ولكن جمعتهم الساحة؛ ليعبِّر كلّ عن رؤيته الخاصة، وليس بالضرورة أنْ تكون في خدمة الوطن أو المواطن؛ بل قد لا تنسجم مع معطيات المرحلة ولا متطلبات وتطلعات الجماهير التي وجدت من هذه المظاهرات متنفَّسا لتحقيق الأهداف العامة لصالح الفرد والمجتمع، فالمعروف أن الشعوب ترتقي بهذه الوسائل الشرعية نحو بناء الدولة والتخلّص من الفساد والفاسدين.

وقد يسوِّق أصحاب الغايات الخاصة والدنيئة مختلف الشعارات والدعوات التي تحمل في ظاهرها الأمل والإصلاح، وتستبطن كثيرا من الفتن والإغواء بحيث تندفع بموجبها الطاقات نحو الأهداف التي ترسمها تلك الجهات الخبيثة، فينجذب إليها المتظاهرون ويسيرون على وفق برنامجهم من حيث لا يعلمون بعد أنْ تمَّ استغفالهم عن الهمِّ الحقيقي والوطني.

ومن الشعارات التي تزيّنت بها ساحات التظاهر وكان لها الأثر الكبير على الشباب حتى أودى بحياة كثير منهم هو شعار: (عروس مهرها التغيير). فقد حققت الجهات المعنية والمتسترة خلف هذا الشعار أهدافها بطريقة ذكية، وساقت كثير من الجماهير إلى مزيد من الحراك وبالطرق الملتوية التي عدّها المختصون أنها خرجت عن مسارها السلمي؛ لتحقق بعد ذلك أهداف الجماعات التي قصدت الجهات المختلفة في الساحات المختلفة ونجحت في تعاظم المشاكل واستفحال العقدة بين الحكومة والشعب.

والمهم في الأمر أنّ الأيام كشفت أنّ هناك أياديَ خبيثة خارجية تتحكم بكثير من المجريات في ساحات التظاهر، وتبيَّن أنّهم لا يتوانون عن تقديم أيّ شيء من أجل تحقيق أهدافهم الدنيئة والخبيثة. فمثلا تلك العروس التي تسير بين الشباب وتستنهض فيهم روحية الحجاج والتظاهر كانت متزوجة ولم تكن فتاة أو عروسا مهيأة للزواج؛ بل هي من الأنبار ومتزوجة من رجل أردني الجنسية، وكانت تسوقها عن يمينها إحدى الرفيقات من النظام السابق التي كانت تعمل كقيادية في حزب البعث المنحل، ولعبت دور الأم التي جاءت

بصحبة ابنتها؛ ليكون مهرها التغيير، علما أنّها على ذمّة رجل آخر، وهذا يكشف القناع عن هؤلاء ويكتشف أن الغايات عندهم تبيح مختلف الوسائل المحرمة.

ومن الجدير بالذكر أنَّ هذا الأمر كان وجها على سبيل المثال من وجوه المندسين الذين كانوا في ساحات التظاهر، ويضحكون بذلك على شبابنا الغافلين الذين كانوا يتصورون أنّهم يحسنون صنعا. ومن المخجل أنْ نعلم أنّنا ممّنْ تَمّ استدراجهم إلى هذه التظاهرات من أجل مزيد من الضغط على الحكومة؛ لترضخ للأوامر الخارجية التي يصدرها الشيطان الأكبر إلى أدواته الذين ظهروا بصور مختلفة في ساحات التظاهر حتى غلبوا الرأي العام ودفعوا نحو مزيد من التعقيد وتثبيت الفاسدين الذين كانوا عونا للإرادات الخارجية على حساب وطنهم وشعبهم، فهل من معتبر؟

فكّر ثم قدّر

084

من أفضل نعمِ الله تعالى على الإنسان العقل، وقيل هو من أفضل خلق الله تعالى على المشهور. فبه يُعبد الله تعالى، ويتفاضل الإنسان عن غيره. وينماز العاقل بحسن تفكيره وقدرته على اختيار المناسب لكلّ وضع وظرف ومرحلة، ومن فقد عقله أو كان بحكم فاقد العقل فالموت خير له من الحياة؛ لأنّه سيكون عالة على المجتمع ووبالا على غيره، فلولا العقل لما كان التفكير ولولا التفكير لما كان التدبير، وكلّ عملٍ دون تفكير يكون معرَّضاً للفوضى والولوج في غير المحبوب؛ بل مع عدم التفكر فإنّ السقوط هو السبيل المنتظر.

والذي يهمنا في هذه المرحلة أنْ نتبيَّن أنَّ من آثار العقل الجمعي الذي تسبب في تزييف كثيرٍ من الحقائق وخدعة الناس، فكان المصير إلى مستنقع الجهل والهاوية والأمر لن يتوقف عند حدٍ معين طالما هناك من ينتظر أن يُملى عليه دون أن يكون حرّاً في اختياراته وتوجهاته، والمسألة عند بعض الناس أصبحت من الطبيعي أن يسير أعمى البصر والبصيرة، ويكتفي بما يراه عن طريق عيون الآخرين، فيقودونه إلى ما يشتهون وكأنه ناقة أو شاة يسير ضمن قطيع وليس له رأي في مسيرته ووجهته. والتجارب تتحدث عن أناس فقدوا كل شيء بسبب تعطيلهم لنعمة التفكُّر بالعقل حتى أصبحوا أدوات للآخرين. ومن الأمثلة على هؤلاء أتباع نابليون بعد أنْ أمرهم بالسقوط دونما أنْ يفكر واحد منهم بإمكانية خطأ نابليون في قراره، فكأنهم نعاجٌ يتساقطون من الجبل واحداً تلوَ الآخر ليس لشيء فقط لأنهم تصوروا أنَّ النعجة التي أسقطت نفسها من سفح الجبل نجت من الموت فتوافدوا على السقوط جميعا.

ومما نأسفُ عليه أنَّ كثيرًا من أبنائنا ومن المجتمع يُقاد بطريقة العقل الجمعي وتأثيره فيتوجه إلى تحقيق مآرب المتربصين بعد أنْ جعلوا منه جهازًا مشحونًا يسير على حسب توجهات الشاحن لهم. وهذه من أعتى الغزوات الاستعمارية التي تحارب الدول الإسلامية والمؤمنين على وجه أخص. فنسمع بين الحين والآخر ثورات وانتفاضات وحركات ظاهرها أبناء الوطن وقياداتها الحقيقية أصابع الكيبورد وصفحات التواصل ومواقع الأخبار التي تكون في الغالب مسيَّرة ومأجورة لتفعيل الأزمات وإسقاط الحالة الإسلامية في عيون

وقلوب أبنائها، وفي نهاية الأمر يموت أبناء الوطن الشجعان، وينتفع الجبناء وتنجح أهداف العملاء في الوصول إلى غاياتهم الدنيئة بعد أنْ جعلوا من أكتاف المفجوعين سُلّما للصعود.

ومن المناسب أنْ ندرك أنّ هناك إشارات مطمئنة وثابتة توحي بالكشف عن الحقائق والوجوه، وعلى الجميع العمل على وفق مبدأ التكامل في نشر الوعي والثقافة المتحررة من قيود الباطل والزيف، وأنْ نجعل لأنفسنا ثوابتَ للرجوع إلى الحق بعد أنْ نتغافل أحيانا أو نتجاهل بسبب الظروف المحيطة والتي قد لا تتضح فيها صور الأحداث والأهداف، ومن ذلك ما نقل عن أئمة الحق(عليهم السلام) في أن تنظر إلى نفسك فإنْ كنتَ ممن يحب الله ورسوله والمؤمنين فاعلم إنك على الخير، وإنْ كنتَ ممن يحب أعداء الله ورسوله وأعداء المؤمنين فاعلم أنّه لا خير فيك. وعلى هذا فإنّ المقياس واضح في العمل والتوجه وعلى الإنسان أنْ يحسن التصرف مع عقله وتفكيره، ولا يكون مطية الأهواء والرغبات التي لا تزيده إلا بُعدا عن الله تعالى، فخسر بذلك دنياه الذي عمل من أجلها وآخرته التي تغافل عنها.

فلسفة الشرور

085

عـادت الأوهـام لتبنـي لنفسـها عشًّـا في أذهـان السـاذجين بعـد أنْ فـاح مـروق الملحديـن وتجاهـروا باسـتغلال البسـطاء؛ ليجعلـوا مـن تفـشي الأوبئـة والأذى ذريعـة للتشـكيك في عدالـة السـماء أو إنـكار وجـود اللـه تعـالى فسُـلبوا التوفيـق وابتعـدوا عـن سـلطان الإيمـان فوقعـوا في مصيـدة الشـيطان صاغريـن خائبـين.

نعـم اليـوم أكثـر مـن أيّ وقـت آخـر يتجاهـر بعـض النـاس بإلحادهـم ويشـككون بوجـود الواجـب لذاتـه تحـت ذريعـة تفـشّي الوبـاء وعـدم تدخـل السـماء في إنقـاذ النـاس ورفـع البـلاء والوبـاء، ويوهمـون النـاس بـأن وجـود اللـه يسـتلزم الأمـن والأمـان والسـلامة بوصفـه مسـلطاً عـلى كلّ شيء مـع وجـوده، ولمـا تعـددت المصاعـب والبلايـا والكـوارث وعمـدت إلى تعكـر صفـوة حيـاة النـاس وسـلبتهم لـذة الحيـاة وزادتهـم مخـاوف واضطرابـات، اسـتغل الملحـدون فسـاد الحـال فزرعـوا فكـرة السـؤال المحـال في عقـول النـاس، أيـن الـدور الالهـي؟ ولمـاذا هـذه الـشرور في حيـاة النـاس؟ بـل لمـاذا لـم يجعـل اللـه الدنيـا دار سـعادة وهنـاء؟

هـذه الأسـئلة وغيرهـا كثـير تتـوارد في عقـول العامـة ويسـتغلها المنحرفـون بأفكارهـم المريضـة. والـذي ينبغـي أن نعلمـه جميعًـا أنَّ فلسـفة الحيـاة والانتقـال مـن دار إلى دار يقتـضي وجـود الفتنـة والبـلاء؛ ليتميـز الصالـح عـن الطالـح، مـع الأخـذ بنظـر الاعتبار بـأن البـلاء للظالـم أدب وللمؤمن ابتـلاء وللأوليـاء درجـة. وقـد سـبق القـول عـلى لسـان النبـيِّ(صلى الله عليه وآله) إذ قـال: مـا أوذي نبـيٌّ بمثـل مـا أوذيـت، مـع العلـم أنـه خـير خلـق اللـه تعـالى مـن الأولـين والآخريـن.

أمَّـا الفلسـفة الماديـة التـي أخـذت تنشـط هـذه الأيـام فيعـدّون وجـود البـلاء دليـل النقـص أو الجهـل في الخالـق؛ لأنَّـه بحسـب فهمهـم لـو كان موجـودًا للـزم انتشـار الخـير والبركـة والراحـة دون العنـاء أو البـلاء. وهـذا هـو الجهـل المركـب؛ وذلـك لأنّ الخالـق تعـالى يخلـق الأشـياء خدمـة لوجـود الموجـود ولا يخلـق شـيئا لا فائـدة منـه؛ إلا أنّ النـاس قـد يسـتبدلون الخـير بغـيره، فمثـلا فاكهـة العنـب والتمـر أيضـا مـن الخـير الكثـير وقـد يسـتبدلهما النـاس إلى أنْ يجعلـوا منهمـا الخمـر فينقلـب خـيره شراً كذلـك معظـم مـا يـدور في فلكنـا فاللـه لا يخلـق إلا الخـير وهـذا يتناسـب مـع لطـف اللـه تعـالى وعدالتـه، وقـد جعـل اللـه سـبل الوصـول إلى الغايـات ميسـرة وسـالكة. فالطالـب

قد يسهر ليله ويبلغ مجهوده وتُتعبه القراءة والكتابة ولكن ينتظره النجاح والتفوق، والتاجر يبذل المال ويجتهد في نقل البضاعة والسهر عليها ولكن الربح يُنسيه همَّ التعب والنَّصَبِ. كذلك الإنسان يعيش في دنياه بين التعب والنصب والبلاء؛ ليكون الفوز والنجاة لمن يصبر عليها ويحظى برضى الله تعالى ويبتعد عن سخطه.

إنَّ وجود الله تعالى لا يحتاج إلى دليل فنحن من علامات وجوده، وعدالته لا تحتاج إلى برهان ففي كل جانبٍ من جوانب حياة المخلوقات نجده سبحانه وتعالى قد خلق التوازن، فلم يكلف المخلوقين أكثر مما يطيقون، ولم يحملهم زيادة على قدرتهم، وهو الخالق الذي يدرك قدرة مخلوقاته؛ لذلك وجده المؤمنون به في كلّ شيء وغاب وحيه عن غيرهم من الذين لم يكونوا مؤهلين لهذا التشريف وليكون حظهم الإنكار والإلحاد والنفور ويخسروا الاختبار كما خسر إبليس وفرعون، فطاش سهمهم فلم ينفعهم الرجوع وغدوا على حرد قادرين.

كاسيات عاريات

086

تستهدف الثقافة الغربية المجتمعات الإسلامية عبر وسائل مختلفة، وتستبطن الخبث لإبعاد المسلم أو المسلمة عن ثوابته ومبادئه التي لطالما أكّدت الشريعة السمحاء على التمسك بها من أجل خلق مجتمع متوازن تتحقق فيه سلامة الدين والدنيا والآخرة، ولما تباينت قدرة الناس في الحفاظ على الثوابت والتعاطف مع المتغيرات دون وعي أو الميل إليها بقصد التطور أو مواكبة العالم في الوصول إلى كل ما هو جديد حتى سقط في فخ ذلك كثير من أبناء المجتمعات الإسلامية.

إنَّ ثقافة العُري الذي استشرى في المجتمعات الإسلامية ثقافة دخيلة، والإسلام حذر منها ولم يرض الله تعالى عن هذه الصفة إلا للعاصين له. وقد ثبت عندنا أنّ الله تعالى جعل معظم الحرام في الدنيا حلالًا في الآخرة إلا العري فقد حرَّمه سبحانه وتعالى في الدارين، إذ قال تعالى: ﴿إنَّ لك الاَّ تجوع فيها ولا تعرى﴾، ولا يخفى أن الله تعالى حينما غضب على آدم وحواء عاقبهما فانتزع عنهما لباسهما وأراهما سوءاتهما؛ ليكون ذلك دليل غضب الله عليهما بعد معصيتهما! ومن المناسب جدًا أنْ ندرك أنّ خطر ثقافة العري أكثر ما تستهدف هي الفئات الشابة التي ما زالت في طور التكامل! فالشابة تميل إلى كل جديد وتحتكم إلى عاطفتها التي تغلبها فتسقط في اختبار الحشمة والحياء! والشابُّ يعيش عنفوان القوة وجياشة الصحة ويميل إلى التغيير فيسقط في اختبار الكرامة والغيرة، حتى بلغ الحال أن تكون النساء دون حياء والرجال دون غيرة عليهنّ. والحال أن ملابس المرأة وحشمتها تحكي تربية أبيها وعفّة أمها وغيرة أخيها ورجولة زوجها. والمرأة التي تخرج من بيتها متزينة وظاهر عليها ذلك لن تكون ملعونة لوحدها؛ بل يشاركها زوجها وولي أمرها أيضا. وعلى هذا فإنّ المسؤولية مشتركة وصراع العاطفة والحكمة قائمٌ طالما نحن في دار الابتلاء.

إنَّ مما ينبغي أنْ ندركه هو ضرورة المحافظة على الثوابت الإسلامية وعدم الانجرار إلى ثقافة الغرب الوضيعة التي استحدثها من لا دين لهم ولا أخلاق، ولا يخفى أنَّ المجتمعات الغربية تعيش حالة من الانفلات والانفكاك الأسري فليس هناك أخ أو أب ليعاتب أو أمٌّ لتُلقى عليها الملامة كما هو الحال في الإسلام، قال تعالى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ

امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾، فالقرآن يذكر بالأخ والأب والأم، ووجود الولي يستلزم مراقبة الأبناء وتربيتهم بما يناسب الظاهر الإسلامي ولا يخدش بالمبادئ العامة للمسلمين فضلا عن المؤمنين.

من الجدير بالذكر أنّ المرأة إذا ماتت يقف الناس على قبرها ويسألون أين أخاها وأباها وبعلها فيتزاحمون عليها ويطوقون قبرها والمكان؛ كي لا يطلع عليها أحد من الأجانب وهي ميتة، وتتعالى الأصوات أنْ غطوا الجنازة وأبعدوا النّاس عنها فإنّها امرأة، رعاية لوضعها وخصوصيتها. أ ليس من الأولى الانتباه لها وهي حية، والحفاظ عليها وهي تمشي بين الذئاب مكشوفة الرأس عارية الجسم تكشف عن جسدها وملابسها الضيقة وتلعب الريح بها شمالا وجنوبا؛ لتكون أضحوكة المارة وحديث ألسنتهم؛ في حين أنَّ المرأة في الإسلام كالجوهرة التي ينبغي المحافظة عليها من كل نسمة ليس فقط من الرياح، وقد عمد الإسلام إلى تشريع القوانين التي تحافظ عليها وتسترها من كل طارق وحادث.

ومن المهم أنْ ندرك أن المسؤولية الشرعية تقضي أنْ يكون للوليِّ دور في سلوكيات أفراد عائلته، فيلتفت إلى الولد وثقافته وخُلاّنه الذين يصحبونه ويجالسونه ويسهرون معه، ويلتفت إلى الوسائل الاجتماعية التي يسهر عليها ويقضي أكثر وقته معها؛ لأنها قد تسرق منا أبناءنا وبناتنا من حيث لا نعلم، وتجعل منهم أعداءً لنا ولديننا ومذهبنا، فتسلبهم ثقافتهم وتجعلهم أسرى أمام إرادات الثقافة الغربية، فتكون النساء عاريات وكاسيات في آنٍ واحد ويكون الشباب ممسوخين بظاهرهم الغريب في الملبس وشعر الرأس ونوع المداس ولون القميص وعطر المخانيث وغير ذلك مما استوردناها من الثقافات، التي صدَّرها الغرب إلينا فكانت سبب سقوط المجتمع وحرمان التوبة واليأس من الإصلاح.

لا تعطني سمكو ولكن علمني كيف أصطادها

087

مبدأ التكافل الاجتماعي دليل وعي الشعوب ورُقيّها وإنسانيتها، وهو من متبنيات الإسلام المحمدي الأصيل الذي لطالما نهج السبل الكفيلة بالحفاظ على كرامة الإنسان وسعادته في الدارين، وسار على ذلك أولياء الله تعالى فاستقرّ الأمر عندهم بضرورة التوجه إلى شريحة الفقراء ومساعدتهم والعمل على استمالة هذه الشريحة المستحقة؛ بوصفهم أمانة الله في الأرض وهم مادة الاختبار للأغنياء والمؤسسات التي تعمل في الساحة الإسلامية على وجه أخص.

والمعلوم أنَّ هناك تباينا في العمل من جهة رعاية هذه الشريحة، ولكن المهم في الأمر أنَّ جدولة هذا الفنِّ كان في نظر المعصومين واضحًا؛ لذلك أسّسوا واقعًا ميدانيًّا سليمًا يضمن حقوق الفقراء ويتناسب مع ما يليق بحفظ كرامتهم، فمثلًا فتحوا الباب للعمل بمختلف المهن والاشتغال لكسب قوت يومهم، واشتهر أنَّ المعصوم كان يعمل بيده، ونقل عن أمير المؤمنين(عليه السلام) أنَّه كان يغرس النخل ويحفر الآبار ويعمل بالزراعة؛ ليفتح المسار أمام الناس، وليكون قدوة لغيره. فالناس حينما ينظرون إلى علي(عليه السلام) وهو يعمل بيده؛ ليُحرز لقمة عيشه، فذلك بابٌ لمن يرغب بالاقتداء به. ومن جانب آخر هي دعوة إلى العمل وعدم التثاقل وانتظار رحمة الناس أو عطائهم. فإن لقمة الإنسان إذا كانت من كدِّه وعرق جبينه لها طعم مختلف عن غيرها.

وهذا الأمر بطبيعة الحال يفتح أبواب التأمّل أمام أعيُننا، ويبرمج لواقع ينفع الفقير قبل غيره، ويسهم في تنوير الرعاية الاجتماعية بما يحقق الغاية، ويساعد على التخلص من آفات ومشاكل كثيرة التي قد تكون بسبب البطالة والكسل. لذلك فإن رعاية الفقراء من لدن مؤسسات الدولة بإعطائهم مبالغ شهرية ينتظرونها كالموظف العامل قد ينفع في جانب، بينما يسيء في جوانب أخرى كثيرة. حيث يتعلم الفقير أنْ ينتظر الإعانة ولم يفكر في استثمار الوقت من أجل أنْ يعمل أو يزرع أو غير ذلك.

إنَّ قتل أوقات الفراغ بمعنى التخلص من مشكلة كبيرة خاصة للشباب، لذلك فإنّ التوجّه الصحيح هو عدم إعطائهم الأموال على شكل رعاية شهرية؛ بل العمل على تعليمهم المهن

المنتجة والعمل على مساعدتهم والأخذ بأيديهم إلى أنْ يتمكنوا من إسعاف أنفسهم بامتهان بعض المهن التي قد تُسهم في قتل فراغهم وتوفير حاجات معيشتهم وإنتاج ما يمكن إنتاجه من حاجة مجتمعهم، وبذلك نضمن مجتمعا منتجا بعيدا عن التثاقل والتقاعس، ولن تجد من يشكل عالة على غيره، وكلٌّ بحسبه، فمثلًا يمكن استحداث دورات تعلم فنون الخياطة للنساء ومساعدتهم لشراء مستلزمات العمل؛ لتكون المرأة منتجة بدلا من أن يكون عينها على الباب وتنتظر الرعاية آخر الشهر، وهكذا الشباب وغيرهم فكل فئة عمرية يمكن أن تناسبها مهنة أو عمل أو اختصاص، وبذلك ننتقل من مرحلة الاستهلاك إلى مرحلة الإنتاج، ومن مرحلة الاستغلال إلى مرحلة الاستثمار، وهكذا فإنَّ تعليم الفقير اصطياد السمك خيرٌ له من أن تعطيه سمكة؛ لأنَّه إنْ تعلم صيدها فسوف يأكل منها متى شاء، وإن انتظرك لتُعطيه فقد لا يجدك حينما يحتاجك.

لا حاجة إلى الأضراس في عقدة تحلها الأنامل

088

تقضي الحكمة وضع الشيء في محله وجعله بالقدر الذي يستحقه دون زيادة أو نقيصة، والحكيم هو الذي يتوفق لذلك وقد ذكر القرآن الكريم أنّ مَنْ أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا، إذ قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَ ما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ﴾، فعلى هذا الحكيم لا يناسبه التهور أو التعجيل بالحكم على الظاهر الذي يظهر وإن ظنَّ الناس تحقُّق الأمر واستقراره.

وفي الحياة اليومية والعملية يصادف الإنسان العثرات والمشاكل المختلفة التي يمكن أنْ تعكِّر صفوه وتتسبب له بالقلق والضجر، ويستلزم العمل على معالجتها بروية ودراية، فسُبل المعالجة متنوعة ومختلفة؛ لذلك ينبغي أن نتحلى بالواقعية في التعامل مع كل حادث وطارئ؛ بل ومع كل ما يمكن أن يحيط بنا من المعوقات، وينبغي في محاولات المعالجة اتباع الخطوات مرتبة من الأقرب فالأقرب وصولا إلى المعالجة، فمثلا الصنائعي أو الميكانيكي حينما يصادفه عطب في عمل المحركات أو الآليات بشكل عام، يمكن أن يكون أمامه خيارات عدة محتملة لهذا العطل. والحكمة تقتضي أن يبدأ بأيسرها ثم يتدرج للوصول إلى باقي الاحتمالات ومن ثمَّ المعالجة. ومن الخطأ أنْ يبدأ بالبعيد أو الصعب؛ لأنّ الصعب ربّما يكلّفه كثيراً وقد لا يكون السبب منه. وهكذا الطبيب الذي يقوم بمعالجة مريضه؛ فالمهم هو التشخيص الصحيح وبعد ذلك ينبغي مراعاة أسهل طرق العلاج وأقلها ضررًا على الجهاز المناعي للجسم، ويختار العلاج بقدر يناسب العمر والوضع والظرف، ولا يبدأ بأقوى العلاجات التي من شأنها أن تهدم الجهاز المناعي وتؤثر على الجسم وصحته من جوانب أخرى كثيرة وإن عالجت الحالة، فتحديد العلاج وقلته من مصلحة المريض بشكل أو بآخر.

قطعاً إنَّ قاعدة دفع الضرر بأقلِّ الخسائر منطقي قبل أن يكون أمرًا عقائديا؛ فالذي يحتمل دفعه بعود من المنطق أن لا يدفع بعامود. وكثيرة هي المسائل الاجتماعية التي قد لا نحسُن التصرف معها فتضيع على جميع الأطراف، فكم من حالات الطلاق اليوم كان يمكن معالجتها بطرق أخرى أيسر بكثير من هدم أعظم ما بني في الإسلام وهو الزواج، وقد

حاول الإسلام كثيرا تحديد الطلاق بشروط صعبة لمنع وقوعها على عكس الزواج الميسر، وكم من الحالات التي انتهت بالقتل أو السجن كان يمكن معالجتها بوسائل أخرى تحفظ بها الدماء ويدفع ثقل السجون وذلِّها.

أنَّ من الحكمة أنْ يكون الإنسان على قدر المسؤولية، فهو خليفة الله في أرضه، وقد فضله الله تعالى على سائر مخلوقاته، فمنْ أدرك ذلك كان كما الملائكة؛ بل أعظم منهم، ومن تغافل عن ذلك فقد وصفهم القرآن بقوله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا﴾، وعلى هذا فإنّ الحكمة تقتضي البحث عن الحلول الميسَّرة في معالجة الأمور والابتعاد عن الحلول المكلفة التي قد تزيد الطين بلة، وأكثر المشاكل قد تعالج كالعقدة الرخوة بالتعقل فلا نحتاج إلى الأضراس في عقدة تحلها الأنامل.

لن نتخذ من الليل جملا

089

لا زالت الكلمات التي استوعبتها عرصة كربلاء الخالدة في واقعة الطف تنير الدَّرب وتعلم الأجيال معاني الحياة وسُبل الرشاد. ومن هذه الكلمات التي أسست لتعزيز ثقافة تحمل المسؤولية كلمة الحسين(عليه السلام) لأصحابه ليلة عاشوراء والإجابة الخالدة التي سطّرها أصحاب الحسين(عليه السلام)؛ إذ وقف الحسين فيهم خطيبًا وبيَّن لهم أنّ القوم يطلبونه فإذا ظفروا به(عليه السلام) استغنوا عن طلب غيره، فقال لهم: (أَنْتُمْ فِي حِلٍّ مِنْ بَيْعَتِي لَيْسَتْ لِي فِي أَعْنَاقِكُمْ بَيْعَةٌ وَ لَا لِي عَلَيْكُمْ ذِمَّةٌ وَ هَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا وَ تَفَرَّقُوا فِي سَوَادِه)، فاجتمع حوله إخوته وبنوه وأصحابه، وأجابوا بكلمة واحدة لمَ نبقَ من بعدك؟. وكأن لسان حالهم أجمع على تحمل المسؤولية الكبيرة، وأنْ يقدموا أنفسهم بين يدي الحسين(عليه السلام) مجزّرين ومقطّعين من أجل القضية التي تحملها الحسين(عليه السلام)؛ لتمتزج دماؤهم بدم الحسين الوجيه(عليه السلام)، وليشاركوه في ملحمته فيخلدوا بخلوده الكبير.

إنَّ هذا الموقف النبيل والكبير من أصحاب الحسين(عليه السلام) يمثّل درساً بليغاً في تحمل المسؤولية. علماً أنّ الحسين(عليه السلام) قد أفرغ ذمتهم من البيعة والذمة؛ ولكن المؤمنين أدركوا خطورة الأمر وعظيم المسؤولية فهمُّوا بتلابيب سيوفهم، وتجشموا عناء ثباتهم وزهدوا عن أرواحهم وأموالهم لمَّا طلبتهم المواقف وأناخت برحلهم الواجبات، فأيقنوا أنَّ سبيل الحسين(عليه السلام) هو سبيل الله تعالى، وطاعته طاعة الله ورسوله(صلى الله عليه وآله)، فكانت نفوسهم أقرب إلى التراقي وهم أحياء وقلوبهم أثبتُ من الجبال وهم قلّة في وسط القوم يرتجزون الشعر وقد انفتحت قريحتهم للدفاع عن الحقِّ وأهله، تاركين خلفهم الدنيا بزينتها والحياة بهنائها؛ ليخلدوا في سجل مجانين الحسين وعشاقه، وليعلِّموا الإنسانية أصول القيام ولون الحركة التي تكون من أجل الإصلاح وبناء الإنسان وسلامته لأمر الدين والدنيا والآخرة.

إنَّ تحمل المسؤولية يستلزم الشجاعة والمروءة، وعلى الجميع أن يعيَ أنَّ المسؤولية مناطة بهم، وليس هناك من خُلق عبثا، أو وُجد ليكون رقما إضافيا في عدد البشر؛ بل كل فرد يمثل بذاته خليفة لله في أرضه. وقد حمَّله سبحانه وتعالى مسؤولية معينة بقدَره. فالمسؤوليات متباينة ومختلفة، ولكن ليس لأحد أن يتنصل منها، أو يتخلف عنها، فكلٌّ يتحمل الجزء

ليستقيم الأمر للجميع. وأما إذا تخلفنا عن أداء الواجبات وتحمل المسؤوليات فسوف نتحمل جميعا مسؤولية الفشل وليس لأحد أن يدفع عن نفسه إثمها وآثارها.

وقبل أنْ نختم المقال نقول إنّ منهج الحسين(عليه السلام) وأصحابه مدرسة لمن يريد أنْ يتزود لدنياه وآخرته، وخاصة الأخوة الذين تبوّءوا المسؤولية في هذا الزمن الذي تغيرت فيه القيم والمبادئ، فقد تكون مسؤوليتهم مضاعفة أمام المغريات والتحديات التي تحول بيننا وبين الإصلاح فقد تربّع الفاسدون على مقدرات الناس، وأصبحوا يبذلون كلّ شيء من أجل الاستمرار في بقائهم مسلطين؛ لذلك علينا جميعا - وكلٌّ من مقامه - العمل على تحمل المسؤولية وكشف الفاسدين ومحاربتهم خاصة هؤلاء الذين باعوا آخرتهم بدنيا الشيطان الأكبر فكأنهم أدواته؛ ليبقى الوضع على ما هو عليه من الفساد في مختلف مؤسسات الدولة، والجهات الرقابية عليهم الدور الأكبر فينبغي عليهم أن يتعلموا من أصحاب الحسين(عليه السلام) ويتحملوا مسؤولياتهم بوعي تام ولسان حالهم يقول لن نتخذ الليل جملا للهرب من المسؤولية، والله ولي التوفيق.

محمد رمضان ومحمد رمضان

090

لا يخفى أن التشابه يفرض نفسه في مختلف المجالات، فتقع بين الأسماء والمسميات والهيئات والصور وغيرها. ولكن شتان بين التشابه في الظاهر والتطابق الحقيقي فالمياه الطاهرة تنماز عن المياه الخبيثة والآسنة وإنْ تشابها في الجري، والأبيض لونُ الطهارة وقد يتمثل في غيره، وهيهات بين الأول والثاني، فالأمر لا يتعلق بالتسلسل أو بالواحد العددي؛ بل ينبغي الأحتكام إلى الواحد النوعي.

إنَّ اسم محمد رمضان الذي كَثُر الحديث عنه ليس مختصاً بشخص وإنْ اشتهر؛ فعدنا محمد رمضان أحد أبناء الحشد الشعبي وهو من الأبطال الذين خرجوا تلبية لنداء المرجعية الدينية دفاعًا عن العرض والوطن واستجابة لكرامة العراق. ذائدًا بكل قدراته عن كل شبرٍ من الأراضي التي كانت مغتصبةً فشارك في مختلف الحروب وتعرَّض إلى صنوف الجروح، ففقد ساقه ويديه ولم يثنِ ذلك عزمه في المحاولات لردِّ الظلم عن أبناء وطنه من دون تمييز لقريب عن بعيد إلى أن اجلسته الجراحات المثخنة في بيته عاجزًا وسط صمت شعبي و حكومي ومن دون أبسط الحقوق، ومع كل ذلك العطاء والمعاناة لا يشعر إلا بالسعادة كونه قدم شيئًا لوطنه الجريح وإن كان أكثر من في هذا الوطن لا يثمن عطاءه ولم يشعر بوجوده.

وفي المقابل يستقبل الجمهور العراقي وبشكل همجي نفايات مصر والشاذ من الخلق المسمى أيضا بمحمد رمضان، الذي لم ينتفع بدلالة اسمه ولا بصفة لقبه؛ بل انغمس في ملذات الفحش غارقًا ومغرقًا معه جمهورًا من السفهاء والبلهاء الذين أفقدتهم لقمة الحرام جادة الصواب، فأخذوا يميلون مترنِّحين مع الفواحش مسرعين للاستجابة إلى صوت الشيطان بتعرية المقدسات الإسلامية وكشف عورات الستر لإعطاء صورة عن الواقع المرير الذي توصّل إليه الشعب المغلوب على أمره تحت مظلة الحريات الديمقراطية المزيفة والمستوردة من الشعوب التي انسلخت من دينها ومذهبها حتى باتت تنتن برائحتها العفنة وتغزو المجتمعات الأمنة فتجعلها في سفاهة من أمرها مبتعدة عن ثقافتها ومبادئها التي لطالما استشهد من أجلها الصالحون ونادى بها المؤمنون.

إنَّ مجرد المقارنة بين محمد رمضان العراقي ومحمد رمضان العفن المصري هو قياس مع الفارق، إذ لا يقارن الواجب بالحرام فشتّان ما بينهما. فالأول يعبد الله ويدعو إلى الجنة والثاني يعبد الشيطان ويدعو إلى النار، فلا مقارنة بينهما وإن تشابهت الأسماء. ولعلنا كنا بحاجة إلى صحوة ضمير وها قد حدث، فالغفلة ساقت إلى صرف كثيرٍ من الأموال على القمار المتمثل بالسفيه المغني الذي تم طرده من وطنه فاستقبله حثالة العراق بالتصفيق. ومن المهم أيضًا أنْ ندرك أنّ الشيطان نجح في دفع الناس لصرف الأموال في غير مواردها، فأنفق القوم عشرات الملايين من الدنانير في الباطل والسحت والحرام فاشتروا بها بابا من أبواب جهنم. بينما يعيش العراق في أشدِّ اللحظات الحرجة من الفقر والعوز في ظل السرقات الممنهجة والإدارات الفاسدة التي تحاول إغراق العراق بملذاتهم المنحرفة التي وصفها السفيه المغني بكرم العراق. والأصل أنْ يكون هذا الكرم في الإنفاق على الفقراء والمستحقين وبناء المدارس والمستشفيات، وإنْ كنّا ندرك أنّ الخير لا يصدر إلا عن الخيرين وكفى.

مرجعية أم مرجعيات

091

بات من الواضح ما يمكنها أنْ تصنع المرجعية الدينية التي كانت وما تزال عماد النصر وخيمة الوطن. حيث يشهد لها القاصي والداني بالفضل والرعاية والحكمة؛ بل الأعداء أيقنوا أن دعامة المرجعية كبيرة ولها أثر واضح في الانتصارات، وفي الإصلاح الذي تحاول قوى الشر تأخيره وبأيِّ ثمن؛ لذلك نجد أنَّ الهمَّ الأكبر اليوم عند كثير من أشباه الرجال وخَدَمَة الاستعمار هو كيف يمكن تسقيط المرجعية.

والحال أنّ المرجعية وإن اختصت اليوم بحسب العرف السائد بالمرجعية الدينة والتي صمدت أمام التحديات والأزمات إلا إنَّها في الحقيقة ليست حكرًا على الجانب الديني. فهناك المرجعية السياسية والمرجعية الاجتماعية والمرجعية الثقافية والمرجعية الطبية والهندسية وغير ذلك كثير. ومن المناسب أن ندرك أن جميع هذه المرجعيات ابتليت بالاختبار وعُرض عليها الفساد بوسيلة أو أخرى فسقطت وفشلت أمام التحدياتٍ واليوم نشهد هذا السقوط في مجال السياسة التي ضُيّعت، وفي المجال الاجتماعي الذي تمزق، والطبي الذي خسر قيمه الانسانية فانسلخ من مهنيته ومال إلى التجارة حتى بالأنفس، وهكذا الهندسية التي خيبت آمال المجتهدين، والثقافية التي لبست ثوب الذلة واستبدلت تاريخها الثقافي بثقافة معلبة مستوردة فغيرت الموازين وكأن الثقافة الحقيقة باتت وبالاً على أهلها، وبقيت المرجعية الدينية صامدة في أعين الفاسدين.

لذلك لا نستغرب هذا الكمِّ الكبير من الجهد المبذول وبمختلف الوسائل من أجل إسقاط المرجعية الدينية التي كانت وما تزال حاكمة على المرجعيات، ومنها نستمد القوة والبركة في النهوض بإصلاح باقي المؤسسات والمرجعيات التي نخرتها الفساد فتراجعت وأصبحت منهكة لا حول لها ولا قوة وتنتظر رحمة المستعمر واملاءاته التي دمّرت العباد والبلاد.

ولما يئست قوى الشر من اخماد نار المرجعية الدينية بادرت إلى المراوغة بافتعال مرجعيات دينية متعددة الاتجاهات، مختلفة الولاءات، تتخذ من ثوب المرجعية ستارا، وتنهش لحم الوحدة والإصلاح، والمعلوم أنَّ وجود مراجع عدة في زمن واحد كان عنصر قوة للمذهب. حيث كانوا يتكاتفون في المواجهة، ويتلاحمون كقوّة واحدة في قبال الفتن الضارية كما وقفوا

وقفة رجل واحد في ثورة العشرين الخالدة وكما كانت أيام مرجعية الشيخ الأنصاري والسيد الحكيم والسيد الخوئي رحمهم الله تعالى. وأما اليوم فنحن لا نخشى على أبناء الحوزة والمرجعيات الحقيقية التي وقفت إلى جانب المرجعية كمؤسسة قوية ومتماسكة؛ ولكن الخوف من استيراد وصناعة مرجعيات تحاول أن تكون في خط موازٍ بدعم غربي وشرقي؛ لتتصدى وتنافس المرجعية الحقيقية أو تقلّل من شأنها. وهذه بضاعة الغرب وصناعة الشيطان حيث نجد اليوم ومن على شاشات الفضائيات المأجورة ظهور بعض المندسين بلباس المرجعية وإن كانوا مفضوحين إلا أن الأمر يستلزم الوعي عند العقلاء لتنبيه الشباب والأبناء إلى أن هذا ليس غريبًا على الأعداء ولطالما حاولوا ويحاولون أن ينالوا من المرجعية الدينية المؤيدة من الله تعالى بوصفها هي التي تقف سدًا منيعًا في مواجهة المخططات الأمريكية والإسرائيلية التي كانت وما تزال تعمل على اضعاف الشعوب ومصادرة خيراتها وتجويع أبنائها؛ لتعيش الأمم حالة من التبعية لها فتنعم هي بالاستقرار والقوة والغلبة.

لن تكون هذه المحاولات هي الأخيرة من أجل اضعاف دور المرجعيات الدينية وإن التكثير من المرجعيات الحديثة مؤشر خطير في مسيرة الحرب ضد الطغاة والظالمين. واليوم أكثر من كل ذي قبل ينبغي على المؤمنين تحمُّل الدور الرسالي والقيادي في كشف زيف الفاسدين وعملاء الغرب الذين ارتضوا أنْ يكونوا عبيدًا صاغرين أمام أسيادهم من الغرب، وكذلك محاولة ربط الأمة بقائدها الإلهي الذي وعد الله تعالى عباده المؤمنين في إقامة دولة الحقّ بعد طول انتظار.

من المسؤول عن الفشل

092

لا يشك أحدٌ بالفشل على مستوى الأداء الحكومي وفي مختلف المجالات ولاسيَّما الخدمية منها على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها أبناء الوطن في مساعدة الحكومة؛ لتكون قادرة على النهوض والقيام بواجباتها تجاه الوطن والمواطن. فمن المعلوم أن كثيرا من أبناء هذا الشعب الأبي قدّم الغالي والنفيس في مواجهة التحديات التي عصفت بالبلاد خاصة فيما يتعلق بالدفاع عن الأرض والعرض والمقدسات، وقد تركوا خلفهم نساء ثكلى وأطفالا جياعا.

نعم علينا أنْ نعترف بالفشل الحكومي في الإيفاء بوعودها البراقة على مدى سبعة عشر عاما. وزيادة على ذلك فإنّها فشلت في إدارة الدولة ومعالجة الأزمات التي تترادف بين الحين والآخر؛ لتكشف عن الاستعدادات الهزيلة والإمكانيات الخجولة التي تقدمها الجهات الحكومية وهي تحاول أنْ تعالج أو تكافح أو تساند وفي مختلف الاتجاهات، حتى أيقن كثيرٌ من أبناء الوطن أنْ لا حلول في الأفق القريب ينتظر هذه الصعاب.

ومن المناسب أنْ نتحدث عن عطاء الشّعب الذي تحدى الإرهاب والفقر والمرض فخرج إلى الانتخابات التي تبيَّن أنَّها لم تكن نزيهة في يومٍ من الأيام فساقت إلى سدة الحكم كثيرًا من الفاشلين الذين ثبت عدم أهليتهم وعجزهم التام عن النجاح ومعالجة الأمور التي تهم الوطن والمواطن. واليوم أكثر مما سبق تبيَّن للشعب أنَّ الذين يحكمون الشعب ليس لهم القدرة على إدارة الدولة إما بسبب عدم الخبرة أو لضعفهم في مواجهة مغريات السلطة، فطمسوا في الفساد حتى نخرت قوى الإصلاح والبناء في أنفسهم فليس لهم القدرة إلا على الاستمرار في هدر المال العام بتلك الصفقات المشبوهة التي أثقلت الديون وضيّعت خيرات البلاد.

وأما القسم الثاني ممن يحكم العراق فهم أعداء العراق الذين جاهدوا من أجل الوصول إلى الحكم ومركز القرار بقصد تدمير العراق ليس بالسرقة فحسب؛ بل بتنفيذ الأجندات والرغبات الخارجية التي لا تريد للعراق أمنا ولا استقرارا ولا إعمارا.

وهـؤلاء أيقنـوا أن أيامهـم في العـراق مـا هـي إلا عـدد فسـارعوا إلى إعمـار بيوتهـم وشركاتهـم خـارج العـراق حتـى إذا انتهـت مـدة تكليفهـم بهـدم العـراق خرجـوا إلى وطنهـم الـذي باعـوا العـراق مـن أجلـه وهـو حـال أكثـر السياسـيين الذيـن لـم نسـمع لهـم حسيسـا ولا نجـوى بمجـرد انتهـاء مسـؤوليتهم في الحكـم.

إنّ مـن المهـم أنْ يـدرك العراقيـون أنّ الأحـزاب التي كانـت ممولـة مـن الخـارج ليـس لهـا أنْ تعمِّر العـراق، فهـي في الغالـب محكومـة بسياسـات الـدول التي تدعمهـا والتـي ثبـت أنَّ مـن مصلحتهـا أن يبقـى العـراق دون أمـنٍ ولا خدمـات ولا صحـة ولا تعليـم، لذلـك علينـا أنْ نتحمل المسـؤولية التـي وقعـت عـلى عاتقنـا جميعـا ونعمـل بشـكل جماعـي عـلى فضـح الفاسـدين الذيـن كانـوا ومـا يزالـون عبيـدا لأمريـكا التـي ثبـت تورطهـا في تأخـير ومنـع كثـير مـن المصالـح العراقيـة خاصـة فيمـا يتعلـق بالأمـن والكهربـاء، وينبغـي أن يكـون للإعـلام الوطنـي دور رقـابي كبـير عـلى وفـق النظريـة التـي تقـول أنّ الجميـع متهـم حتـى يثبـت نزاهتـه وصلاحـه.

المجالس الحسينية في زمن الكورونا

093

للحسين(عليه السلام) مجلس في قلب كل مؤمن دون أن يتقيَّد الأمر بعنصري الزمان والمكان، فقد قال(صلى الله عليه وآله): (إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبدًا)، وهذا الأمر يستشعره عشاق الحسين في مواطن كثيرة ولاسيما حينما يُذكر الحسين(عليه السلام)، أو يوفق أحدهم في الدخول إلى كربلاء زائرًا. حيث نجد أن هناك أمورا خارجة عن إرادتنا ومنها قطرات الدموع وأنت تسترجع أيام الحسين(عليه السلام)، وكذلك القلب يعمل بصمت دون أن توجهه فيتسلط بانكساره على جميع الجسد حتى تصبح كلّ شعرة من جسد المؤمن شعلة تهفو للوصول إلى الحسين(عليه السلام) والوقوف عند رأسه الشريف واسترجاع اللحظات والساعات الأليمة والموجعة، ولا نستغرب بعد ذلك سقوط بعضهم مغمى عليه فقد سبقهم الكرام وهم يقفون على قبر الحسين معزين وزوارًا؛ ليقولوا لرسول الله(صلى الله عليه وآله) نحن على العهد باقون وإلى حقوقك مبادرون.

إنَّ إحياء الشعائر الحسينية ضمانٌ حقيقي لبقاء واستمرار الشريعة الإسلامية بما يتناسب مع هدف الرسالة وأوامر السماء وتوجيهات الرسول(صلى الله عليه وآله)، فالشعائر الحسينية عملت على حفظ الدين وتثبيت الهوية الإسلامية من الزوال، ولطالما أكد المعصوم على الاهتمام بها والحرص على إقامتها ففيها سر نجاحنا ومكمن قوَّتنا؛ بل هي التي تُرعب أعداء الإسلام من الداخل والخارج، وهذا الأمر بحدِّ ذاته يوجب على المؤمنين السعي إلى إقامتها وإن تباينت الظروف وتعكَّرت الأجواء على أن لا يكون فيها خروج عن الضوابط العامة والخاصة التي من شأنها أن تحافظ على هيبة المجالس وروحانيتها وسلامة القائمين عليها.

إن إقامة المجالس الحسينية ليس أمرًا طارئا في ظل التحديات الراهنة، فكما هو معلومٌ أن المجالس الحسينية وعلى مدار السنوات الطويلة كانت محاربة من قبل كثيرين سواء من الظالمين الذين تسلطوا على رقاب الناس فكانوا يمنعونهم جهرًا من إقامة المجالس وهذا الأمر كان واقعا كما في زمن المقبور صدام اللعين أو الحكومات المختلفة التي كانت تمنع ذلك وفي مختلف الدول الإسلامية، أو كانت تُمنع بمحاربتها من لدنِ السفهاء وهم كثيرون، فمجرد حلول شهر الأحزان تسمع وتقرأ كثيرا من هؤلاء يحاولون التعرض إلى المجلس

الحسيني والشعائر الحسينية، فمنهم من يقول لو تصرف أموال المواكب على الفقراء. والآخر يقول أن ما تتركه المواكب من التعطيل والخراب وتراكم القمامات كثيرة فينبغي تحديدها وهم قد لا يشعرون أنهم يقفون في وجه أعظم حركة إسلامية حافظ على النهج السليم للإسلام، وكذلك فاتهم ما يتحقق من هذا الجوِ الحسيني من الكرامات والبركات في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها والتي يكون فيها عزُّ الإسلام والمسلمين وإن شابها بعض التصرفات الفردية التي لا تنسجم مع أهداف هذه المجالس. ومن المهم أن ندرك أن جائحة كورونا المستجد ليس لها أن تمنع المجالس الحسينية أو توقفها، فالمتوكل العباسي وكل سطواته لم يتمكن من ذلك والبلايا والأوبئة التي وقعت سابقا وهي كثيرة لم تمنع هي الأخرى إقامة المجالس؛ بل كانت تقام مع رعاية الوضع والظرف، فليس من الحكمة أن نلقيَ بأنفسنا في التهلكة وهذا ما لا يرضاه الحسين(عليه السلام) لعشاقه؛ بل ينبغي العمل على وفق المعطيات المتاحة وإقامة المجالس بالشكل الذي نأمن فيه على أرواح الناس ولا نحرم أنفسنا بركة المجلس الحسيني الشريف، وهذا يستلزم العمل التكاملي بين مسؤولي المواكب والأخوة العاملين في المجال الصحي والإرشادات الوقائية، وينبغي التثقيف على وجوب الوقاية رعاية للمصلحة العامة عند إقامة هذه المجالس الحسينية لضمان سلاسة مشاركة المؤمنين وعدم حرمانهم من البركات الحسينية في إحياء وإقامة الشعائر الحسينية.

مملكة الأطفال المخيفة

094

بات من الضروري أنْ نستعدَّ لمرحلة جديدة من حياة أبنائنا الصغار الذين يعيشون معنا ويختلفون عنا، فطموحهم مختلف عما يشغلنا، ورؤيتهم متجهة إلى غير منهجنا، إذ لا يخفى أن المشروع اللاديني نجح في قيادة أبنائنا إلى العولمة في مختلف جوانبها، فكان نصيبهم التيه والضلال، وعسكرت على قلوبهم وعقولهم تلك الأفكار التي نشرتها تقنية الوسائل الحديثة حتى أصبحوا أسارى الأجهزة الخبيثة والوسائل الدنيئة في ظل غياب سلطة الأب الواعي والأم التي كانت مدرسة في يوم ما.

إنّ المسافات الشاسعة التي أنتجتها عوامل الانفتاح على العالم عبر الأجهزة الذكية بكلِّ أشكالها، وقابلها انشغال الآباء عن أبنائهم وتخلفهم عن المراقبة والمتابعة أحدثت بونا بين البيت والطفل. فصار الأطفال في مملكة معزولة عن ثقافة الآباء، واعتمدوا في تربية أنفسهم بما يشاع في الهواتف وأجهزة التواصل المختلفة، فتغيرت قدوتهم وأيقنوا أن النجاح يعتمد على مقدار تمسكهم بثقافة الابتعاد عن الدين فضلا عن المذهب فبات الإسلام غريبا بين أبنائنا، وأصبحت الشخصيات المنفلتة قدوة لهم يركضون للحاق بهم وببرامجهم الموجّهة بشكل ممنهج لخلق جوٍ من النفرة بين الأبناء والآباء.

ومن الجدير ذكره أنّ أكثر الآباء أصبح مستسلما لهذا الواقع المخيف الذي أفرزته ثقافة جديدة قوامها تمرد الأبناء على الرغم من صِغرهم على المحيط العائلي، وصار من الطبيعي أنْ يتكئ على سلاحه البسيط (البكاء) فيُسلِّم إليه كل ما يلزمه وأبسطها جهازه (التلفون) الذي امتلئ بالسموم والهموم، وسيطر على الصغير، فيوجهه كيفما يشاء وسط تلك المخلوقات القذرة التي استبدلها أبناؤنا بالآباء بعد أن فقدوا دورهم فكانوا في انتظار لحظة السقوط ومن ثَمَّ من سقوط الأفراد إلى سقوط المجتمع.

ومن المعروف أنّ مرحلة السّفاهة التي تعيشها أكثر البيوتات اليوم كانت نتيجة عمل متواصل للماسونية وقد تحقّق نجاحهم بضياع أبنائنا الذين أصبح همهم تقليد فنون الفساد المنتشرة في المواقع الخبيثة، وفي المقابل تخلّوا عن مقدساتهم وثوابتهم التي فيها سعادتهم في الدارين.

إنَّ أكثر ما يشغل الصغار اليوم هو التعرف على المزيد من الشخصيات والبرامج المؤدلجة في المواقع ظنّا منهم أنّهم يرتقون بذلك، وهذا الأمر أنساهم مشروعهم الحقيقي. فالصغار مستقبلنا الواعد الذي نطمح أنْ يكون رساليًّا ويتحمل عناء المسيرة وهذا بحدِّ ذاته من الأهداف المركزية يتكفل بها الآباء الواعون والأمهات اللواتي كُنْ مشاريع لإنتاج الفحول من الرجال في يومٍ من الأيام. ولولا أن نتدارك صغارنا حتى إذا كان على حساب بعض الدموع ينبغي أنْ نستعد ليوم أهون ما فيه عدم احترام الكبير وقطع صلات التواصل؛ ليصير المجتمع عبدا للعبيد، فيكون القرار نحو التطبيع مع كل رذيلة وفساد.

هل سنصلي الجمعة يوم الأربعاء مرة أخرى

095

واحدة من أبرز مظاهر الفساد في المجتمع الإسلامي تغيير الضوابط والقواعد التي لا يمكن تغييرها، وهذا الأمر يتبناه ساسة القوم في لحظات الطيش حينما ينوبون عن الشيطان في اتخاذ القوانين المصيرية التي يمكنها أنْ تعمل على ضياع المجتمع برمّته، أو يعمدون إليها لمعرفة درجة الولاء لهم على الرغم من أنّهم يدركون فساد حالهم وسوء عاقبة من يسير بهدي ضلالتهم، وقد اتخذها معاوية وسيلة للكشف عن غفلة الأمة ودرجة سباتها فأمرهم بإقامة صلاة الجمعة يوم الأربعاء ولم يعترض عليه المسلمون؛ بل ذهب بعضهم للبحث عن التبريرات له ولا يزال الغافلون يرقصون على ثقافته التي قصم بها المجتمع الإسلامي ووجهها إلى مستنقع الضلالة وطريق اللاعودة.

واليوم بعد أنْ عجزت صيحة الأحرار عن معالجة الفساد القائم على إرادات الأحزاب المتنفذة التي سعت منذ تشكيلها إلى تقّمص دور المصلح حتى ساقت الأوضاع إلى نهايات مهلكة وبشكل منتظم على وفق مناهج مدروسة غايتها تدمير العباد والبلاد باتباع أساليب من المراوغة نجحت في توجيه مصادر القوة والتمكّن إلى الهاوية واستبدالها بعناصر الضعف والانهيار. فلعبة الدولار كشفت زيف أقنعتهم التي كانت تتغنى برعاية مصالح الناس من أبناء هذا الوطن الجريح، وبيَّنت اتفاقهم القائم على أساس مصالحهم الضيقة على حساب البسطاء الذين لا حول لهم ولا قوة إلا بالله.

إنَّ التستر بلباس الوطنية والدين بات شعارا سهلا يتقمصه الساسة من أجل الوصول إلى غايات حزبية، أو تحقيق توجيهات صادرة من إرادات خارجية كانت وما تزال تعمل على عدم استقرار العراق وشعبه، وهذا يدعو إلى التأمّل مرّة أخرى ومراجعة الثّقة التي منحت حتى لهؤلاء الذين يتباكون إلى اليوم من على شاشات التلفاز من أجل الوطن والوطنية؛ حتى يثبت استحقاقهم لهذه الثقة من الشعب الذي صبر حتى ملَّ منه الصبر وقد ذاق الأمرين.

إنَّ الممارسات التي تتبعها الحكومة بأحزابها الهائجة التي بلغت بحسب الاحصائيات الأخيرة إلى أكثر من ثلاث مئة حزب، وبشعارات رنانة؛ ليكون العراق بذلك صاحب

موسوعة غينس القياسية بعدد أحزابه المتنافسة على سلطة ساقت إلى ضياع الخيارات الاستراتيجية؛ كون أكثر الساسة هم من أبناء الصدفة السياسية، فلم يفقهوا بين الخيارات الاستراتيجية والخيار بالسلطة، وهذا يستلزم الرجوع إلى المؤسسة الدينية التي بحَّ أصواتها في الدعوة إلى اختيار المناسب في المكان المناسب وكبح جماح الفاسدين، ولكن لم يسمعها سامع فكان المصير إلى أن ينحصر الجميع في عنق الزجاجة، وقد يزداد سوءًا خاصة بعد أن تزعزعت المفاهيم وأصبح الشريف وضيعا والوضيع شريفا في حكم الشارع وقياسه الذي ضيَّع مفاهيمه وتعاليمه حتى فسد ملحه.

وطن من لا وطن له

096

لطالما كانت القلوب تهفو إلى الأوطان بفطرتها التي فطر الله الناس عليها، فالجميع يعشق وطنه وإن اختلفت دلالة الأوطان بين فرد وآخر. فمنهم من يرى أنّ وطنه زوجه، ومنهم من يجد في محيطه وطنه، ومن النّاس من يندفع إلى وطنه بدافع القومية أو يفهم أنّ حدوده تلك المساحات التي نجحت الامبريالية والاستعمار في تحجيمه بغية الاستيلاء على العقول قبل القلوب والأبدان، ثم نجحوا في الوصول إلى غاياتهم الدنيئة بعد أنْ تمّ تروَّيض النّاس على الفهم الخاطئ للوطن فجعلوه ضيّقا، سهل التقسيم، بعيدا عن المنطق الإسلامي الذي أسس له النبيُّ(صلى الله عليه وآله) وقاتل من أجله المسلمون على اختلاف أجناسهم وألوانهم وقومياتهم.

إنَّ الأصل في الوطن لا يُحدد بحدود المساحة أو الجغرافية التي روَّج لها الصغار من أذيال العمالة والخونة الذين أسرفوا في الاستخفاف بمشاعر أبناء وطنهم، وحاولوا على مرِّ التاريخ أن يكونوا شوكة في جسد الوطن النابض بالحياة حينما يجتمع أبناؤه المخلصون تحت شعار الإسلام المحمدي الأصيل، الذي ينبغي أن يفهمه الجميع ومحبو الوطن قبل غيرهم شعار الوطن أصبح شعارًا سلسًا بين الأوساط المختلفة بعد أن اقتنعت القوى الكبرى التي تحاول السيطرة على المجتمع الدولي بأنّ تقسيم الوطن الأم إلى أوطان متعددة وسيلة ناجحة في اضعاف الأمم، وكسر شوكتها، ومن ثمَّ سلخها من المفاهيم الحقّة التي كانت يوما من الأيام سبب تميُّزها وقوتها وانتصارها.

إنَّ مفهوم الوطن بحاجة إلى مراجعة وتأمّل، فالمسلمون حينما كانوا تحت راية الإسلام المحمدي الأصيل، وراية الأئمة المعصومين (عليهم السلام) كانوا ينظرون إلى الوطن غير ما نراه اليوم؛ إذ اجتمعوا على معيار غير معيارنا، ولم يحددوا إسلامهم بجنس دون آخر؛ ليكون وطنهم صغيرًا؛ بل تكاملوا فيما بينهم وتقاسموا حبّ الوطن الذي كان من الإيمان، وكانوا ينظرون إلى البلاد الإسلامية أنّها حدود الإسلام وينبغي على جميع المسلمين الدفاع عنها وحفظ كرامتها وتقديسها.

إننا اليوم بعد هذا التشتيت في الرؤية واستفحال مرض الغباء بين مُدَّعي الوطنية زيفًا وزورًا لن نجد مخرجًا من هذا الابتلاء إلا بالرجوع إلى المشتركات التي كانت بين المؤمنين وأبرزها مساحة الوطن الذي ينبغي أنْ ندافع عنه ونحميَه من سفهاء المسلمين قبل الأعداء والخونة، وبعد البحث والدراسة يمكن لكلّ فرد أنْ يعيَ بأنّ قوّة الإسلام الحقيقي في هذه الثلة المؤمنة التي أيقنت ضرورة البحث عن الوطن خارج الحدود التي قسَّمتها الأعداء وروَّج لها الصغار. فالحشد الشعبي الذي تأسس عند سماع نداء الوطن يمكنْ أنْ يكون مقياسا لمن يرغب في معرفة حدود الوطن؛ لذلك حينما تجد أن أفراد الحشد يتسابقون بحثا عن الانتصار في الساحات الإسلامية المختلفة، إنّما كان ذلك عن قناعة ورؤية إسلامية يشاركهم في ذلك أخوتهم من مختلف جبهات المقاومة العراقية والإيرانية واليمنية والسورية واللبنانية وغيرهم من عناصر جبهة المقاومة عبروا الحدود المصطنعة، ولبُّوا النداء حتى اختلطت دماؤهم المختلفة في الساحات الإسلامية المتعددة؛ ليبقى صوتهم الثائر عبر أثير الزمن مدوِّيا بأنّ الحشد وطنٌ لمن لا وطن له.

شموخ في زمن الابتذال

97

قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون ـ ٨).

توافرت المرويات على كثير من المواطن التي جاءت للكشف عن جهات شموخ المؤمنين وعزّهم من دون سواهم من المبتذلين الذين فقدوا لذة الشموخ بالابتعاد عن الطاعة والولاية فصاروا عرضة للمهالك التي تحيط بالناس من زوايا الابتلاءات المتعددة وسقطوا في شباك التهلكة بعد أنْ رضوا بأنْ يكونوا فريسة الهوى وأتباع الشهوات فكان حظهم السقوط في البئر الذي لا قاع له؛ إذ تشابك الأمر عليهم واختلطت المفاهيم فضاعت المقاصد وصاروا إلى الشتات.

إنَّ الخطاب القرآني أكَّد على أنَّ العزة والشموخ لا يُنال إلا بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله الكريم(صلى الله عليه وآله) والمؤمنون في مختلف العصور أدركوا هذه الحقيقة؛ لذلك تجدهم يفرِّقون بين الهداية والضلال وينمازون عن سواهم بأنَّهم تذوَّقوا حلاوة الشموخ والعزة في الطاعة والولاية لله تعالى ولرسوله الكريم(صلى الله عليه وآله) ولا ينتظرون رضى الناس عنهم ولا ينزلقون في مزالق أهل الدنيا باتباع أبواق الهوى وأئمة الضلال.

أمَّا عامَّة الناس فقد اختلط الأمر عليهم وأخذ البعض يتصوَّر بأنَّ العزة في المال والولد وذهب آخرون إلى أنَّ العزة والشموخ في الوجاهة والمناصب والمسؤوليات؛ لذلك تجد أنَّ أكثر أهل الدنيا يتَّبعون أصحاب الأموال والمناصب أكثر من اتباعهم لله ورسوله ظنّا منهم أنَّ هؤلاء يمكنهم أنْ ينفعوهم من دون الله تعالى والحال أنَّ الله تعالى هو المالك الحقيقي وهو الذي يعطي ويمنع فليس لأحدٍ أنْ ينفعك إذا أراد الله أنْ يضرَّك وليس لأحد أنْ يضرُّك إذا أراد الله نفعك؛ بل ينبغي أنْ ندرك بأنَّ كلَّ الأمور تسير بمشيئته وإرادته تعالى فهو القاهر فوق عباده.

ومع أنَّ الحقائق ناصعة البياض إلا أنَّ الناس فقدوا توازنهم بابتعادهم عن الثوابت والمبادئ؛ إذ أصبح الناس يتصوَّرون بأنَّ الغنى عزٌّ والفقر ذِلٌّ وهذا أساس الانحدار والسقوط في مكائد الشيطان وعلى هذا نجد أن كثيرا من الناس يستغرق تمام عُمُره في البحث عن وسائل الغنى

ويتخذ مختلف الوسائل للوصول إلى غايته التي من أجلها أفنى عُمُره وطوى أيامه ففاجأه الموت الذي لابد منه ومن الاستجابة لهأ ولم يخرج حينئذ إلا بالذلِّ والهوان؛ إذ فاته الغنى الذي إياه طلب وأدركه الموت الذي منه هرب.

إنَّ النفاق تمام النفاق هو القول والادعاء بالرضى بفعل الله واختياراته والعمل من جهة أخرى للبحث عن العزة والشموخ عند غيره وهذا الحال قد يلامسنا جميعا في لحظات الغفلة واستيلاء المطامع وسيطرة الهوى؛ لذلك لا ينبغي الوثوق بالنفس الأمَّارة بالسوء؛ بل يجب الحذر من اتجاهات البلاءأ فقد يتسلل الشيطان لواذا فلا نشعُر بالوقوع في مصائده المتعدِّدة؛ فكما نعلم أنَّ الأمراض المعنوية لا وجع فيها لنشعر بآلامها وخطورتها كالتي تكون عند الصداع والجروح من الابتلاءات المادِّية وهذا يجعلنا نخشى الأمراض المعنوية كالنفاق الذي أمنه الناس واستحسنوه؛ بل قد يستلذون به ظنا منهم أنَّهم على الخير فتفوتهم العزة والشموخ الذي ندر في زمن الابتذال.

الحشمة في زمن التعري

98

قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباسًا يُوارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ ذلِكَ مِنْ آياتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (الأعراف ـ ٢٦).

ظاهر الخطاب القرآني يدعو إلى مواراة السوأة وعدم ابتذالها بالشكل الذي يتنافى مع قوانين الشريعة والفطرة السليمة الحاكمة بضرورة الستر والحشمة ومنذ بداية الخليقة حاول الإنسان أنْ ينماز عن غيره من المخلوقات التي تشاركه في الحيوانية وتختلف عنه في الناطقية وبحسب النقول التاريخية القديمة فإن الإنسان سعى إلى مواراة بعض جسده بتلك الخرقة البدائية التي لم تكن تستر كثيرًا من جسده لكنَّها أكَّدت لجوءه إلى التستُّر وبذلك فقد تميز عن الحيوانات التي لم نجد عندها هذه النزعة الفطرية.

وبقطع النظر عن الاختلافات بين المجتمعات وثقافاتها المتغيِّرة التي تتأثر بالحوادث والعوارض فإن الجميع يتَّفق على الستر والمواراة وقد يختلفون على حدوده طبيعته وهذا الأمر يناسب الذوق السليم الذي يحرز كرامة الإنسان ويُشعِره بتميُّزه عن غيره من الموجودات التي خُلقت كرامة للإنسان بوصفه خليفة الله في الأرض والله تعالى يُحبُّ أنْ يرى خليفته مطيعًا لأمره ومستجيبًا لدعوته التي فيها سعادة الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة.

وبعيدًا عن التأويلات فإن الخطاب القرآني في الآية المباركة فُسِّر بعدَّة دلالات أظهرها أنَّ الله تعالى أمرنا بضرورة الستر والمواراة والابتعاد عن التعرِّي والسفور وهذا الأمر بحدِّ ذاته اختبارٌ للفطرة السليمة عند الإنسان الذي يعيش زمن الابتلاء في ملبسه وما يمكن أنْ يستر به نفسه ولاسيَّما أنّ الوضع الاجتماعي بدأ يتأثر بالعولمة التي حرَّفت الخصوصيات وركَّزت على مواطن الضعف عند الناس بحجة الارتقاء إلى مستوى الشعوب المتطورة التي تتصوَّر بأنَّ من التخلُّف الالتزام بالقيود الشرعية والضوابط المجتمعية.

إنَّ الآباء الواعين والإخوان الشرفاء اليوم يعيشون لحظات التحدي الحقيقية نتيجة السخافة المجتمعية التي تحاول أنْ تبرر التعري والسفور بمواكبة الآخرين متجاهلين أنَّ الحرام لا يكون حلالًا وإن فعله كل الناس لذلك علينا أنْ نمعن في الحلال وحدود الإسلام فإن الحق

قد لا يجد اليوم طريقًا إلى قلوب الجميع؛ بل إنَّ أمر مواجهة الحق محتومٌ من قِبل السفهاء ومروجي الثقافات الدخيلة التي استطاعت أنْ تدخل إلى بيوت المؤمنين كغيرهم عبر منافذ الشاشات المختلفة وبأيسر الطرق وأشرسها عند المواجهة؛ إذ سقط كثيرٌ من الناس في شباك المصيدة.

ويفهم من الخطاب القرآني أيضًا الدعوة إلى التقوى التي جاءت موصوفة بالخير وهذا لا يختلف عليه أحدٌ فمن كان سلاحه التقوى فقد أمِن الفساد والخروج عن الحدِّ؛ لذلك دأب المؤمنون على تربية أبنائهم وتعليمهم فنَّ مواجهة الانحراف والصبر على الطاعة لأنَّ ذلك من أسباب النجاح والخشية ليس من وصول الفتنة إلى أبنائنا لأنَّ ذلك واقع لا محالة ولكنَّ الخشية من ضعفهم وعدم قدرتهم في مواجهة الانحراف، وعلى هذا ينبغي التسلُح بالتقوى والإيمان لكي نحرز الصمود في المواجهة ونحافظ على الحشمة في زمن التعري.

هل يشترط في الذئب أنْ يكون حيوانا

99

قال تعالى: ﴿ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴾. مما لا يخفى أنَّ الذئب حيوانٌ يشترك مع البشر في الحيوانية ويختلف عنه في الناطقية؛ إذ كرَّم الله سبحانه وتعالى الإنسان بالنطق دون غيره من المخلوقات التي خلقها والذئب يتَّصف بكثير من الصفات الإيجابية التي قد يفتقر إليها بعض البشر؛ فقد ورد بحسب المختصين أنَّ الذئب يميل كثيرًا إلى رعاية صلة الرحم فالأبوان مثلا ليس عليهما البحث عن الطعام إذا بلغ الصغار؛ بل يتحمل الأبناء إطعام الوالدين ويصبرون عليهما والذئب يوصف بوفائه لزوجه فالخيانة ممنوعة في مجتمع الذئاب بين الزوجين ومن جهة أخرى يتحمل الرائد في المسيرة عناء الوصول وشقّ الطريق وهذه الصفات المحترمة أصبحت مفقودة في كثير من المجتمعات التي نعبِّر عنها بأنّها بشريَّة.

ومع كل هذه الصفات الإيجابية للذئب إلّا أنَّه يتَّصف بكثير من الصفات السلبية ولاسيَّما فيما يتعلق بالافتراس الخبيث الذي يكون خارج دائرة حاجته والذي يهمّنا أنّ بعض البشر شايع الذئب في صفاته السلبية فأصبح متقمِّصًا دور الذئب في المجتمع؛ إذ يفترس دون حاجة ويُكثر الأذى في المجتمع حتى ظنَّ البعض أنَّ المجتمع بات للمفترسين الذين يتربصون بالفقراء والعُزَّلِ ويحسبون كل فرصة صيدًا بقطع النظر عن المتعلقات الأخرى وبعيدًا عن الأبعاد الإنسانية التي ينبغي لها أن تسود في كل مكان وزمان .

إنَّ القرآن الكريم أكَّد في خطابه على مظلوميَّة الذئب؛ إذ اتهمه البشر وهو من القتل براء فلم يكن للذئب نصيب في دم يوسف الصديق (عليه السلام)؛ بل كانت الذئاب البشرية هي التي فتكت به واليوم أصبح الفتك فنًّا عند البعض في مختلف المؤسسات ومنها الجامعات؛ إذ يتحدثُ بعض المراقبين أنَّ كثيرًا من البنات أصبحنَ عرضة للذئاب البشرية في هذا الوسط المخيف وهذا ينبئُ بكثيرٍ من المشكلات التي قد لا تسترها المعالجات المرحلية؛ لذلك ينبغي أنْ نفعِّل الدور الرقابي في الجامعات ومحاسبة المفترسين الذين يترقبون الفرصة للتنكيل بالطالبات اللاتي يتعرضنَ لمختلف وسائل الابتزاز حتى من بعض الكوادر التدريسية التي رضيت بأن تكون سلعة للسفاهة المجتمعية ووسيلة من وسائل الشيطان.

والأمر لا يتوقف عند حدود الجامعات؛ بل هناك كثيرٌ من المؤسسات التي افتضح أمرها وشاع فُحشها ففي الأسواق مثلًا تجد أنَّ الذي يتمسك الضوابط والأحكام الشرعيَّة يعاقب كما عوقب يوسف الصدِّيق (عليه السلام) وكأنَّ المجتمع بات ميدانًا للفاسدين الذين طغواْ في البلاد وأكثروا فيها الفساد فأصبح ذات الدين عُرضة للاستهداف؛ لأنَّه قد يشكِّل خطرًا على الذئاب الذين اختلط الحرام بدمائهم فلا يبصرون غير الباطل الذي لازمهم فتصوَّروا أنَّهم على الحق لسفاهتهم أو أصرُّوا على باطلهم مع سبق علمهم لتفاهتهم وعدم وعيهم بخطورة أمرهم وقد يلازمهم التسويف المخيف كالذي لازم أبناء يعقوب (عليه السلام) فتفوتهم التوبة ولا يتوفقون لبراءة الذمة فتكون خاتمة أمرهم عسرًا والذئب منهم براء.

في بيتنا مراهق 100

قال تعالى: ﴿ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴾. مما لا يخفى أنَّ الذئب حيوانٌ يشترك مع البشر في الحيوانية ويختلف عنه في الناطقية؛ إذ كرَّم الله سبحانه وتعالى الإنسان بالنطق دون غيره من المخلوقات التي خلقها والذئب يتَّصف بكثير من الصفات الإيجابية التي قد يفتقر إليها بعض البشر؛ فقد ورد بحسب المختصين أنَّ الذئب يميل كثيرًا إلى رعاية صلة الرحم فالأبوان مثلا ليس عليهما البحث عن الطعام إذا بلغ الصغار؛ بل يتحمل الأبناء إطعام الوالدين ويصبرون عليهما والذئب يوصف بوفائه لزوجه فالخيانة ممنوعة في مجتمع الذئاب بين الزوجين ومن جهة أخرى يتحمل الرائد في المسيرة عناء الوصول وشقّ الطريق وهذه الصفات المحترمة أصبحت مفقودة في كثير من المجتمعات التي نعبِّر عنها بأنّها بشريَّة.

ومع كل هذه الصفات الإيجابية للذئب إلّا أنَّه يتَّصف بكثير من الصفات السلبية ولاسيَّما فيما يتعلق بالافتراس الخبيث الذي يكون خارج دائرة حاجته والذي يهمّنا أنّ بعض البشر شايع الذئب في صفاته السلبية فأصبح متقمِّصًا دور الذئب في المجتمع؛ إذ يفترس دون حاجة ويُكثر الأذى في المجتمع حتى ظنَّ البعض أنَّ المجتمع بات للمفترسين الذين يتربصون بالفقراء والعُزَّلِ ويحسبون كل فرصة صيدًا بقطع النظر عن المتعلقات الأخرى وبعيدًا عن الأبعاد الإنسانية التي ينبغي لها أن تسود في كل مكان وزمان .

إنَّ القرآن الكريم أكَّد في خطابه على مظلوميَّة الذئب؛ إذ اتهمه البشر وهو من القتل براء فلم يكن للذئب نصيب في دم يوسف الصديق (عليه السلام)؛ بل كانت الذئاب البشرية هي التي فتكت به واليوم أصبح الفتك فنًّا عند البعض في مختلف المؤسسات ومنها الجامعات؛ إذ يتحدثُ بعض المراقبين أنَّ كثيرًا من البنات أصبحنَ عرضة للذئاب البشرية في هذا الوسط المخيف وهذا ينبئُ بكثيرٍ من المشكلات التي قد لا تسترها المعالجات المرحلية؛ لذلك ينبغي أنْ نفعِّل الدور الرقابي في الجامعات ومحاسبة المفترسين الذين يترقبون الفرصة للتنكيل بالطالبات اللاتي يتعرضنَ لمختلف وسائل الابتزاز حتى من بعض الكوادر التدريسية التي رضيت بأن تكون سلعة للسفاهة المجتمعية ووسيلة من وسائل الشيطان.

والأمر لا يتوقف عند حدود الجامعات؛ بل هناك كثيرٌ من المؤسسات التي افتضح أمرها وشاع فُحشها ففي الأسواق مثلًا تجد أنَّ الذي يتمسك الضوابط والأحكام الشرعيَّة يعاقب كما عوقب يوسف الصدِّيق (عليه السلام) وكأنَّ المجتمع بات ميدانًا للفاسدين الذين طغواْ في البلاد وأكثروا فيها الفساد فأصبح ذات الدين عُرضة للاستهداف؛ لأنَّه قد يشكِّل خطرًا على الذئاب الذين اختلط الحرام بدمائهم فلا يبصرون غير الباطل الذي لازمهم فتصوَّروا أنَّهم على الحق لسفاهتهم أو أصرُّوا على باطلهم مع سبق علمهم لتفاهتهم وعدم وعيهم بخطورة أمرهم وقد يلازمهم التسويف المخيف كالذي لازم أبناء يعقوب (عليه السلام) فتفوتهم التوبة ولا يتوفقون لبراءة الذمة فتكون خاتمة أمرهم عسرًا والذئب منهم براء.

الفهرس

المقدمة	٨
المقالات السياسية	١١
أخ للبيع	١٢
الازدواجية بين قوسين	١٤
أسرار لم تكن خافية	١٦
أفريقيا في حيِّنا	١٨
أقلام آيلة إلى السقوط	٢٠
إني أشم ريح وهب	٢٢
بنو العباس بعد بني أمية من جديد	٢٤
بين شعارين: (نريد وطن، نريد راتب)	٢٦
بين صهريجين	٢٨
بين كورونا والكهرباء	٣٠
بين نارين لا خيارين	٣٢
بين نيجريا واليمن سقط القناع	٣٤
جريمة من نوع آخر (قراءة القرآن)	٣٦
حمى الخضوع	٣٨
الحراك الشعبي والولاءات	٤٠
خيم تنتظر من يرفعها	٤٢
الدور الفرنسي في التطبيع	٤٤
الدولار العجوز	٤٦
ذكرى الألم وألم الذكرى	٤٨
رسالة من تشرين إلى كانون	٥٠
زور كنعوص والسيادة المفترضة	٥٢
السقوط الذي لا قاع له	٥٤
العراق وصراع الرواتب	٥٦
القطيع نحو التطبيع	٥٨
قادة النصر ـ السليماني أنموذجا	٦٠
قراءة في فتوى الجهاد الانتخابي	٦٦
كان الحشد وسيبقى	٦٨
كان السيد الكاظمي وطنيا	٧٠
لا تبرروا لها	٧٢
لصوص النهار	٧٤
ماذا بعد ترامب	٧٦
ماذا لو غرد الحمار على الشجر	٧٨
مسيرة الإصلاح والاتجاه المعاكس	٨٠
المبكر والأبكر	٨٢
النهوة من العنف الاجتماعي إلى التداول السياسي	٨٤
هل نحن على موعد مع الحدث	٨٦
وما أدراك ما الحشد	٨٨
المقالات الإسلامية	٩١
آثار ثورة عاشوراء	٩٢
الأربعين بين عاشق ومجنون	٩٤
الأربعينية والتحديات	٩٦
ألوان الدماء في عيون المجتمع	٩٨
الإمام الحسن عليه السلام عطاء غير مجذوذ	١٠٠
إنها عاشوراء وكفى	١٠٢
الإيمان بالقرآن	١٠٤
بين عرفة وعرفات	١٠٦
بين نورين	١٠٨
حتميات الثورة الحسينية	١١٠
حينما يتعلق الأمر بالحسين عليه السلام	١١٢

رسالة إلى بابا عاشوراء ١١٤
رسائل من يوم عاشوراء ١١٦
رؤوس الآيات ١١٨
ضاحكة مستبشرة ١٢٠
العسر واليسر ١٢٢
العلامات والرموز القرآنية ١٢٤
عيد الغدير(عهد معهود وميثاق مأخوذ) ١٢٦
عزيز عليه ما عنتم ١٢٨
علاقتنا بكتاب الله ١٣٠
عيد الصائمين ١٣٢
الغدير وما أدراك ما الغدير ١٣٤
فقل تعالوا ١٣٦
القرآن بين السياق والخطاب ١٣٨
القرآن والعترة منهجا التكامل ١٤٠
قبسات عاشورائية ١٤٢
ما لا تعرفه عن الزهراء ١٤٤
ما لا تعرفه عن معركة بدر الكبرى ١٤٦
مقاصد التلاوة ١٤٨
الوقف الاختياري ١٥٠
وانك لعلى خلق عظيم ١٥٢

المقالات الاجتماعية ١٥٥
الأحكام في زمن الكورونا ١٥٦
ألو سيدنه ١٥٨
بين الديك والدجاجة ١٦٠
البلاء داء أم دواء ١٦٢
التحية والسلام في زمن الكورونا ١٦٤
بين القائد والمدير ١٦٦
تموت الحرة في وطني أسيرة ١٦٨
ثقافتنا بين الوعي واللاوعي ١٧٠
حمى الألقاب ١٧٢
حمى الفساد ١٧٤
الحنين إلى الماضي ١٧٦
رحم الله من أحيا أمرنا ١٧٨
سراق رمضان ١٨٠
السياسة والدين ١٨٢
عروس مهرها التغيير ١٨٤
فكّر ثم قدِّر ١٨٦
فلسفة الشرور ١٨٨
كاسيات عاريات ١٩٠
لا تعطني سمكة؛ ولكن علمني كيف اصطادها ١٩٢
لا حاجة إلى الاضراس في عقدة تحلها الانامل ١٩٤
لن نتخذ من الليل جملا ١٩٦
محمد رمضان ومحمد رمضان ١٩٨
مرجعية أم مرجعيات ٢٠٠
من المسؤول عن الفشل ٢٠٢
المجالس الحسينية في زمن الكورونا ٢٠٤
مملكة الأطفال المخيفة ٢٠٦
هل سنصلي الجمعة يوم الأربعاء مرة أخرى ٢٠٨
وطن من لا وطن له ٢١٠
شموخ في زمن الابتذال ٢١٢
الحشمة في زمن التعزي ٢١٤
هل يشترط في الذئب أن يكون حيوانا ٢١٦
في بيتنا مراهق ٢١٨